

القسم الثاني في مناقب الأفراد وفيه عشرة أبواب

الباب الأول في مناقب خليفة رسول الله أبي بكر الصديق^(١) رضي الله عنه وفيه خمسة عشر فصلاً

الفصل الأول: في نسبه .

الفصل الثاني: في اسمه .

الفصل الثالث: في صفته .

الفصل الرابع: في إسلامه .

الفصل الخامس: فيمن أسلم على يديه .

الفصل السادس: فيما كان بينه وبين النبي ﷺ من الود في الجاهلية .

الفصل السابع: فيما لقي بسبب دعائه إلى الله تعالى ودفعه عن رسول الله ﷺ .

الفصل الثامن: في هجرته .

الفصل التاسع: في خصائصه .

(١) انظر أسد الغابة (٣/٢٠٥)، والإصابة (٢/٤٨١٧)، والاستيعاب (٣/٩٦٣)، والكامل في التاريخ (١/٤٧٩) و (٢/١٥)، وحلية الأولياء (١/٢٨ - ٣٨) وتقريب التهذيب (١/٤٣٢)، وابن خلكان (٣/٦٤ - ٧١)، العبر (١/١٢ - ١٦)، وتهذيب التهذيب (٥/٣١٥ - ٣١٧).

الفصل العاشر: في أفضليته .

الفصل الحادي عشر: في الشهادة له بالجنة .

الفصل الثاني عشر: في فضائله .

الفصل الثالث عشر: في خلافته .

الفصل الرابع عشر: في وفاته .

الفصل الخامس عشر: في ولده .

الفصل الأول: في ذكر نسبه وإسلام أبويه

وقد تقدم ذكر آبائه في الشجرة في أنساب العشرة وينسب إلى تيم بن مرة فيقال: التيمي وهو في العدد إلى مرة مثل رسول الله ﷺ لأن بين كل واحد منهما وبين مرة ستة آباء، فهذه موافقة اتفقت بينهما في النسب كما اتفقت في العمر على أصح الأقوال كما سيأتي إن شاء الله . أمه: أم الخير لفظاً ومعنى سلمى ابنة صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بنت عم أبيه: هكذا ذكره جمهور أهل النسب ومن شذ فقال: بنت صخر بن عامر بن عمر بن كعب فجعلها ابنة عمه فليس بصحيح .

ذكر إسلام أبي قحافة

عثمان بن عامر بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة أبو أبي بكر الصديق أسلم يوم الفتح وبايع رسول الله ﷺ وعاش مدة حياة النبي ﷺ ومدة خلافة ولده وتوفي في خلافة عمر رضي الله عنهم أجمعين .

١٤٢ - عن أسماء بنت أبي بكر قالت: «لما وقف رسول الله ﷺ بذئ طوى قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده: أي بنية أظهري بي على أبي قبيس^(١)، قالت: وقد كف بصره قالت: فأشرفت به عليه فقال: يا بنية ماذا ترين؟ قالت: أرى سواداً^(٢) مجتمعاً - قال تلك الخيل قالت: وأرى رجلاً يسعى بين ذلك السواد مقبلاً ومدبراً قال:

(١) أبو قبيس: جبل مشرف على مكة من مشرقها. (معجم البلدان ١/ ٨٠).

(٢) السواد من الناس: معظمهم.

الوازع^(١) الذي يأمر الخيل ويتقدم إليها، ثم قالت: قد والله انتشر السواد فقال: قد والله دفعت الخيل فأسرعي إلى بيتي فانحطت به وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته وفي عنق الجارية طوق لها من ورق فتلقاها رجل فاقتلعه من عنقها قالت: فلما دخل رسول الله ﷺ مكة ودخل المسجد أتاه أبو بكر بأبيه يقوده فلما رآه النبي ﷺ قال: «هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية»؟ قال أبو بكر: يا رسول الله! هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه.

وفي رواية: «لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناه مكرمة لأبي بكر»، قال: فأجلسه بين يديه ثم مسح صدره ثم قال له «أسلم» فأسلم وكان رأسه كالشغامة فقال رسول الله ﷺ: «غيروا هذا من شعره»، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته فقال: «أنشد الله والإسلام وطوق أختي» فلم يجبه أحد فقال: «يا أختي احتسبي طوقك فوالله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل» خرج أحمد وأبو حاتم وابن إسحاق، وفي رواية بعد قوله «ألا تركت الشيخ حتى تأتية»؟ قال: «أردت يا رسول الله أن يأخذه الله عز وجل أما والذي بعثك بالحق لأنا كنت أشد فرحاً بإسلام أبي طالب مني بإسلام أبي ألتمس بذلك قرّة عينك»، قال: «صدقت» خرج في «فضائل أبي بكر»، وقال حديث حسن.

شرح:

الوازع - الذي يتقدم الصف فيصلحه ويقدم ويؤخر ومنه قول الحن لا بد للناس من وازع أي: سلطان يكف بعضهم عن بعض.

والشغامة - واحدة الثغام وهو نبت يبيض إذا يبس ويشبه به الشيب ذكره الجوهري اللغوي.

ذكر إسلام أمه أم الخير

١٤٣ - سلمى بنت صخر أسلمت قديماً في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وبايعت النبي ﷺ، وماتت مسلمة. ذكره الحافظ الدمشقي وصاحب «الصفوة» وغيرهما عن عائشة قالت: «لما اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ وكانوا تسعة وثلاثين رجلاً ألح أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظهور فقال: «يا أبا بكر إنا قليل»، فلم يزل يلح على رسول

(١) الوازع الذي يرتب فرق الجيش ويسويهم ويصفهم للحرب.

الله ﷺ حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرق المسلمون في نواحي المسجد، وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله ﷺ جالس وكان أول خطيب دعا إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوهم في نواحي المسجد ضرباً شديداً ووطيء أبو بكر وضرب ضرباً شديداً ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفين، ويحرفهما لوجهه وأثر ذلك حتى ما يعرف أنفه من وجهه، وجاءت بنو تيم تتعادي^(١) فأجلوا المشركين عن أبي بكر وحملوا أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه بيته ولا يشكون في موته ورجع بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لأن مات أبو بكر لنقتلن عتبة، ورجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجابهم فتكلم آخر النهار: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فنالوه بالسهم وعذلوه ثم قاموا وقالوا لأم الخير بنت صخر: انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه؟

فلما خلت به وألحت جعل يقول ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: والله ما أعلم بصاحبك. قال: فاذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه فخرجت حتى جاءت إلى أم جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله قالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، وإن تحبي أن أمضي معك إلى ابنك فعلت؟ قالت نعم فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دنفاً فدنت منه أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت: إن قوماً نالوا منك هذا لأهل فسق وإني لأرجو أن ينتقم الله لك قال ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أمك تسمع قال: فلا عين عليك منها قالت: سالم صالح. قال: فأني هو؟ قالت في دار الأرقم قال: فإن الله عليّ آية أن لا أذوق طعاماً ولا شرباً أو آتي رسول الله ﷺ فأمهلناه حتى إذا هدأت الرّجل وسكن الناس خرجتا به يتكئ عليهما حتى دخلتا على النبي ﷺ قال: فانكب عليه فقبله وانكب عليه المسلمون ورقّ له رسول الله ﷺ رقة شديدة فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي ليس بي إلا ما نال الفاسق من وجهي، هذه أمي برة بوالديها، وأنت مبارك فادعها إلى الله وادع الله عز وجل لها عسى أن يستنقذها بك من النار. فدعاها رسول الله ﷺ فأسلمت فأقاموا مع رسول الله ﷺ شهراً وهم تسعة وثلاثون رجلاً وكان إسلام حمزة يوم ضرب أبي بكر.

خرجه الحافظ الدمشقي في «الأربعين» الطوال وخرجه ابن ناصر السلامي من حديث عبد الله بن محمد الطلحي عن القاسم بن محمد بن عائشة.

(١) تتعادي من العدو: وهي السرعة في الجري.

شرح:

الآية: اليمين على وزن فعيلة والجمع الأليا، قال الشاعر:

قليلُ الأليا حافظٌ يمينهِ وإن سبقت منه الألية برَّت

وكذلك الألوة بضم الهمزة وفتحها وكسرهما وإسكان اللام وأما الألوة بالتشديد وضم الهمزة وفتحها فالعود الذي يتبخر به.

هدأت الرجل - بالهمز سكت والهدأة والهدو السكون، وعن علي بن أبي طالب قال في أبي بكر: أسلم أبواه جميعاً ولم يجتمع لأحد من الصحابة المهاجرين أبواه غيره أخرجه الواحدي.

١٤٤ - وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَحَمَلُهُ وَفَصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾^(١)، نزلت في أبي بكر وكان حمله وفصاله كذلك، قال وقد علم أن كل أحد لا يلهم هذا القول فعلم أنه رجل بعينه - وكان أبا بكر - ومعنى بلوغ أشده ثلاث عشرة سنة وذلك أنه صحب رسول الله ﷺ وهو ابن ثمان عشرة سنة في تجارة إلى الشام وكان لا يفارقه في أسفاره وحضره فرأى من الآيات ما سبق بها اليقين في قلبه. فلما بعث النبي ﷺ آمن به وصدقه وقال: رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي بالهداية إلى الإيمان وعلى والدي كذلك وأن أعمل صالحاً ترضاه فأجابه الله تعالى وأعتق سبعة مؤمنين وأصلح لي في ذريتي فأجابه الله تعالى أيضاً ولم يبق له ولد ولا ولد إلا آمن وصدق. أخرجه الواحدي وأسلمت أيضاً أخته لأبيه أم فروة بنت أبي قحافة وتزوجت الأشعث بن قيس فولدت له محمداً. ذكره الدارقطني.

الفصل الثاني: في ذكر اسمه

وكان اسمه رضي الله عنه عبد الله وقيل: عبد الكعبة، فلما أسلم سماه النبي ﷺ عبد الله. قاله جمهور أهل النسب وأكثر المحدثين ذكر اسمه عتيقاً واختلفوا في ذلك فقليل: إنه لقب به في الإسلام وهو أول لقب لقب به في الإسلام. قاله محمد بن حمدويه النيسابوري. وقال ابن إسحاق في جماعة: بل هو اسم سماه به أبوه ويروى ذلك عن عائشة رضي الله عنها.

١٤٥ - وروي عن موسى بن طلحة أنه سمته به أمه واختلفوا لم سمي عتيقاً؟ فقال الليث بن سعد في جماعة: سمي بذلك لعتاقة وجهه وجماله والعتق الجمال وقيل: إن الذي لقبه به لجمال وجهه رسول الله ﷺ. ذكره ابن قتيبة في المعارف وعن موسى بن طلحة بن عبيد الله قال: كانت أمه لا يعيش لها ولد فلما ولدته استقبلت به البيت ثم قالت: اللهم إن هذا عتيقك من الموت فهبه لي فعاش فسمته عتيقاً وكان يعرف به. رواه الخجندي في الأربعين وغيره وقيل: كان له أخوان عتق وعتيق فسمي باسم أحدهما. ذكره البغوي في معجمه وقال مصعب وطائفة من أهل النسب: إنما سمي عتيقاً لأنه لم يكن في نسبه شيء يعاب به.

١٤٦ - وقال أبو نعيم الفضل بن دكين: سمي بذلك لأنه قديم في الخير والعتيق القديم تقول: منه عتق بضم التاء عتقاً وعتاقة وقال آخرون: سمي بذلك لأن رسول الله ﷺ قال: «من سره أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى هذا». فسمي عتيقاً لذلك. روته عائشة بنت طلحة، عن عائشة أم المؤمنين قالت: وإن اسمه الذي سماه به أهله لعبد الله ذكره أبو عمر وغيره وعليه أكثر المحدثين.

١٤٧ - وعن عبد الله بن الزبير قال: كان اسم أبي بكر عبد الله بن عثمان فقال له النبي ﷺ: «أنت عتيق الله من النار» فسمي عتيقاً لذلك. خرجه الترمذي وأبو حاتم ولا تضاد بين هذه الأقوال كلها إذ يجوز أن يكون أحد الأبوين لقبه بذلك لمعنى ثم تابعه الآخر عليه له أو لمعنى آخر ثم استعملته قريش وأقرته عليه، ثم أقر عليه بعد الإسلام.

وما يروى عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «يا أبا بكر أنت عتيق الله من النار»، فمن يومئذ سمي عتيقاً فمعناه والله أعلم فمن ذلك اليوم اشتهر به حتى لا يعرف له اسم سواه.

ذكر اسمه الصديق

واختلف في ذلك لأي معنى ف قيل: كان هذا اللقب قد غلب عليه في الجاهلية لأنه كان في الجاهلية وجيهاً رئيساً من رؤساء قريش، وكانت إليه الأشناق وهي الديات كان إذا تحمل شتقاً قالت قريش: صدقوه وأمضوا حمالته وحملها من قام معه وإذا تحملها غيره خذلوه ولم يصدقوه.

قال الجوهري: الشنق ما دون الدية. وقيل: سمي صديقاً لتصديقه النبي ﷺ في خبر الإسراء.

١٤٨ - عن عائشة قالت: لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يحدث الناس بذلك، فارتد ناس كانوا آمنوا به، وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال: «وقد قال ذلك؟»، قالوا: نعم، قال: «لئن قال ذلك لقد صدق»، قالوا: تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ فقال: «نعم إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك في خبر السماء في غدوة وروحة». فلذلك سمي الصديق. خرجته الحاكم في المستدرك وابن إسحاق، وقال مكان غدوة وروحة: في ساعة من ليل أو نهار، وزاد فهذا أبعد مما تعجبون منه.

ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ وقال: «يا نبي الله! حدث هؤلاء أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة»، قال: «نعم». قال: «يا نبي الله فصفه لي فإنني قد جئته»، قال الحسن: فقال رسول الله ﷺ: «رفع لي حتى نظرت إليه»، فجعل رسول الله ﷺ يصفه لأبي بكر فيقول أبو بكر: «صدقت أشهد أنك رسول الله»، كلما وصف له منه شيئاً قال: «صدقت أشهد أنك رسول الله»، قال: حتى إذا انتهى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «وكنت يا أبا بكر الصديق» فسماه يومئذ الصديق.

قال الحسن: وإن الله عز وجل أنزل فيمن ارتد عن إسلامه لذلك ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾^(١) وقول أبي بكر: صفه لي يحتمل معنيين:

أحدهما: إظهار صدق النبي ﷺ لقومه فإنهم كانوا يثقون بقول أبي بكر فإذا طابق خبره ﷺ ما كان يعلم أبو بكر وصدقه به كان حجة عليهم ظاهرة.

الثاني: طمأنينة قلبه كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾^(٢) لا أن أبا بكر كان عنده شك، كلاً، بدليل تصديقه أول وهلة والله أعلم.

١٤٩ - وعن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى رفع لي بيت المقدس وأنا عند الكعبة فجعلت أنظر إليه وإلى ما فيه ولقد رأيت جهنم وأهلها فيها وأهل الجنة في الجنة قبل أن يدخلوها كما أنظر إليك فخبرت بذلك قومي فكذبوني غير أبي بكر الصديق».

(١) سورة الإسراء، الآية: ٦٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

١٥٠ - وعن مولى أبي هريرة قال أبو بكر بن قحافة أراه قال عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «ليلة أسري بي قلت لجبريل عليه السلام: إن قومي لا يصدقوني قال لي جبريل: يصدقك أبو بكر وهو الصديق». خرجهما في «فضائل أبي بكر» وخرج الملا في سيرته. وقيل: سمي صديقاً لبداره إلى تصديق رسول الله ﷺ في كل ما جاء به عموماً ويشهد لراجحية هذا القول أن الصديق في اللغة - فعيل - معناها المبالغة في التصديق أي: يصدق بكل شيء أول وهلة.

١٥١ - ويؤيده حديث أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «هل أنتم تاركون لي صاحبي؟ قلت: يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً فقلتم: كذبت وقال: أبو بكر صدقت» وسيأتي الحديث مستوعباً إن شاء الله تعالى.

١٥٢ - وعن النزال بن سبرة قال وافقت من علي ذات يوم طيب نفس ومزاحاً فقلنا: يا أمير المؤمنين! أخبرنا عن أصحابك قال: «كل أصحاب رسول الله ﷺ أصحابي»، فقلنا يا أمير المؤمنين أخبرنا عن أصحابك خاصة قال: «لم يكن لرسول الله ﷺ صاحب إلا وهو لي صاحب»، قلنا: فأخبرنا عن أصحاب رسول الله ﷺ. قال: «سلوني» قالوا: أخبرنا عن أبي بكر بن أبي قحافة. قال: «ذاك امرؤ سماه الله الصديق على لسان جبريل عليه السلام وعلى لسان محمد ﷺ، كان خليفة رسول الله ﷺ رضيهِ لديننا فرضيناه لدينانا» خرجه الخلعي. وابن السمان في «الموافقة».

١٥٣ - وعن أبي إسحاق المبيعي، عن أبي يحيى قال: لا أحصي كم سمعت علياً على المنبر يقول: «إن الله عز وجل سمى أبا بكر على لسان نبيه ﷺ صديقاً» - خرجه في فضائله.

١٥٤ - وعن علي بن أبي طالب: أنه كان يحلف بالله أن الله تعالى أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق - خرجه السمرقندي وصاحب «الصفوة».

١٥٥ - وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «عرج بي إلى السماء فما رأيت شيئاً إلا وجدت اسمي فيه مكتوباً محمد رسول الله وأبو بكر الصديق خليفتي». خرجه ابن عرفة العبدى والثقفى الأصبهاني.

١٥٦ - وعن الزهري يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «يكون خلفي اثنا عشر خليفة، أبو بكر الصديق لا يلبث إلا قليلاً». خرجه صاحب «الصفوة» وقد سبق هذا الحديث في مناقب الثلاثة من رواية عمر وفيه ذكر الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان - خرجه ابن الضحاك

والصوفي عن يحيى بن معين. ولا حجة في هذه الأحاديث لأحد المعنيين بعينه، بل يجوز أن يكون سماه الله ورسوله صديقاً لهما ويجوز أن يكون لأحدهما ويجوز أن يكون سمي بذلك مبالغة في وصفه بالصدق ويشهد لذلك ما رواه أبو الدرداء قال:

١٥٧ - سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجةً من أبي بكر، من سره أن ينظر إلى مثل عيسى في الزهد فلينظر إليه». خرجه في فضائله.

ذكر أنه كان يدعى في السماء الحليم

١٥٨ - عن أبي هريرة قال: «هبط جبريل إلى النبي ﷺ فوقف ملياً بناحية فمر أبو بكر الصديق، فقال جبريل عليه السلام: يا محمد هذا ابن أبي قحافة. فقال: «يا جبريل أو تعرفونه في السماء؟»، فقال: والذي بعثك بالحق لهو في السماء أشهر منه في الأرض، وإن اسمه في السماء الحليم» - خرجه في فضائله والملا في سيرته.

شرح:

ملياً: أي زماناً وحيناً ومنه ﴿واهجرني ملياً﴾^(١) أي زماناً طويلاً ومضى علي من النهار أي ساعة طويلة.

والحليم: المفضي عن الشيء المزعج فضلاً وكرماً تقول منه: حلم حلماً فإن تكلف ذلك ولم يكن من طبعه قيل: تحلم فهو متحلم.

الفصل الثالث: في ذكر صفته رضي الله عنه

١٥٩ - عن عائشة رضي الله عنها وقد قيل لها: صفي أبا بكر قالت: «كان أبيض نحيفاً خفيف العارضين أجناً لا يستمسك إزاره يسترخي عن حقويه معروق الوجه غائر العينين ناتئ الجبهة عاري الأشاجع» خرجه أبو عمر.

١٦٠ - وعن قيس بن أبي حازم قال: «قدمت على أبي بكر مع أبي في مرضه الذي مات فيه، فرأيت رجلاً أسمر خفيف اللحم». خرجه أبو بكر بن مخلد والمشهور ما تقدم من أنه كان أبيض وكان يخضب بالحناء والكتم خرجه مسلم.

شرح:

أجناً: بالجيم والهمزة أي منحياً تقول منه جنأً يجنأً جنأً بالقصر وجنواً ومنه سمي الترس مجناً بضم الميم لانجنائه .

وأحنى بالحاء غير مهموز: بمعناه يقال: رجل أحنى الظهر وامرأة حنياء وحنواء أي: منحنية، والحقو: الكشح^(١) والحقوان الكشحان والجمع أحق وقد يسمى الإزار حقواً للمجاورة لأنه يشد على الحقوين .

معروق الوجه أي: قليل اللحم حتى يتبين حجم العظم .

الأشاجع: جمع أشجع بزنة أصبع وهو أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف .

والكتم بالتحريك: نبت .

١٦١ - وعن الأصمعي قال: قال أبو عمرو بن العلاء: كان النبي ﷺ أفرع وكان أبو بكر أفرع وكان عمر أصلع لم يبقَ من شعره إلا خفاف، وهو أن يبقى منه مثل الطرة حول رأسه يقال: رجل أفرع وامرأة فرعاء إذا كان الشعر تاماً لم يذهب منه شيء .

وقال ابن دريد: يقال امرأة فرعاء إذا كانت كثيرة الشعر، ولا يقال للرجل إذا كان عظيم الجمجمة واللحية: أفرع إنما يقال: رجل أفرع لضد الأصلع وأما صفاته المعنوية فقد تقدم في ثناء علي في باب أبي بكر وعمر طرف منهما وسيأتي في باب فضائله الكثير منها إن شاء الله تعالى .

الفصل الرابع: في إسلامه

ذكر بدء إسلامه

١٦٢ - عن ربيعة بن كعب قال: «كان إسلام أبي بكر شبيهاً بالوحي من السماء وذلك أنه كان تاجراً بالشام فرأى رؤيا فقصها على بحيرا الراهب فقال له: من أين أنت؟ فقال: من مكة. فقال: من أيها؟ قال: من قريش. قال: فأني شيء أنت؟ قال: تاجر. قال: إن صدق الله رؤياك فإنه يبعث نبي من قومك تكون وزيره في حياته وخليفته من بعد وفاته، فأسر ذلك أبو بكر في نفسه، حتى بعث النبي ﷺ. فجاءه فقال: يا محمد ما الدليل على ما تدعي؟ قال: الرؤيا التي رأيت بالشام». فعانقه وقبل بين عينيه، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، قال أبو بكر: وما بين لابتيتها أشد من

(١) الكشح: ما بين الخاصرة والضلوع.

سرور رسول الله ﷺ بإسلامي» - خرج الفضائلي .

١٦٣ - وعن عائشة قالت: «خرج أبو بكر يريد النبي ﷺ، وكان صديقاً له في الجاهلية فلقه فقال يا أبا القاسم: فقدت من مجالس قومك، واتهموك بالغيب لأبائنا وأديانها، فقال رسول الله ﷺ: «إني رسول الله أدعوك إلى الله عز وجل». فلما فرغ رسول الله ﷺ، أسلم أبو بكر وما بين الأخشين أكثر منه سروراً بإسلام أبي بكر» - خرج الحافظ. أبو القاسم الدمشقي في «الأربعين الطوال»، والحافظ ابن ناصر السلامي .

شرح:

الأخشبان: جبلا مكة ومنه لا تزول مكة حتى يزول أخشابها والأخشب الجبل الخشن العظيم .

١٦٤ - وعن أم سلمة قالت: «كان أبو بكر خدناً^(١) للنبي ﷺ وصديقاً له فلما بعث ﷺ انطلق رجال من قريش إلى أبي بكر فقالوا: يا أبا بكر إن صاحبك هذا قد جن، قال أبو بكر: «وما شأنه؟» قالوا: هو ذاك يدعو في المسجد إلى توحيد إله واحد ويزعم أنه نبي، فقال أبو بكر: «وقال ذاك؟» قالوا: نعم هو ذاك في المسجد يقول، فأقبل أبو بكر إلى النبي ﷺ، فطرق عليه الباب فاستخرجه فلما ظهر له قال أبو بكر: «يا أبا القاسم ما الذي بلغني عنك؟»، قال: «وما بلغك عني يا أبا بكر؟»، قال: «بلغني أنك تدعو لتوحيد الله وزعمت أنك رسول الله»، فقال النبي ﷺ: «نعم يا أبا بكر إن ربي عز وجل جعلني بشيراً ونذيراً، وجعلني دعوة إبراهيم وأرسلني إلى الناس جميعاً». قال له أبو بكر: «والله ما جربت عليك كذباً، وإنك لخليق بالرسالة لعظم أمانتك وصلتك لرحمك، وحسن فعالك، مد يدك فأنا أبايعك» فمد رسول الله ﷺ يده فبايعه أبو بكر وصدقه، وأقر أن ما جاء به الحق فوالله ما تلعثم أبو بكر حين دعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام» - خرج ابن إسحاق، وخرجه صاحب فضائل أبي بكر .

١٦٥ - قال ابن إسحاق: كان رسول الله ﷺ فيما بلغني يقول: «ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت منه كبوة ونظر وتردد إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ما عكم عنه حين ذكرته له وما تردد فيه» .

شرح:

تلثم الرجل في الأمر: إذا تمكث فيه وتأنى.

وعكم أي: انتظر، والعكم الانتظار. قاله الجوهري وقال الخليل: نكل عنه. وسيأتي في مبدأ إسلام طلحة طرف من هذا الذكر.

١٦٦ - قال ابن هشام حدثني بعض أهل العلم: أن عباس بن مرداس لما أتى النبي ﷺ قال له النبي ﷺ: «أنت القائل:

فأصبح نهبي^(١) ونهبُ العيدِ بينَ الأقرع^(٢) وعُيْنَة»

فقال أبو بكر: «بين عيينة والأقرع»، فقال رسول الله ﷺ: «هما واحد»، فقال أبو بكر: «أشهد أنك كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾^(٣)».

ذكر ما جاء في أول من أسلم

١٦٧ - عن علي بن أبي طالب قال: «أول من أسلم من الرجال أبو بكر وأول من صُلّي إلى القبلة علي بن أبي طالب». خرجه ابن السمان في «الموافقة».

١٦٨ - وعن الشعبي قال: سألت ابن عباس وقد سئل: أي الناس كان أول إسلاماً؟ قال: «أما سمعت قول حسان بن ثابت:

إذا تذكّرت شجواً من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكرٍ بما فعلاً
خير البرية أتقّاها وأعدلها بعد النبي وأوفّاها بما حملاً
والثاني التالي المحمود مشهده وأول الناس منهم صدّق الرّسلاً

١٦٩ - ويروى أن رسول الله ﷺ قال لحسان: «هل قلت في أبي بكر شيئاً؟» قال: نعم، فأنشده هذه الأبيات وفيها بيت رابع:

وثاني اثنين في الغار^(٤) المنيف^(٥) وقد طاف العدو بهم إذ صعدا الجبالا

(١) نهب الشيء: أخذه قهراً ويقال إنه لينهب الأرض: أي يسرع في السير.

(٢) الأقرع: جبل بين مكة والمدينة. (معجم البلدان ١/٢٣٦).

(٣) سورة يس، الآية: ٦٩.

(٤) غار ثور: وهو غار في جبل ثور بمكة. (معجم البلدان: ٨٦/٢).

(٥) المنيف: المشرف على غيره.

فَسَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بذلك. وقال: «أحسنت يا حسان». خرجه أبو عمر، وروي أنه ضحك حتى بدت نواجذه ثم قال: «صدقت يا حسان هو كما قلت». خرجه صاحب «الصفة» في فضائله: قال أبو عمر وروي فيها بيت خامس:

وكانَ حُبُّ رسولِ اللَّهِ قد عَلِمُوا من البرِّيَّةِ لم يعدِلْ به رَجُلًا

شرح:

الشجوة: الهم والحزن هذا أصله ولا أرى له وجهاً هنا إلا أن يريد به ما كابده أبو بكر فأطلق عليه شجوة لاقتضائه ذلك أو أراد حزن أبي بكر بما جرى على النبي ﷺ.

النواجد: جمع ناجذ وهو آخر الأضراس وللإنسان أربعة نواجد في أقصى الفم بعد الإرجاء ويسمى ضررس الحلم لأنه ينبت بعد البلوغ وكمال العقل. قاله الجوهري.

أصعد: قال الجوهري: يقال صعد في السلم وصعد في الجبل وعلى الجبل، وأصعد في الأرض أي مضى وسار فاستعاره للجبل وصعد وأصعد في الوادي انحدر.

١٧٠ - وعن فرات بن السائب قال: «قلت لميمون بن مهران: أبو بكر الصديق أول إيماناً بالنبي ﷺ أم علي بن أبي طالب؟ قال: والله لقد آمن أبو بكر بالنبي ﷺ زمن بحيرا الراهب، واختلف فيما بينه وبين خديجة حتى أنكحها إياه، وذلك كله قبل أن يولد علي بن أبي طالب». والمراد بهذا الإيمان اليقين بصدقه، وسيأتي ما يشهد له في الحديث بعده.

١٧١ - عن أبي سعيد الخدري قال: قال أبو بكر «ألست أحق الناس بهذا الأمر؟ ألست أول من أسلم؟ ألست صاحب كذا؟» خرجه البغوي وأبو حاتم.

١٧٢ - وعن ابن عباس: «أن أبا بكر صحب النبي ﷺ وهو ابن ثمان عشرة سنة وهم يريدون الشام في تجارة حتى نزلوا منزلاً فيه سدرة فنزل رسول الله ﷺ في ظلها ومضى أبو بكر إلى راهب يقال له بحيرا يسأله عن الدين. فقال: من الرجل الذي في ظل السدرة؟ فقال: ذاك محمد بن عبد الله قال: والله هذا نبي الله ما استظل تحتها أحد بعد عيسى ابن مريم إلا محمد ﷺ، فوقع في قلب أبي بكر اليقين» - خرجهما في فضائله، وهذا يفسر قول ميمون بن مهران وهو أنه أراد بإسلام أبي بكر ما وقر في قلبه من اليقين، وإلا فالنبي ﷺ تزوج خديجة وسافر إلى الشام قبل مبعثه ﷺ.

١٧٣ - وعن أبي نضرة قال: قال أبو بكر لعلي: «أنا أسلمت قبلك». في حديث طويل فلم ينكر ذلك علي رضي الله عنه. وعنه عن أبي سعيد أن أبا بكر الصديق قال: «ألست أول من أسلم»؟.

١٧٤ - وعن عمار بن ياسر قال: «لقد رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر». خرجه الصوفي عن يحيى بن معين.

١٧٥ - وعن عمرو بن عبسة قال: «أتيت النبي ﷺ وهو بعكاظ فقلت: من معك في هذا الأمر؟ فقال: «حر وعبد» وليس معه إلا أبو بكر وبلال. وقال انطلق حتى يمكن الله لنبيه ثم نجيبه»، وفي بعض طرقه أنه أتاه بمكة فوجد النبي ﷺ مستخفياً وذكر معناه. خرجه مسلم في قصة طويلة من حديث أبي أمامة.

شرح:

عكاظ: اسم سوق للعرب بناحية مكة كانوا يجتمعون فيه كل سنة فيقيمون شهراً ويتبايعون ويتناشدون الشعر ويتفاخرون فلما جاء الإسلام هدم ذلك. قاله الجوهري.

١٧٦ - عن زر عن عبد الله قال: «كان أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب والمقداد وبلال، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمة أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أذراع الحديد وصهروهم في الشمس، فما منهم أحد إلا وأتاهم على ما أرادوا إلا بلال فإنه هانت عليه نفسه في الله عز وجل وهان على قومه فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول أحد أحد». خرجه أحمد في مسنده وابن السري.

شرح:

صهروهم - يقال: صهرته فأنصهر أي: أذنبته فذاب فهو صهير - ومنه «يصهر ما في بطونهم والجلود»^(١) فكأنهم أذابوهم بالشمس، والصهار ما ذاب من الشحم. وعنه أنه قال: أول من أظهر إسلامه بسيفه النبي ﷺ وأبو بكر. خرجه الواحدي.

ذكر أقاويل العلماء في أول من أسلم وبيان اختلافهم والجمع بين الأحاديث المختلفة

لا خلاف بين أهل الأثر أن أبا بكر كان رجلاً لما آمن بالنبي ﷺ، واختلفوا هل كان علي مولوداً حين بعث النبي ﷺ أم لا؟ وممن ذهب إلى أن أبا بكر أول من أسلم ابن عباس وحسان بن ثابت وأبو أروى الدوسي وأسماء بنت أبي بكر والنخعي وابن الماجشون ومحمد بن المنكدر والأحسني ذكره صاحب الصفوة وأبو عمر وغيرهما.

١٧٧ - قال أبو عمر: «وممن ذهب إلى أن علياً أول من أسلم من الرجال سلمان وأبو ذر والمقداد وخباب وجابر وأبو سعيد الخدري وزيد بن الأرقم وهو قول ابن شهاب وعبد الله بن محمد ومحمد بن كعب وقتادة واتفقوا على أن خديجة أول من أسلم مطلقاً».

قال ابن إسحاق: أول ذكر أسلم وصلى وصدق بما جاء به محمد ﷺ علي وهو ابن عشر سنين. وقال أيضاً: أول من أسلم علي ثم زيد بن حارثة ثم أبو بكر ثم أسلم رهط من المسلمين منهم عثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، وكذلك ذكره ابن قتيبة في «المعارف». وقال غيره من أهل العلم أول من أسلم من الرجال أبو بكر وأسلم علي وهو ابن ثمان سنين وأول من أسلم من النساء خديجة - خرجة الترمذي والأولى التوفيق بين الروايات كلها وتصديقها فيقال: أول من أسلم مطلقاً خديجة بنت خويلد وأول ذكر أسلم علي بن أبي طالب وهو صبي لم يبلغ كما تقدم في سنه وكان متخفياً بإسلامه وأول رجل عربي بالغ أسلم وأظهر إسلامه أبو بكر بن أبي قحافة وأول من أسلم من الموالى زيد بن حارثة، وهذا متفق عليه لا خلاف فيه، وعليه يحمل قول علي وغيره أول من أسلم من الرجال أبو بكر أي الرجال البالغين.

١٧٨ - ويؤيد ذلك ما روي عن الحسن قال: «جاء رجل إلى علي بن أبي طالب فقال: يا أمير المؤمنين كيف سبق المهاجرون والأنصار إلى بيعة أبي بكر وأنت أسبق منه سابقة وأورى منه منقبة؟ قال: فقال علي: ويليك إن أبا بكر سبقني إلى أربع لم أوتهن ولم أعتض منهن بشيء، سبقني إلى إفشاء الإسلام، وقدم الهجرة، ومصاحبته في الغار، وأقام الصلاة وأنا يومئذ بالشعب يظهر الإسلام وأخفيه، وتحقرني قريش وتستوفيه، والله لو أن أبا بكر زال عن مزيتة ما بلغ الدين العبرين - يعني: الجانبيين - ولكان الناس ككرة ككرة طالوت، ويليك! إن الله عز وجل ذم الناس ومدح أبا بكر.. فقال ﴿إِلَّا﴾

تَنْصَرُّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ^(١) الآية كلها، فرحمة الله على أبي بكر وأبلغ الله روحه مني السلام»، خرج في «فضائل أبي بكر»، وخرج خيثمة بن سليمان معناه بزيادة ولفظه عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه قال: «أقبل رجل فتخلص الناس حتى وقف على علي بن أبي طالب فقال: يا أمير المؤمنين! ما بال المهاجرين والأنصار قدموا أبا بكر؟ وأنت أوري منه منقبة؟ وأقدم إسلاماً؟ وأسبق سابقة؟ قال: إن كنت قرشياً فأحبك من عائذة. قال: نعم. قال: لولا أن المؤمن عائذ لله لقتلتك، ويحك إن أبا بكر سبقني لأربع لم أوتهن ولم أعتض منهن: سبقني إلى الإمامة أو تقدم الإمامة وتقدم الهجرة وإلى الغار وإفشاء الإسلام»، وذكر معنى ما بقي، وخرجه ابن السمان في «الموافقة» وزاد قوله من عائذة «وأحبك من دؤالة بنسب قال الرجل: أجل»، ثم ذكر معنى ما تقدم وزاد في آخره ثم قال: «لا أجد أحداً يفضلني على أبي بكر إلا جلده جلد المفترى».

شرح:

أورى: من ورى الزند وورى خرجت ناره وظهرت أي: أظهر منقبة وأنور.
والمنقبة: ضد المثلبة^(٢).

والشعب: الطريق في الجبل وهو بالكسرة وهو شعب معروف بشعب بني هاشم بمكة.
وتستوفيه: يريد والله أعلم توفيته حقه من الإعظام والإكرام.
والمزية: الفضيلة أي لو زال من فضيلته بالتقديم على الناس إماماً.

وكرعة: جمع كراع كركبة وراكب من كرع بالفتح يكرع إذا شرب الماء بفيه دون إناء ولعله والله أعلم أراد أن لولا أبو بكر لخالف الناس الدين كما خالفه كركة طالوت بالشرب من النهر الذي نهوا عن الشرب منه والله أعلم.

١٧٩ - وعن محمد بن الحنفية وقد سئل: أكان أبو بكر أول القوم إسلاماً؟ قال «لا». فقل له: فبأي شيء علا وسبق حتى لا يذكر غيره؟ قال: «فإنه أسلم يوم أسلم وكان خيرهم إسلاماً ولم يزل على ذلك حتى توفاه الله تعالى».

وفي رواية قال: «لأنه كان أفضلهم إيماناً حتى قبض». خرجهما ابن السمان في «الموافقة».

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٢) المثلبة: العيب.

١٨٠ - وعن محمد بن كعب وقد سئل عن أول من أسلم: علي؟ أو أبو بكر؟ فقال: «سبحان الله! علي أولهما إسلاماً وإنما شبه علي الناس لأن علياً أعطي السلامة من أبي طالب وأسلم أبو بكر وأظهر إسلامه، ولا شك عندنا أن علياً أولهما إسلاماً». خرج به أبو عمر.

١٨١ - وعنه قال أبو بكر: «أنا أول من أظهر الإسلام وكان علي يكتُم الإسلام فرقاً»^(١) من أبيه حتى لقيه أبو طالب. فقال: أسلمت قال: نعم. قال: آزر ابن عمك وانصره، وأسلم علي قبل أبي بكر». خرج به الحاكمي في الأربعين.

الفصل الخامس: في ذكر من أسلم على يديه

١٨٢ - عن عائشة: أن أبا بكر لما أسلم راح بعثمان بن عفان وطلحة والزبير وسعد فأسلموا ثم جاء الغد بعثمان بن مظعون وأبي عبيدة وعبد الرحمن بن عوف وأبي سلمة والأرقم فأسلموا. خرج به ابن ناصر السلامي.

١٨٣ - قال ابن إسحاق: ولما أسلم أبو بكر أظهر إسلامه ودعا إلى الله ورسوله وكان رجلاً مألُفاً لقومه محبباً سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجلاً تاجراً ذا خلق ومعروف، وكان رجال قريش يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر: لعلمه وتجارته وحسن مجالسته فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه^(٢) ويجلس إليه فأسلم بدعائه فيمن بلغني عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له فأسلموا قال: فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا بالإسلام وصدقوا رسول الله ﷺ يعني: علياً وزيداً وأبا بكر ومن أسلم على يديه».

١٨٤ - وعن محمد بن عبيد بن عمر بن عثمان بن عفان قال: «كان إسلام خالد بن سعيد بن العاص قديماً، وكان أول إخوته، أسلم، وكان بدو إسلامه أنه رأى في النوم أنه واقف على شفير النار فذكر من سعتها ما الله أعلم، ورأى كأن أباه يدفعه فيها، ورأى رسول الله ﷺ آخذاً بحقوقه^(٣) لا يقع ففرع من نومه وقال: أحلف بالله إن هذه لرؤيا

(١) فَرَقًا: جزعاً وخوفاً.

(٢) أغشى فلاناً: حمّله على القدم إلى.

(٣) الْحَقُّ: الْحَقْرُ.

حق، فلقي أبا بكر فذكر له ذلك، فقال أبو بكر: أريد بك خيراً، هذا رسول الله ﷺ فاتبعه، والإسلام يحجزك أن تدخل فيها، وأبوك واقع فيها، فلقي النبي ﷺ وهو بأجباد^(١) فقال: يا محمد إلام تدعو؟ قال: «أدعو إلى الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وتخلع ما أنت عليه» خرجه في «فضائل أبي بكر». وكان أبو بكر رضي الله عنه قد ابتنى مسجداً بفناء داره يصلي فيه ويقرأ القرآن فيجتمع عليه الناس ويستمعون إلى قراءته وينظرون إلى صلاته وبكائه حتى كان ذلك سبب إسلام جماعة وذلك مشهور من خبره.

الفصل السادس: فيما كان بينه وبين النبي ﷺ

من الود والخلة في الجاهلية

١٨٥ - تقدم في بدء إسلامه طرف من ذلك. وعن أبي ميسرة عن ابن شريحيل قال: «كان النبي ﷺ إذا برز سمع من يناديه: «يا محمد». فإذا سمع الصوت انطلق هارباً، فأسر ذلك إلى أبي بكر وكان نديمه في الجاهلية».

١٨٦ - وعنه أن رسول الله ﷺ قال لخديجة: «إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء، وقد والله خشيت أن يكون هذا أمراً». فقالت: معاذ الله ما كان الله ليفعل بك فوالله إنك لتؤدي الأمانة، وتصل الرحم، وتصدق الحديث، فلما دخل أبو بكر وليس رسول الله ﷺ، ثم ذكرت خديجة له حديثه وقالت: «يا عتيق اذهب مع محمد إلى ورقة»، فلما دخل رسول الله ﷺ أخذ أبو بكر بيده فقال: «انطلق بنا إلى ورقة»، فقال: «ومن أخبرك؟» قال: «خديجة»، فانطلقا إليه فقصا عليه، وذكر الحديث المشهور أخرجهما بهذا السياق في «فضائل أبي بكر»، وقول خديجة للنبي ﷺ أخرجه الشيخان وكذلك حديث ورقة وقوله للنبي ﷺ.

الفصل السابع: فيما لقي من أذى المشركين بسبب دعائه إلى الله تعالى ودفعه

المشركين عن النبي ﷺ وتوبيخه لهم

تقدم في ذكر إسلام أمه طرف من ذلك من حديث عائشة.

(١) أجياد: موضع بمكة يلي الصفا. (معجم البلدان: ١/١٠٥).

١٨٧ - وعن أسماء بنت أبي بكر وقيل لها: ما أشد ما رأيت المشركين بلغوا من رسول الله ﷺ؟ فقالت: «كان المشركون قعوداً في المسجد الحرام فتذاكروا رسول الله ﷺ وما يقول في آلهتهم فينما هم كذلك، إذ دخل رسول الله ﷺ المسجد فقاموا إليه وكانوا إذا سألوه عن شيء صدقهم فقالوا: ألسن تقول في آلهتنا كذا؟ وكذا؟ قال: «بلى». قال فتشبثوا به بأجمعهم، فأتى الصريخ أبا بكر، فقيل له: أدرك صاحبك، فخرج أبو بكر فوجد رسول الله ﷺ والناس مجتمعون عليه فقال: «ويلكم! أنقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟»، قال فلهوا عن رسول الله ﷺ وأقبلوا على أبي بكر الصديق يضربونه، قالت: فرجع إلينا، فجعل لا يمس شيئاً من غداثه^(١) إلا جاء معه وهو يقول: «تباركت يا ذا الجلال والإكرام» خرج به أبو عمر وغيره.

شرح:

الغداث: الذوائب واحدها غديرة - قاله الجوهرى.

١٨٨ - وعن القاسم بن محمد قال: «لقي أبو بكر سفيهاً من سفهاء قريش وهو عامد الكعبة: إلى الكعبة، فحشا على رأسه تراباً قال: فمر بأبي بكر الوليد بن المغيرة أو العاص بن وائل، قال: فقال له أبو بكر: ألا ترى إلى ما صنع هذا السفيه؟ قال: أنت فعلت هذا بنفسك - وهو يقول أي رب ما أحلمك، ثلاثاً». خرج به ابن إسحاق.

ذكر دفعه المشركين عن رسول الله ﷺ

١٨٩ - عن عروة بن الزبير قال: سألت عبد الله بن عمرو بن العاص عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ قال: «رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقاً شديداً، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه، فقال: أنقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟». خرج به البخاري وخرجه أيضاً عن عمرو بن العاص نفسه وقال فيه: يصلي في حجر الكعبة. وفي بعض طرقه قال: «أقبل عقبة بن أبي معيط والنبي ﷺ عند الكعبة فلوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً وأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبيه فدفعه عن رسول الله ﷺ وقال الحديث».

١٩٠ - وعن عمرو بن العاص قال: «ما نيل من رسول الله ﷺ ما نيل منه ذات

(١) الغداث: جمع غديرة وهي الذؤابة المضفورة من الشعر.

يوم طاف بالبيت ضحى، فدخلوا عليه فقطعوا عليه الطواف وأخذوا بمنكيه وقالوا: أنت الذين تنهانا أن نعبد ما يعبد آبائنا قال: هو ذاك وأبو بكر ملتزمه من خلفه ويقول: أقتلوني رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟ وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم، وعيناه تهملان حتى خلوا سبيله». عمرو بن العاص كان مشاهداً هذه القصة وابنه عبد الله أرسله عنه، ولم يكن مشاهداً.

شرح:

تلبيه: وهو ما يجمع من ثوبه عند صدره ونحره في الخصومة ثم يجر به يقال لبنته تلبياً واللبة المنحر.

١٩١ - وعن جابر بن عبد الله قال: «ضرب المشركون رسول الله ﷺ مرة حتى غشي عليه، فجاء أبو بكر فقال: سبحان الله أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ فقالوا: من هذا؟ قال ابن أبي قحافة المجنون» خرج في فضائله.

١٩٢ - وعن أسماء بنت أبي بكر قالت: «لما نزلت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾^(١)، أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول:

مذمماً أبينا ودينه قلينا وأمره عصينا

والنبي ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله! قد أقبلت وإنني أخاف أن تراك، قال رسول الله ﷺ: «إني لن تراني»، وقرأ قرآناً فاعتصم به كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرَأَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتوراً﴾^(٢) فوقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ، فقالت يا أبا بكر: إن صاحبك هجاني، قال: لا ورب هذا البيت ما هجأك. قال: فقلت وهي تقول: قد علمت قريش أنني ابنة سيدها». خرج في فضائل أبي بكر بهذا السياق ومعناه عند ابن إسحاق وقال بعد قولها: بلغني أنه يهجوني والله لو وجدته لضربته بهذا الفهر.

شرح:

اللولوة: رفع الصوت تقول ولولت المرأة للولة ولولاً إذا أعولت.

(١) سورة المسد، الآية: ١.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٤٥.

والفهر: الحجر ملء الكف يذكر ويؤنث والجمع أفهار. واعتصم: امتنع.

١٩٣ - قال ابن إسحاق وكانت قريش تسمي رسول الله ﷺ مذمماً ثم يسبونه وكان رسول الله ﷺ يقول: «ألا تعجبون مما صرف الله عني من أذى قريش يسبون ويهجون مذمماً وأنا محمد».

١٩٤ - وعنها: «أن أم جميل دخلت على أبي بكر وعنده رسول الله ﷺ فقالت: يا ابن أبي قحافة! ما شأن صاحبك ينشد في الشعر فقال: والله ما صاحبي بشاعر. فقالت: أليس قد قال ﴿في جديها جبل من مسد﴾، فما يدريه ما جيدها فقال النبي ﷺ: «قل لها هل ترين عندي أحداً فإنها لن تراني جعل الله بيني وبينها حجاباً». فقال لها: أبو بكر فقالت: أتهازأ بي يا ابن أبي قحافة والله ما أرى عندك أحداً خرج في فضائله أيضاً».

شرح:

المسد: بالتحريك: الليف.

والجيد: العنق.

ذكر إخراج المشركين أبا بكر وجوار ابن الدغنة له

١٩٥ - عن عائشة قالت: «لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشيا فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: «أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض فأعبد ربي» فقال ابن الدغنة: مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يُخرج إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل^(١) وتقري^(٢) الضيف وتعين على نوائب الحق فارجع فاعبد ربك ببلدك، فارتحل ابن الدغنة ورجع مع أبي بكر فطاف ابن الدغنة في كفار قريش فقال: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج أنخرجون رجلاً يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق؟ فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة، وأمنوا أبا بكر، وقالوا لابن الدغنة: مُر أبا بكر فليعبد ربه في داره، وليصل مهما

(١) الكل: الضعيف.

(٢) قرّ: سكن واطمأن، أي تضيف وتكرم.

شاء، وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا، ولا يشتغلن بالصلاة والقراءة في غير داره، ففعل.

ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً في فناء داره فكان يصلي فيه، ويقف عليه نساء المشركين وأبناءؤهم، يعجبون منه، وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاء لا يملك دموعه حين يقرأ القرآن فأفزع ذلك أشراف قريش فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا: إنا أجزنا لك أبا بكر على أن يعبد الله في داره وأنه جاوز ذلك وابتنى مسجداً بفناء داره وأعلن بالصلاة وإنا خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد الله في داره فعل وإن أبى إلا أن يعلن ذلك فسله أن يرد عليك ذمتك فإننا قد كرهنا أن نخفرك^(١) ولسنا مقرين لأبي بكر بالاستعلان، فأتى ابن الدغنة أبا بكر فقال: يا أبا بكر! قد علمت الذي قد عقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترد ذمتي فإنني لا أحب أن تسمع العرب أنني أخفرت في عقد رجل عقدت له قال أبو بكر: «فإني أرد عليك جوارك، وأرضى بجوار الله ورسوله» ورسول الله ﷺ يومئذ بمكة. أخرجه البخاري وأبو حاتم وخرجه ابن إسحاق وقال: استأذن أبو بكر رسول الله ﷺ في الهجرة فأذن له فخرج أبو بكر مهاجراً حتى إذا سار من مكة يوماً أو يومين لقيه ابن الدغنة ثم ذكر معناه وقال الله! إنك لزين العشيرة وذكر معنى ما بقي.

شرح:

برك الغماد: بفتح الباء وتكسر وبضم الغين وتكسر وهو اسم موضع باليمن. وقيل: هو موضع وراء مكة بخمس ليالٍ. ذكره أبو موسى المدني.

وابن الدغنة: بفتح الدال وكسر الغين المعجمة وتخفيف النون بعدها هكذا قيده جمهور الحفاظ ويقال بضم الدال والغين وتشديد النون بوزن دجنة وهو الأكثر عن مؤرخي المغازي ويقال: بفتح الدال وسكون الغين وهو تقييد أهل اللغة.

الفصل الثامن: في هجرته مع النبي ﷺ وخدمته له فيها

وما جرى لهما في الطريق وما جرى لهما في الغار ومقدمهما المدينة

ذكر خروجهما من مكة طالبيين غار ثور وما يتعلق بذلك

١٩٦ - عن عائشة قالت: قال رسول الله: «قد رأيت دار هجرتكم أريت سبخة

(١) خفر بفلان: نقض عهده وغدر به.

ذات نخل بين لابتين»، وهما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة حتى ذكر رسول الله ﷺ ورجع إلى المدينة بعض من كان هاجر إلى الحبشة من المسلمين، وتجهز أبو بكر مهاجراً، فقال له رسول الله ﷺ: «على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي»، قال أبو بكر: وترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: «نعم!». فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ لصحته وعلف راحلتين كانتا عنده - وَرَقَ السَّمُرُ^(١) أربعة أشهر، قالت عائشة: فبينما نحن جلوس يوماً في بيتنا في نحر الظهيرة إذ قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ مقبل متقنع في ساعة لم يكن يأتينا فيها، قال أبو بكر: فداه أبي وأمي، إن جاء به في هذه الساعة لأمر، قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فدخل فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «أخرج من عندك»، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك، بأبي أنت يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «قد أذن لي في الخروج». قال أبو بكر: فالصحة بأبي أنت يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم». فقال أبو بكر: بأبي أنت يا رسول الله، فخذ إحدى راحلتي هاتين، فقال رسول الله ﷺ: «بالثمن» قالت عائشة فجهازهم أحسن الجهاز. وصنعنا لهم سفرة^(٢) في جراب^(٣)، وقطعت أسماء بنت أبي بكر من نطاقها وأوكت به الجراب، ولذلك سميت ذات النطاق ولحق رسول الله ﷺ بغار في جبل يقال له ثور فمكثا فيه ثلاث ليالٍ. خرج به البخاري وأبو حاتم وزاد في بعض طرق البخاري «بييت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما سحراً فيصبح عند قريش كبائت فلا يسمع أمراً يكادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى لأبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حيث يذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل وهو لبن منحتها ورضيفهما، حتى ينفق ثمنه عامر بغلس^(٤) يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستأجر رسول الله ﷺ رجلاً من بني الدئل هادياً خريئاً، والخريت الماهر في الهداية قد غمس حلفاً في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعنا إليه راحلتيهما ووعداه غار ثور بعد ثلاث، فأتاها براحلتيهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق الساحل، وفي رواية قد غمس يده في حلف بن العاص ابن وائل وفيها فأخذ بهم طريق أذاخر^(٥) طريق

(١) السَّمُرُ: ضرب من شجر الطَّلح.

(٢) السَّفَرَةُ: طعام يصنع للمسافر.

(٣) الجَرَاب: وعاء يحفظ فيه الزاد.

(٤) الغَلَسُ: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح.

(٥) أذاخر: راجع معجم البلدان (١/١٢٧).

الساحل . وعند أبي حاتم قال أبو بكر: عندي ناقتان قد كنت أعددتكما للخروج قالت: فأعطى النبي ﷺ إحداهما وهي الجدعاء فركبا حتى أتيا الغار ثم ذكر ما بعده .

شرح:

السيخة: واحدة السباخ وأرض سيخة بكسر الباء ذات سباح .

على رسلك: مهلك وتؤدتك .

نحر الظهيرة: الظهيرة الهاجرة ونحر النهار أوله فلعله أراد أول الهاجرة وإن كان سياق اللفظ يشعر بأن المراد شدة الظهيرة .

النطاق: شدة تلبها المرأة وتشد وسطها ثم ترسل الأعلى على الأسفل إلى الركبة والأسفل ينجر على الأرض وليس لها حزمة ولا نيفق ولا ساقان والجمع نطق يقال: انتطقت المرأة إذا لبست النطاق وانتطق الرجل إذا لبس المنطقة وهو كل ما شددت به وسطك، قاله الجوهري .

ثقف: حاذق خفيف بزنة ضخم من ثقف ثقافة وثقف كخدر وخدر أو من ثقف ثقفاً كنعب نعباً لغتان فيه .

ولقن: سريع الفهم والتلقين التفهيم .

يدلج: أدلج القوم إذا ساروا أول الليل وأدلجوا بالتشديد ساروا آخره والاسم الدلجة بضم الدال وفتحها فيهما .

منحة: أصلها العطية، ومنيحة اللبن أن تعطي الناقة أو الشاة أحداً غيرك يحلبها ثم يردها إليك فيجوز أن يكون لأبي بكر منحة من غيره ويجوز أن يكون سماها بملكها منحة توسعاً، وقد استعمل ذلك فيما بعد الشرب وإن كان مملوكاً وهو المراد هنا والله أعلم .

يريحها: أراح ماشيته إذ ردها إلى المراح وكذلك الترويح ولا يكون إلا بعد الزوال .

الرسل: بالكسر اللبن وأرسل القوم صاروا ذا رسل .

والرضيف: اللبن يغلي بالرضف وهي الحجارة المحماة ورضفه قواه بالرضف .

خريئاً أي: دليلاً حاذقاً كما فسر في الحديث وخرت الأرض إذا عرف طرقها وقوله ﷺ لأبي بكر لما عرض عليه الراحلة بالثمن لم يكن ذلك والله أعلم إلا لأن يخلص ثواب الهجرة له لا يشركه أحد في ثوابها وإلا فقد كان ﷺ يحكم في مال أبي بكر كما يحكم في مال نفسه على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

١٩٧ - وقد ذكر ابن إسحاق أن أبا بكر لما قدم الراحلتين إلى رسول الله ﷺ قدم

أفضلهما له، وقال: اركب فذاك أبي وأمي فقال ﷺ: «إني لا أركب بغيراً ليس لي» .

قال: فهي لك يا رسول الله، قال: «لا ولكن بالثمن الذي ابتعتها به»، قال: كذا وكذا

قال: «قد أخذتها بذلك» . فقد بين في هذا سبب الامتناع من قبولها مجاناً وهو أنه لا

يركب بعيراً ليس له، وما ذاك والله أعلم إلا للمعنى الذي ذكرناه آنفاً، لأنه لا يركب بعيراً إلا في طاعة وعبادة، ولا تضاد بين هذا وحديث عائشة المتقدم، وأن هذا القول كان منه في بيت أبي بكر لجواز أن الحديث في ذلك تكرر ويشهد لهذا أن الأول لم يكن فيه تباعٍ وإنما وعد به.. والثاني تضمن العقد والتملك بالثمن والله أعلم.

١٩٨ - وعنها أيضاً أنها قالت: «كان لا يخطيء رسول الله ﷺ بيت أبي بكر أحد طرفي النهار إما بكرة وإما عشية، حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه لرسول الله ﷺ في الهجرة أتانا رسول الله ﷺ بالهجرة ثم ذكرت معنى ما تقدم؛ وقالت بعد قولها: فقال أبو بكر الصحبة يا رسول الله؟ فقال «الصحبة».

قالت: فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ - خرج ابن إسحاق ولم يعلم أحد فيما بلغني بخروج رسول الله ﷺ إلا علي بن أبي طالب، فإن رسول الله ﷺ أخبره بخروجه وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله ﷺ ليس أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من أمانته وصدقه، فلما أجمع على الخروج أتى أبا بكر فخرج من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته ثم عمد إلى غار بثور: جبل بأسفل مكة، وأمر أبو بكر عبد الله بن أبي بكر أن يستمع لهما ما يقول الناس نهاراً ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون من الخبر. وأمر عامر بن فهيرة مولاة أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما إذا أمسى في الغار، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما، فأقام رسول الله ﷺ في الغار ثلاثة أيام ومعه أبو بكر، وجعلت قریش حين فقدوه مائة ناقة لمن رده عليهم، حتى إذا مضت الثلاث وسكن عنهما الناس، أتاهما صاحبهما الذي استأجراه بعيرهما وبغير له، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر بسفرتهم ونسيت أن تجعل لها عصاماً، فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة فإذا ليس فيها عصام فتحل نطاقتها فتجعله عصاماً ثم علقته به فكان يقال لها ذات النطاق لذلك.

١٩٩ - قال ابن هشام: وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول ذات النطاقين وتفسيره أنها شقت نطاقتها بائنتين فعلمت السفرة بواحدة وانتطقت بالأخرى وعن أسماء أنها قالت: «صنعت سفرة رسول الله ﷺ في بيت أبي بكر حين أراد أن يهاجر إلى المدينة، قالت: فلم نجد لسفرته ولا لسقائه ما نربطهما به. قالت: فقلت لأبي بكر: والله ما أجد شيئاً أربط به إلا نطاقي. قالت: قال: شقيه بائنتين فاربطي بأحدهما السقاء وبالأخر السفرة، فلذلك سميت ذات النطاقين». خرج البخاري.

٢٠٠ - وفي رواية عند ابن السمان في كتاب «الموافقة» أن أبا بكر دفع إلى أسماء دراهم وقال: «ابتاعي بهذا سفرة رسول الله ﷺ، وابتاعي به خبزاً ولحماً، فإن رسول الله ﷺ يعجبه اللحم»، ثم ذكر انطلقهم إلى الغار، وقال فدخل أبو بكر الغار فلم ير فيه جحراً إلا أدخل أصبعه فيه حتى أتى على جحر كبير، فأدخل رجله فيه إلى فخذيه، ثم قال: ادخل يا رسول الله فقد مهدت لك الموضع تمهيداً.

قال: ثم إن المشركين خرجوا بأجمعهم ينظرون إلى أثر قدم رسول الله ﷺ وكان شثن^(١) الكفين والقدمين حتى أتوا منزل أبي بكر وأسماء تعالج اللحم فأخرجت المصباح ليغلب رائحة الإدام، فسألوا أسماء فقالت: إني مشغولة في عمل فانطلقوا وجعلوا فيه مائة ناقة لمن قتله، وأقبلوا إلى باب الغار فعفا الله أثره وأثر أبي بكر، فلم يستبن لهم، وقعد رجل منهم يبول فقال أبو بكر: يا رسول الله! قد رأنا القوم؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا يا أبا بكر ما رأونا ولو رأونا ما قعد ذلك يبول بين أيدينا»، فتفرقوا، وبات أبو بكر بليلة منكراً من الأفعى، فلما أصبح قال له رسول الله ﷺ: «ما هذا يا أبا بكر؟». وقد تورم جسده، فقال يا رسول الله: الأفعى. فقال له رسول الله ﷺ: «فهلا أعلمتني؟» فقال أبو بكر: كرهت أن أفسد عليك. قال فأمر رسول الله ﷺ يده على أبي بكر فاضمحل ما كان بجسده من الألم وكأنه أنشط من عقال^(٢). ثم ذكر ما بعده.

٢٠١ - وعنها قالت: لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر أتانا نفر من قريش وفيهم أبو جهل بن هشام فوقفوا على باب أبي بكر فخرجت إليهم فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ قالت: قلت: لا أدري والله أين أبي. قالت فرفع أبو جهل يده وكان فاحشاً خبيثاً فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي. قالت: ثم انصرفوا فمكثنا ثلاث ليالٍ لا ندري أين وجه رسول الله ﷺ، حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتغنّى بأبيات من شعر غناء العرب وإن الناس ليتبعونه يسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلى مكة يقول:

جزى الله رب الناس خيراً جزائه رفيقين حلاً خيمتي أم معبد
همانزلاً بالبر ثم تروحاً فأفلح من أمسى رفيق محمد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ومقعدهما للمؤمنين بمرصد

(١) شثن الكفين: خشنة غليظة.

(٢) العقال: الحبل الذي يُعقَل به البعير.

خرجه ابن إسحاق، وسيأتي قصة أم معبد مستوفاة في الذكر الثالث من هذا الفصل إن شاء الله تعالى . .

شرح:

القرط: هو الذي يعلق في شحمة الأذن والجمع قرطة وقرط كرمح ورماح، وإتيان قریش هذا بنت أبي بكر الظاهر أنه غير الأول الذي تضمنه حديثها من رواية ابن السمان وأن هذا كان بعد اليأس منهم، ألا تراها تقسم بالله أنها لا تعلم أين وجهه؟ وفي ذلك الوقت كانت تعلم أنه بالغار: لأنها كانت تأتيهم بالطعام على ما تقدم بيانه، وقولها أقمنا ثلاثاً لا نعلم أين وجه رسول الله ﷺ أي بعد توجههما للغار والله أعلم.

ويجوز أن يكون ذلك الأول أو بعده قريباً منه وهم بالغار ولم تكن علمت حينئذ ثم علمت بعد إلا أن قولها فأقمنا ثلاثاً لا نعلم لا يجوز حملها على الثلاث الأول. فإنها مدة مقامهم في الغار وقد كانت عالمة بهم، فيكون سؤالهم عنه في تلك وهو الظاهر من حال الباحث عن شيء. ويكون قولها فأقمنا ثلاثاً أي: بعد علمها بهم أولاً ثم ارتحالهم من الغار والله أعلم.

٢٠٢ - قال ابن إسحاق: لما بايع رسول الله ﷺ الأنصار وأمر أصحابه بالهجرة إلى المدينة وقال: «إن الله جعل لكم إخواناً وداراً يأمنون بها» فخرجوا أرسالاً^(١) وأقام النبي ﷺ ينتظر أن يؤذن له ولم يتخلف معه من أصحابه إلا من حُبس أو فُتن إلا علي بن أبي طالب، وأبو بكر بن أبي قحافة، وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، فيقول له رسول الله ﷺ: «لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحباً» فيطمع أبو بكر أن يكون إياه.

وعن علي قال: جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال له: «من يهاجر معي؟» فقال: أبو بكر وهو الصديق - خرجه ابن السمان في «الموافقة».

ذكر الغار وما جرى لأبي بكر مع النبي ﷺ فيه وفي طريقة وتقدم في الذكر قبله طرف منه

٢٠٣ - وعن أنس أن أبا بكر رضي الله عنه حدثهم قال: «قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار: لو أراد أحدهم أن ينظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه، فقال ﷺ: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟». خرجه أبو حاتم.

(١) أرسال جمع الرسل: الجماعة من الناس.

٢٠٤ - وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد ذكر عنده أبو بكر فبكى وقال: «وددت لو أن عملي كله من عمله يوماً واحداً من أيامه، وليلة من ليلاته، أما الليلة فليلة سار مع رسول الله ﷺ إلى الغار فلما انتهينا إليه قال: والله لا تدخله حتى أدخل قبلك فإن كان فيه شيء أصابني دونك فدخله فكسحه فوجد في جوانبه ثقباً فشق إزاره وسد بها تلك الثقب وبقي منها اثنان فألقمهما رجله ثم قال لرسول الله ﷺ: ادخل، فدخل رسول الله ﷺ فوضع رأسه في حجره ونام فلدغ أبو بكر في رجله من الحجر، ولم يتحرك مخافة أن يستنبه رسول الله ﷺ، فسقطت دموعه على وجه رسول الله ﷺ، فانتبه رسول الله ﷺ فقال: «ما لك يا أبا بكر؟»، قال: لدغت فداك أبي وأمي، فتفل^(١) عليه رسول الله ﷺ، فذهب ما يجده، ثم انتفض عليه فكان سبب موته، فلما قبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب وقالوا: لا نؤدي زكاة، فقال: «لو منعوني عقلاً لجاهدتهم عليه»، فقلت: يا خليفة رسول الله تألف^(٢) الناس وارفق بهم فقال: «أجبار في الجاهلية وبخوار^(٣) في الإسلام؟ إنه قد انقطع الوحي وتم الدين ثم انتفض وأنا حي» خرجه النسائي.

٢٠٥ - وخرج في «الصفوة» منه قصة الغار عن أنس وقال في آخره: «فلما أصبح قال رسول الله ﷺ: «فأين ثوبك يا أبا بكر؟»، فأخبره بالذي صنع فرفع النبي ﷺ يديه وقال: «اللهم اجعل أبا بكر في درجتي يوم القيامة»، فأوحى الله سبحانه إليه أن الله قد استجاب لك».

٢٠٦ - وخرجه الحافظ أبو الحسن بن بشران والملاء في سيرته عن ميمون بن مهران عن ضبة بن محصن الغنوي قال: «كان علينا أبو موسى أميراً بالبصرة^(٤) فكان إذا خطبنا حمد الله عز وجل وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم بدأ يدعو لعمر. قال: فأغاظني ذلك منه فقممت إليه. فقلت له: أين أنت عن صاحبه تفضله عليه! قال: فصنع ذلك ثلاث جمع ثم كتب إلى عمر يشكوني ويقول: إن ضبة بن محصن الغنوي يتعرض لي في خطبتي قال: فكتب إليه عمر «أن أشخصه^(٥) لي»، قال: فأشخصني إليه، فقدمت

(١) تفل: بصق.

(٢) تألف الناس: استملهم.

(٣) خار فلان فهو خائر: ضعف وانكسر.

(٤) البصرة: مدينة كبيرة في العراق وقد تم تمصيرها في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. (معجم البلدان ١/ ٤٣٠).

(٥) أشخص فلاناً إليه: بعث به.

على عمر فدققت عليه فخرج إلي فقال: «من أنت؟»، فقلت أنا ضبة بن محصن الغنوي قال «فلا مرحباً ولا أهلاً»، قال: قلت: أما الرحب فمن الله عز وجل وأما الأهل فلا أهل ولا مال، فبم استحلت يا عمر إشخاصي من مصري بلا ذنب أذنبته؟ قال: «فما الذي شجر بينك وبين عاملك؟» قال: قلت: الآن أخبرك يا أمير المؤمنين: كان إذا خطبنا فحمد الله عز وجل وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ بدأ يدعو لك فأغاظني ذلك منه قال فقمتم إليه وقلت له: أين أنت عن صاحبه تفضله عليه؟ فصنع ذلك ثلاث جمع، ثم كتب إليك يشكوني، قال: فاندفع عمر باكياً فجعلت أرثي له ثم قال: أنت والله أوثق عنه وأرشد فهل أنت غافر لي ذنبي يغفر الله لك؟» قال: قلت: غفر الله لك يا أمير المؤمنين ثم اندفع باكياً وهو يقول: «والله الليلة من أبي بكر خير من عمر، هل لك أن أحدثك بيومه وليته؟»، قال: قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: «أما الليلة فلما خرج النبي ﷺ هارباً من أهل مكة خرج ليلاً فتبعه أبو بكر فجعل يمشي مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره فقال له رسول الله ﷺ: «ما هذا يا أبا بكر؟ ما أعرف هذا من فعلك؟»، قال: «يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك وأذكر الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك»، قال: فمشى رسول الله ﷺ ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت رجلاه. فلما رأى أبو بكر أنها قد حفيت حمله على كاهله وجعل يشتد به حتى أتى به فم الغار فأنزله، ثم قال: «والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله فإن كان فيه شيء نزل بي قبلك»، فدخل فلم ير فيه شيئاً، فحمله، وكان في الغار خروق فيها حيات وأفاعي، فخشي أبو بكر أن يخرج منها شيء يؤذي رسول الله ﷺ فألقمه قدمه فجعلن يضربنه ويلسعنه: الحيات والأفاعي، وجعلت دموعه تتحادر، ورسول الله ﷺ يقول له: «يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا» فأنزل الله سكينته وهي طمأنينة لأبي بكر فهذه ليلته. وأما يومه فلما توفي رسول الله ﷺ فذكر مثل ما تقدم، وقال في آخره ثم كتب إلى أبي موسى يلومه. خرج الملاء في سيرته، وصاحب فضائله، وخرج الخجندي معناه وزاد بعد قوله أذكر الرصد فأكون أمامك وأذكر الطلب فأكون خلفك إلى آخره فقال: «يا أبا بكر لو كان شيء أحببت أن يكون بك؟» قال: نعم، والذي بعثك بالحق، ثم ذكر معنى ما بعده، ثم قال بعد ذكر سد الجحرة: إنزل يا رسول الله، فنزل ثم قال عمر: «والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر».

شرح:

الغار: الكهف في الجبل والجمع غيران.

كحه: كنسه، والمكحة: المكنة.

طمأنينة: هكذا قيد في الحديث تقول: اطمأن الرجل اطميناناً وطمأنينة من غير همز عند إلحاق الهاء إذا سكن قاله الجوهري.

تففل: التففل شبيه بالبزق وهو أقل منه أوله البزق ثم التففل ثم النفث ثم النفخ تقول منه تففل بتفل بضم الفاء وكسرهما قاله الجوهري.

الخوار: الضعيف من الخور بالتحريك يقال: رجل خوار وأرض خوارة ورمح خوار والجمع

خور.

أشخصه: من شخص من بلد إلى بلد شخصاً إذا ذهب وأشخصه غيره.

مرحباً: من الرحب بالضم السعة وفلان رحب الصدر أي واسعه وقولهم مرحباً وأهلاً أي أتيت

سعة وأتيت أهلاً فاستأنس ولا تسوحن.

شجر بينك وبين عاملك أي: اختلف، واشتجر القوم وتشاجروا أي تنازعوا والمشاجرة

المنازعة.

الرصد: بالتحريك القوم يرصدون كالحرس يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث

وربما قالوا في الجميع أرصاد، وبالإسكان مصدر رصدت الشيء أرصده رصداً ورصداً أيضاً إذا راقبته.

حفيت رجله: أي رقت من كثرة المشي ويشبه أن يكون ذلك من خشونة الجبل وكان حافياً وإلا

فلا يحتمل بعد الإمكان ذلك.

٢٠٧ - ويؤيد ذلك ما روته عائشة قالت: «قال لي أبو بكر: «لو رأيته ورسول

الله ﷺ إذ صعدنا الغار فأما قدما رسول الله ﷺ فقطرتا دماً وأما قدماي فعادتا كأنهما

صفوان»^(١)، وقالت عائشة: إن رسول الله ﷺ لم يتعود الحفية^(٢) ولا الرعبة ولا الشقوة»

خرجه في فضائله أو لعلمهم ضلوا طريق الغار حتى بعدت المسافة ويدل عليه قوله فمشى

رسول الله ﷺ ليلته ولا يحتمل ذلك مشي ليلة إلا بتقدير ذلك أو سلوك غير الطريق تعمية

على الطلب.

(١) الصفوان: الصخر الأملس.

(٢) الحَفِيَّة: المشي بلا خُف ولا نعل.

الكاهل: الحارك وهو ما بين الكتفين قال ﷺ: «تميم كاهل مضر وعليها المحمل». الأفاعي: جمع أفعى وهي الحية تقول هذه أفعى بالتونين وكذلك أروى قاله الجوهري وفي قوله: إنزل يا رسول الله دليل على أن باب الغار كان من أعلاه.

ويؤيده أن في حديث الخجندي أن أبا بكر لما دخل الغار وخرج حتى إذا كان في أعلاه ذكر أنه لم يستبرئ الجحرة فقال: «مكانك يا رسول الله حتى استبرئ الجحرة»، فدخل فاستبرأها ثم قال: «انزل يا رسول الله»، وقول عمر خير من آل عمر يعني: نفسه ومنه ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾^(١)، أي داود نفسه.

٢٠٨ - وعن ابن عباس قال: «لما كانت ليلة رسول الله ﷺ في الغار قال لصاحبه أبي بكر: «أنائم أنت؟» قال: لا! وقد رأيت صنيعك وتقلبك يا رسول الله فما بالك بأبي أنت وأمي، قال: «جحر رأيته قد انهار فخشيت أن تخرج منه هامة تؤذيك أو تؤذي»، فقال أبو بكر: يا رسول الله فأين هو؟ فأخبره فسد الجحر وألقمه عقبه، فقال رسول الله ﷺ: «رحمك الله من صديق صدقتني حين كذبتني الناس، ونصرتني حين خذلني الناس، وآمنت بي حين كفر بي الناس، وأنستني في وحشتي فأبي من لأحد عليّ كمثلك». خرج في فضائله.

شرح:

الهامة: مخفف من طير الليل وهو الصدى والجمع هام قاله الجوهري فلعله أراد ذلك لأنهم أتوا الغار ليلاً أو أراد دواب الأرض استعارة من ذلك.

٢٠٩ - وعن جابر بن عبد الله أن أبا بكر الصديق لما ذهب مع رسول الله ﷺ إلى الغار فدخل أبو بكر، ثم قال: كما أنت يا رسول الله، فضرب برجله فأطار اليمام يعني الحمام الطوري وطاف فلم ير شيئاً فقال: تدخل يا رسول الله فدخل فإذا في الغار جحر فألقمه أبو بكر عقبه مخافة أن يخرج على رسول الله ﷺ شيء وغزل العنكبوت على الغار وذهب الطلب في كل مكان فمروا على الغار فأشفق أبو بكر منهم فقال رسول الله ﷺ: «لا تحزن إن الله معنا».

٢١٠ - وعن جندب بن عبد الله بن سفيان العلقمي قال: «لما انطلق أبو بكر مع النبي ﷺ إلى الغار فأصاب يده شيء فجعل يمسح الدم من أصبعه ويقول:

هَلْ أَنْتَ إِلَّا أَصْبَعٌ دَمِيَتْ وَفِي يَلِ اللَّوْ مَا لَقِيَتْ»

شرح:

في جندب: لغتان ضم الدال وفتحها وسفیان جده نسب إليه وجندب هذا نزل الكوفة فيمن نزلها من أصحاب رسول الله ﷺ ثم صار إلى البصرة ثم خرج عنها .
والعلقي: منسوب إلى علق فخذ من بجيلة خرج في فضائله .

٢١١ - وعن أنس أن أبا بكر حدثه قال: قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار: «لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه»، فقال: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟»، أخرجاه وأبو حاتم وغيرهم بطرق كثيرة وفيه دلالة على ما تقدم من أن باب الغار كان من أعلاه .

٢١٢ - وعن أبي مصعب المكي قال: «أدركت أنس بن مالك وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة وسمعتهم يتحدثون عن النبي ﷺ في ليلة الغار، قال: فأمر الله عز وجل شجرة فنتت في وجه رسول الله ﷺ فسترته وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار فأقبل فتیان من قريش من كل بطن رجل بعصيتهم وهراواتهم وسيوفهم حتى إذا كانوا من النبي ﷺ بقدر أربعين ذراعاً فجاء رجل منهم لينظر في الغار فرأى الحمامتين بفم الغار فرجع إلى أصحابه فقالوا: مالك لم تنظر في الغار قال: حمامتين بفم الغار فعلمت أن ليس فيه أحد فسمع النبي ﷺ ما قال فعرف أن الله ذرأ بهما فدعا لهن النبي ﷺ وشمت عليهن وفرض جزاءهن وانحدرن في الحرم» خرج في فضائله .

شرح:

الهرأوة: العصي الضخمة والجمع الهراوي بفتح الواو بزنة مطايا كما في الأداة وهروته بالهرأوة وتهريته أي ضربته بها .
شمت عليهن: أي برك عليهن ومنه الحديث «شمتوا في الطعام» أي إذا فرغتم فادعوا بالبركة لمن طعمتم عنده ومنه تسميت العاطس .

٢١٣ - قال أبو عمر: واختلفوا في مكث رسول الله ﷺ وأبي بكر في الغار، فيروى عن مجاهد ما روته عائشة في الحديث المتقدم في الباب قبله فمكثا فيه ثلاث ليالٍ وعليه جمهور المحدثين .

٢١٤ - وروي في حديث مرسل أن النبي ﷺ قال: «مكثت مع صاحبي في الغار بضعة عشر يوماً ما لنا طعام إلا تمر البرير»، يعني ثمر الأراك، ولا يصح هذا، وحمله

على غار ثور غلط، فإنه كان طعامهم فيه ما تقدم ذكره وإنما كانت هذه القصة والله أعلم أيام كان ﷺ يعرض نفسه على قبائل العرب يدعوهم إلى الله عز وجل ويروى أن ثمر البرير كان طعام النبي ﷺ وصاحبه في سفر الهجرة.

٢١٥ - عن سعد بن هشام قال: لما قدم النبي ﷺ صلى بهم فقام رجل فقال: يا رسول الله أحرق بطوننا التمر فقال رسول الله ﷺ: «إني خرجت أنا وصاحبي هذا - يعني أبا بكر - ليس لنا طعام إلا حب البرير فقدمنا على إخواننا الأنصار فواسونا في طعامهم وكان جل طعامهم التمر، وإيم الله لو أجد لكم الخبز لأطعمتكموه» خرجه في فضائله وسعد بن هشام تابعي يروي عن الزهري وأنس وعائشة.

٢١٦ - وعن ابن عباس قال: «كان أبو بكر مع النبي ﷺ في الغار فعطش عطشاً شديداً فشكا إلى النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: «أذهب إلى صدر الغار فاشرب». قال أبو بكر: فانطلقت فشربت ماء أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأزكى رائحة من المسك، ثم عدت إلى النبي ﷺ فقال: «شربت؟» قلت: نعم. قال: «ألا أبشرك يا أبا بكر؟»، قلت: بلى يا رسول الله، قال: «إن الله تبارك وتعالى أمر الملك الموكل بأنهار الجنة أن أخرق نهراً من جنة الفردوس إلى صدر الغار ليشرب أبو بكر». فقلت: «يا رسول الله: ولي عند الله هذه المنزلة؟»، فقال النبي ﷺ: «نعم وأفضل والذي بعثني بالحق نبياً لا يدخل الجنة مبغضك ولو كان له عمل سبعين نبياً». خرجه الملاء في سيرته.

ذكر توجههما طالبيين المدينة وما جرى لهما في الطريق

ومقدمهما المدينة وما تعلق بذلك

٢١٧ - عن البراء بن عازب قال: «اشترى أبو بكر من عازب رحلاً بثلاثة عشر درهماً فقال أبو بكر لعازب: مر البراء فليحمله إلى أهلي فقال: لا حتى تحدثني كيف صنعت أنت ورسول الله ﷺ حين خرجتما من مكة والمشركون يطلبونكم، فقال: ارتحلنا من مكة فأحيينا ليلتنا حتى إذا أظهرنا وقام قائم الظهيرة رميت ببصري هل أرى ظلاً ناوي إليه فإذا أنا بصخرة فانتهيت إليها فإذا بقية ظلها فسويته، ثم فرشت للنبي ﷺ ثم قلت: اضطجع يا رسول الله فاضطجع ثم ذهبت أنظر هل أرى من الطلب أحداً فإذا أنا براعي غنم يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها مثل الذي نريد - يعني الظل - فسألته: فقلت: لمن

أنت يا غلام؟ فقال الغلام: لفلان رجل من قريش فعرفته، فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم فقلت: هل أنت حالب لي؟ قال نعم فأمرته فاعتقل شاة من غنمه وأمرته أن ينفض عنها من الغبار ثم أمرته أن ينفض كفيه فقال هكذا فضرب إحدى يديه على الأخرى فحلب لي كشة من لبن وقد رويت ومعني لرسول الله ﷺ إداوة^(١) على فمها خرقة، فصبت على اللبن حتى برد أسفله فانتھيت إلى رسول الله ﷺ فوافيته قد استيقظ فقلت: اشرب يا رسول الله فشرب فقلت: قد آن الرحيل يا رسول الله فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم غير سراقه بن جعثم على فرس له، فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله، فبكيت فقال رسول الله ﷺ: «لا تحزن إن الله معنا»، فلما دنا منا، وكان بيننا وبينه قدر رمحين أو ثلاثة. قلت: هذا الطلب يا رسول الله وبكيت فقال: «ما يبكيك؟» قلت: ما والله على نفسي أبكي ولكن أبكي عليك، فدعا عليه رسول الله ﷺ وقال: «اللهم اكفناه بما شئت»، قال فساخت فرسه في الأرض إلى بطنها فوثب عنها ثم قال: يا محمد، قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه فوالله لأعmin على من ورائي من الطلب وهذه كنانتني^(٢) فخذ منها سهماً فإنك ستمر على إبلي وغمي في مكان كذا وكذا فخذ منها حاجتك، فقال رسول الله ﷺ: «لا حاجة لي في إيلك» ودعا له رسول الله ﷺ فانطلق راجعاً إلى أصحابه، ومضى رسول الله ﷺ حتى أتينا المدينة ليلاً، فتنازعه القوم أيهم ينزل عليه رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «إني أنزل الليلة على بني النجار أخوال بني عبد المطلب أكرمهم بذلك». فخرج الناس حين قدمنا المدينة في الطريق وعلى البيوت من الغلمان والخدم. يقولون: جاء محمد رسول الله ﷺ فلما أصبح انطلق، فنزل حيث أمر.

قال البراء: وكان أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار بن قصي فقلنا له: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قال: هو في مكانه وأصحابه على أثري، ثم أتى بعده عمر بن أم مكتوم الأعمى أخو بني فهر، فقلنا: ما فعل من وراءك رسول الله ﷺ وأصحابه قال: هم الآن على أثري ثم أتى بعده عمار بن ياسر وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود، وبلال، ثم أتانا عمر بن الخطاب في عشرين راكباً، ثم أتى رسول الله ﷺ بعدهم، وأبو بكر معه.

قال البراء: فلم يقدم علينا رسول الله ﷺ حتى قرأ عشرأ من المفصل ثم خرجنا

(١) الإداوة: إناء صغير يحمل فيه الماء.

(٢) كنانة: جعبة صغيرة من آدم توضع فيها السهام.

تلقاء العير^(١) فوجدناهم قد حذروا، أخرجه بتمامه أبو حاتم وأخرج الشيخان وغيرهما من حديث الهجرة إلى بلوغ المدينة.

وفي رواية مكان ساخت فرسه فارتطم فرسه إلى بطنه. فقال: قد أعلم أنكما قد دعوتما علي فادعوا لي ولكما أن أرد عنكما الناس ولا أضركما، قال: فدعوا له فخرجت به الفرس فرجع فوفى للنبي ﷺ وجعل يرد الناس.

٢١٨ - وقد ذكر ابن إسحاق أن أول من هاجر إلى المدينة أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي، هاجر إليها قبل بيعة العقبة^(٢) حين آذنه قريش عند مقدمه من الحبشة، فبلغه إسلام من أسلم من الأنصار فخرج إليها مهاجراً، ثم هاجر بعده عامر بن ربيعة حليف بني كعب بن عدي وامراته ليلي بنت أبي خيثمة ثم عبد الله بن جحش احتمل بأهله وأخيه عبد بن جحش وهو أبو أحمد وكان أبو أحمد رجلاً ضريير البصر، وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد، وكان شاعراً ثم قدم المهاجرون أرسالاً، ولا تضاد بينه وبين ما تقدم فيكون أول من قدمها مطلقاً أبو سلمة وأول من هاجر بعد بيعة الأنصار مصعب بن عمير كما تقدم، وأما من ذكره ابن إسحاق بعد أبي سلمة فجائز أن يكون أيضاً قبل العقبة كأبي سلمة فجائز أن يكون بعدها بعد مصعب بن عمير ولم يبلغ ابن إسحاق مهاجر مصعب قبله والله أعلم.

شرح:

أظهرنا: أي دخلنا في الظهيرة، وقائم الظهيرة عبارة عن اشتدادها - وكذلك حر الظهيرة.

وقوله: هل أنت حالب لي قال: نعم إلى آخره هذا محمول على أنه عرف مالکها وعلم أنه يرضى بتصرفه لصداقة بينهما، أو على أن قوله هل أنت حالب لي؟ أراد به هل أذن لك في ذلك؟ أو على أن ذلك مستفاض بين العرب لا يرون بأساً على محتاج يتناول من لبن ماشيتهم ويبيحون ذلك لرعيانهم أو على إباحة ذلك لمضطر لم يجد غير مال الغير، وقد يكون الحال كذلك على أن بعض العلماء لم يشترط الضرورة وأباح ذلك للمسافر وإن لم يكن مضطراً.

٢١٩ - واستدل بحديث أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: «إذا مر أحدكم ببابل فأراد أن يشرب فليناد يا راعي الإبل فإن أجابه وإلا فليشرب»، أو على استباحة أموال المشركين، على أنه قد روي ما يضاد هذا الحديث في الظاهر.

(١) العير: ما جلب عليه الطعام من قوافل الإبل.

(٢) العقبة: منزل في طريق مكة بعد واقصة وقبل القاع لمن يريد مكة. (معجم البلدان ٤/ ١٣٤).

٢٢٠ - عن زر عن عبد الله بن مسعود قال: كنت غلاماً يافعاً في غنم لعقبة بن أبي معيط أرهاها فأتى علي النبي ﷺ وأبو بكر فقال: «يا غلام هل معك من لبن؟»، قلت: نعم ولكنني مؤتمن قال: فقال: ائتني بشاة لم ينز عليها الفحل فأتيته بعناق^(١) فاعتزلها رسول الله ﷺ ثم جعل يمسح الضرع ويدعو حتى أنزلت فأناه أبو بكر بشيء فاحتلب فيه ثم قال لأبي بكر: «اشرب» فشرب أبو بكر ثم شرب النبي ﷺ بعده، ثم قال للضرع: «اقلص» فقلص فعاد كما كان، قال: ثم أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله علمني من هذا الكلام أو من هذا القرآن؟ فمسح رأسي وقال: «إنك غلام معلم»، فلقد أخذت من فيه سبعين سورة ما نازعني فيها بشراً. أخرجه أبو حاتم وابن حبان.

وفي رواية أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط بمكة فأتى علي رسول الله ﷺ وأبو بكر وقد فر من المشركين فقال: «يا غلام عندك من اللبن تسقيناً؟»، قلت: إني مؤتمن ولست بساقيكما فقال: «هل عندك من جذعة^(٢) لم ينز عليها الفحل بعد؟» قلت: نعم وأتيتهما بها فاعتقلها أبو بكر وأخذ رسول الله ﷺ الضرع ودعا فحفل الضرع وأناه أبو بكر بصخرة متفجرة فحلب فيها ثم شرب هو وأبو بكر ثم سقياني ثم قال: للضرع «اقلص» فقلص.

٢٢١ - وفي رواية قال «يا غليم» مكان يا غلام ثم ذكر معنى ما بعده وقال: فأتيته بشاة شطور لم ينز عليها الفحل، والشطور الذي ليس لها إلا ضرع واحد فمسح رسول الله ﷺ مكان الضرع وما لها ضرع فإذا ضرع حافل مملوء لبناً فأتيت للنبي ﷺ بصخرة متفجرة فاحتلب ثم سقى أبا بكر وسقياني ثم قال للضرع «اقلص» فرجع كما كان، فأنا رأيت هذا من رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله علمني فمسح رأسي، وقال: «بارك الله فيك فإنك غلام معلم»، فأسلمت فأتيت النبي ﷺ، فبينما نحن عنده على حراء إذ نزلت عليه ﴿والمرسلات﴾. أخرجه الطبراني في معجمه وخرج منه الغساني في معجمه قوله: كنت أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط، فمر بي رسول الله ﷺ فقال: «يا غلام هل من لبن؟» فقلت: نعم ولكنني مؤتمن.

والظاهر أن هذه قضية غير تلك اتفقت لهما في بعض أسفارهما قبل الهجرة، ألا ترى إلى اختلاف قول الراعيين واختلاف الحالين، واختلاف ما حلبا فيه؟

(١) العَنَاق: الأنثى من أولاد المعيز والغنم من حين الولادة إلى تمام حول.

(٢) الجَذَع من الضأن: ما بلغ ثمانية أشهر أو تسعة.

ويؤيد ذلك قوله بعد إسلامه وإتيانه إليه فبينما نحن عنده على حراء وأنه نزلت عليه سورة ﴿والمرسلات﴾ هذا فيه أبين البيان بأن ذلك قبل الهجرة فإنه بعد الهجرة لم يأت مكة إتياناً يتمكن فيه من إتيان حراء وسورة المرسلات مما نزل قبل الهجرة.

وقوله في هذا الحديث يافعاً أي مرتفعاً من اليفاع وهو ما ارتفع من الأرض، وأيفع الغلام أي ارتفع فهو يافع، ولا يقال موقع وهو من النادر قاله الجوهري: وذكر الفراء في حدوده أنه يقال يفع الغلام وحكاه ثابت عن أبي عبيدة في خلق الإنسان.

وقوله فيه: لم ينز عليها الفحل أي لم تضرب ولم يواقعها الفحل تقول نزا نزاء بالكسر، يقال: ذلك في الحافر والظلف والسباع ونزاه غيره ونزاه، وأما النزا بالضم فهو داء يأخذ الشاة فتنزوي منه حتى تموت.

حفل الضرع: جمع والتحفيل التصرية.

صخرة منقعة - أي: ذات قعر من التقعير التعميق ورأيتها في الحديث مقيدة بالنون ولا معنى له هنا فإن المنقعر المنقلع ومنه: ﴿أعجاز نخل منقعر﴾.

قلص: ارتفع.

والشطور قد فسرهما في الحديث.

وقوله فصح ﷺ مكان الضرع وما لها ضرع بعد قوله لها ضرع واحد يريد به والله أعلم مكان الضرع الآخر وما لها فيه ضرع والاتضاد أول الحديث وآخره فقد تضمن هذا الحديث أن سورة المرسلات نزلت بحراء وسورة المرسلات مما نزلت بمكة قبل الهجرة وقد جاءت في المتفق عليه من الصحيحين.

٢٢٢ - عن عبد الله قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ في غار بمنى^(١) إذ نزلت عليه ﴿والمرسلات﴾ وإنه ليتلوها وإني لأتلقاها من فيه وإن فاه لرطب بها إذ وثبت علينا حية فقال رسول الله ﷺ: «اقتلوها». فابتدرنا لنقلها فسقتنا فقال رسول الله ﷺ: «وُقِيَتْ شرکم ووقيتم شرها».

وقوله بمنى للبخاري دون مسلم وهذا أصح وأثبت.

وقوله في حديث البراء: فاعتقل شاة وهو أن يضع رجلها بين فخذيه وساقه ليحلبها واعتقل رمحه إذا جعله بين ساقه وركابه وكأنه جعل له ذلك عقلاً وفي أمره بنفض الضرع ونفض اليد وفرشه لرسول الله ﷺ وتسويته الأرض دليل على التوسعة في مثل هذه الرفاهية ونحوها.

(١) منى: درج الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي فيه الجمار من الحرم. (معجم البلدان: ٥/١٩٨).

الكعبة: من اللبن قدر حلبة.
الأداة: المطهرة والجمع أدوي.

وقوله: فصبت على اللبن حتى برد أسفله يجوز أن يريد أنه صب على ظاهر الإناء فبرد أسفله لاستقرار الماء في أسفله وإلا كان يبرد كله لو صب فيه نفسه وعلى هذا دل بعض ألفاظ الحديث ويجوز أن يكون صب على اللبن نفسه وإنما خص أسفله بالبرد لأن الماء يفوص في اللبن فيلبس أسفله منه ما لا يلبس أعلاه فيكثر البرد في أسفله ويترجح هذا باقتضاء الحال فإنها حالة جوع وحاجة إلى شربه وصب الماء فيه نفسه أسرع لتسكين حرارته وبرده.

الطلب: جمع طالب فساخت أي دخلت فيها تقول ساخ يسوخ ويسبخ وارتطمت بمعناه تقول رطمته فارتطم أي أدخلته في أمر لا مخرج له منه.

لأعمين: أي لألبسن وعمي عليهم الأمر التبس.

الكنانة: التي تجمع فيها السهام.

الغير: بالكسر الإبل تحمل الميرة ويجوز أن يجمع على عيرات فتنازعوا أي قبائل الأنصار بني النجار أحوال عبد المطلب كان هاشم قد تزوج امرأة من بني النجار فولدت عبد المطلب فلذلك كانوا أحواله واسم المرأة سلمة بنت زيد بن خراش بن أمية بن أسد بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار ويسمى زيد مناة وعن الزهري أنها سلمى بنت عمرو بن زيد وفي هذا الحديث أن ارتحالهم كان من مكة وأنهم أحيوا لبنتهم بالسرى ولم يتضمن ذكر الغار كما تقدم.

وقد جاء في الصحيح أن أبا بكر قال: ارتحلنا من الغار والقوم يطلبوننا فلم يدركنا منهم أحد غير سراقه على فرس له، وذكر الحديث ولا تضاد بينهما وكان ارتحالهم المتصل بإحياء الليلة من الغار وأطلق عليه ارتحالاً من مكة لأن الغار في ثور كما تقدم وهو جبل في الحرم قريب من مكة فأطلق على الارتحال منه ارتحال من مكة لقربه أو لكونه من الحرم ومنه أن الله حرم مكة والمراد الحرم.

٢٢٣ - وعن حبش بن خالد صاحب رسول الله ﷺ: أن النبي ﷺ حين خرج من مكة خرج منها مهاجراً إلى المدينة هو وأبو بكر ومولى لهم عامر بن فهيرة ودليلهما الليث بن عبيد الله بن الأريقط مروا على خيمتي أم معبد الخزاعية وكانت برزة جلدة تختبئ بفناء القبة ثم تسقي وتطعم فسألوها تمراً ولحماً يشترونه منها فلم يصيبوا عندها من ذلك شيئاً وكان القوم مرملين محتين فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة فقال: «ما هذه الشاة يا أم معبد؟»، قالت: «خلفها الجهد عن الغنم قال: «هل بها من لبن؟»، قالت: «هي أجهد من ذلك قال: «أتأذنين لي أن أحلبها؟»، قالت: نعم بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلباً فاحلبها فدعا بها رسول الله ﷺ

فمصح بيده ضرعها وسمى الله ودعا لها في شاتها فتفاجت عليه ودرت ودعا بإناء يربط الرهط فحلب ثجاً حتى علاه إليها ثم سقاها حتى رويت ثم سقى أصحابه حتى رويوا ثم شرب آخرهم ثم حلب ثانياً بعد بدء حتى ملأ الإناء ثم غادره عندها وبايعها وارتحلوا - يعني عنها - فقال ما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعترأً عجافاً تساوكن هزلاً مخهن قليل.

فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال: من أين لك هذا يا أم معبد والشاة عازب حيال ولا حلوب في البيت؟ قالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا، قال: صفه لي يا أم معبد. قالت: رجل ظاهر الوضأة أبلج الوجه حسن الخلق لم تبعه ثجلة ولم تزر به صعلة وسيم قسيم، في عينيه دعج، وفي أشفاره^(١) وطف، وفي صوته صحل، وفي عنقه سطح، وفي لحيته كثانة، أزج أقرن^(٢)، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاء من بعيد، وأحسنه وأحلاه من قريب، حلو المنطق فصل، لا نزر ولا هذر كأن منطقته خرزات نظم يتحدثون، ربعة^(٣) لا بائن من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قدراً له رفقاء يحفون به إن قال أنصتوا لقوله وإن أمر تبادروا لأمره محفود محشود لا عابس ولا مفند، قال أبو معبد: فهذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة، ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً، وأصبح صوت بمكة عالٍ يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه وهو يقول:

جزى الله رب الناس خيراً جزائه	رفيقين حلاً خيمتي أم معبد
هما نزلها بالهدى فاهتديا به	فقد فاز من أمي رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم	به من فعال أو فخار وسؤدد
ليهن بنو كعب مكان فتاتهم	ومقعدا للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها	فإنكم إن تالوا الماة تشهد
دعاهابشاة حائل فحلبت	عليها صريحاً ضرّة الشاة مزيد
فغادرها رهنأ لديها كحالب	يردها في مصدر ثم مورد

خرجه الحافظ أبو القاسم في «الأربعين الطوال».

- (١) الأشفار: جمع شفر وهو حرف الجفن الذي ينبت عليه الشعر.
 (٢) قرن فلان: التقى طرفا حاجبيه فهو أقرن.
 (٣) الربعة: الوسيط القامة.

شرح:

مرملين : أي نفذت أزوادهم .
 مستين : أي دخلوا في السنة ويروى مشين أي دخلوا في الشتاء .
 وكسر الخيمة : جانبها - وتفاجت : فتحت ما بين رجليها .
 ويريض الرهط : أي يرويههم حتى يثقلوا فيربضوا .
 والشج : السيلان .
 والبها : بهاء اللبن وهو ويبص رغوته .
 وتساوكن هزلا : أي تمايلن ويروى تشاركن من المشاركة أي تساوين في الهزال .
 وغادره : إبقاء .
 والشاة عازب : أي بعيد في الرعي .
 والأبلج : المشرق الوجه المضيئ .
 والحيال : جمع حائل وهي التي لم تحمل - والوضاءة : الحسن .
 والشجلة : عظم البطن ، والصعلة : صغر الرأس ويروى ثجلة بالضم : وهي الضمرة والدقة وصقلة
 الخاصة يعني : أنه غير طويل الخاصة .
 والوسيم : الحسن ، وكذلك القسيم .
 والدعج : السواد في العين .
 والوظف : الطول .
 والصحل : البحة .
 والسطع : الطول .
 والكثانة : كثرة الشعر .
 والأزج : الرقيق طرف الحاجبين - بخلاف ما في حديث غيره .
 والنزر : القليل .
 والهذر : الكثير من الكلام فكلامه وسط .
 وتقتحمه : تحتقره يعني أنه بين الطويل والقصير .
 والمحفود : المخدوم .
 والمحشود : الذي عنده حشد وهو الجماعة .
 والعابس : من عبوس الوجه .

والمفند: الذي يكثر اللوم وهو التفتيد ويروى معتد من العداء وهو الظلم.
والصريح: الخالص.

والضرة: لحمة الضرع وفي رواية فتحلبت له بصريح وهو الصواب.
وغادرها: أي خلف الشاة عندها مرتحنة بأن تدر والله أعلم.

٢٢٤ - وعن عبد الرحمن بن عويمر بن ساعدة قال: حدثني رجال من قومي من أصحاب النبي ﷺ قال: لما سمعنا بمخرج النبي ﷺ من مكة، وتوكفنا^(١) قدومه كنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظهر حرتنا ننتظر رسول الله ﷺ فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظل، فإذا لم نجد ظلاً دخلنا وذلك في أيام حارة، حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ جلسنا كما كنا نجلس حتى إذا لم يبقَ ظل دخلنا بيوتنا، فقدم رسول الله ﷺ حين دخلنا البيوت فكان أول من رآه رجل من اليهود وقد رأى ما كنا نصنع وإنّا ننتظر قدوم رسول الله ﷺ فصرخ بأعلى صوته يا بني قيلة هذا جدكم قد جاء فخرجنا إلى رسول الله ﷺ وهو في ظل نخلة ومعه أبو بكر وأكثرنا لم يكن رأى النبي ﷺ قبل ذلك وركبه الناس وما يعرفونه من أبي بكر، حتى إذا زال الظل عن رسول الله ﷺ فقام أبو بكر فأظله بردائه فعرفناه عند ذلك. خرج ابن إسحاق بهذا السياق ومعناه عند الشيخين.

شرح:

قيلة: هي أم الأوس والخزرج وهما جماع الأنصار أمهما قيلة بنت كامل بن عذرة بن سعد بن هزيم من قضاة بها يعرفون.

جدكم: أي حظكم وغناكم من الجد الحظ.

ركبه الناس: أي ازدحموا عليه حتى كادوا يركبونه.

٢٢٥ - عن أنس قال: أقبل النبي ﷺ المدينة وأبو بكر شيخ يُعرف والنبي ﷺ شاب لا يُعرف، فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر من هذا الذي بين يديك؟ فيقول: «يهديني السبيل» فيحسب الحاسب أنه يهديه الطريق وإنما يعني سبيل الخير فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحق بهم فقال: يا رسول الله، هذا فارس قد لحق بنا، فالتفت النبي ﷺ وقال: «اللهم اصرعه» فصرعه فرسه، ثم قامت تحمحم^(٢)، فقال يا نبي الله

(١) تَوَكَّفَ فلانٌ لفلان: تعرض له حتى يلقاه.

(٢) حَمَّجَمَ الفرس: صات صوتاً دون العالي.

مرني بما شئت، فقال «قف مكانك لا تتركن أحداً يلحق بنا»، قال: فكان أول النهار جاهدًا على نبي الله ﷺ وكان آخر النهار مسلحة له فنزل النبي ﷺ جانب الحرة، ثم بعث إلى الأنصار، فجاءوا إلى نبي الله ﷺ فسلموا عليهما وقالوا: اركبا آمنين مطاعين، فركب نبي الله ﷺ وأبو بكر وحفوا دونهما بالسلاح فليل بالمدينة: جاء نبي الله ﷺ فأقبل يسير حتى نزل جانب دار أبي أيوب فقال النبي ﷺ: «أي بيوت أهلها أقرب»، قال أبو أيوب: يا نبي الله هذه داري وهذا بابي قال: «فانطلق فهياً لنا مقيلاً» قال: قوما على بركة الله، خرجه البخاري.

شرح:

ظاهر قوله وأبو بكر يُعرف يدل أنه كان أسن من النبي ﷺ والمعروف عند أهل الخبر أن النبي ﷺ كان أسن منه بمدة خلافته، وسأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى أو لعله يريد بشيخ يعرف أي كبير في قومه رئيس معهم معروف.

٢٢٦ - وقد جاء في بعض طرق هذا الحديث عن أنس: ارتدف^(١) النبي ﷺ خلف أبي بكر فكان إذا مر بالملأ من قريش قالوا: يا أبا بكر من هذا الرجل معك؟ فيقول: «هذا رجل يهديني السبيل» - خرجه الحلواني على شرط الصحيح.

وفي بعضها أن أبا بكر كان رديف النبي ﷺ وكان أعرف بذلك الطريق فيراه الرجل يعرفه فيقول: يا أبا بكر من هذا الغلام بين يديك؟ فيقول: «هذا يهديني السبيل»، حديث صحيح وأكثر الروايات على أنه كان رديف النبي ﷺ، وفي بعضها قالوا: يا أبا بكر من هذا الذي تعظمه هذا الإعظام؟ قال: «هذا يهديني الطريق وهو أعرف به مني».

وقد جاء أن أبا بكر كان مردفًا عامر بن فهيرة مولاه يخدمهم فكانوا أربعة بالدليل ولا تضاد بينهما إذ قد يكون ارتدف خلف النبي ﷺ وارتدف النبي ﷺ خلفه في بعض الطريق لعارض اقتضى ذلك والله أعلم.

٢٢٧ - وعن أنس قال: إني لأسعى في الغلمان تقول: جاء محمد فأسعى فلا أرى شيئاً حتى جاء رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر الصديق فكنا في بعض خراب المدينة ثم بعثا رجلاً من أهل البادية ليؤذن الأنصار فاستقبلهما زهار خمائة من الأنصار حتى انتهوا إليهما فقالت الأنصار انطلقا آمنين مطاعين فأقبل رسول الله ﷺ

(١) ارتدف: ركب خلفه.

وصاحبه بين أظهرهم فخرج أهل المدينة حتى إن العوائق لفوق البيوت يتراءين يقلن: أيهم هو؟ أيهم هو؟ قال: فما رأينا منظراً شبيهاً بيومئذ.

قال أنس فلقد رأيته يوم دخل علينا ويوم قبض فلم أرَ يومين شبيهاً بهما. أخرجه في فضائله وقال: صحيح.

وفي رواية أنهم نزلوا بالحرّة وأرسلوا إلى الأنصار فجاءوا فقالوا: قوموا آمنين مطاعين.

٢٢٨ - قال أنس: فوالله ما رأيت يوماً أضوأ ولا أنور ولا أحسن من يوم دخل علينا رسول الله ﷺ ولا رأيت يوماً أظلم ولا أقبح من يوم مات فيه رسول الله ﷺ. أخرجهما أيضاً في فضائله.

شرح:

كمنا أي: اختفيا ومنه الكمين في الحرب.

زهاء خمائة: أي قدرها.

٢٢٩ - وعن بريدة بن خصيب الأسلمي قال: لما أقبل رسول الله ﷺ من مهاجره لقي ركباً فقال: «يا أبا بكر سل القوم من هم؟» فسألهم فقالوا: من بني سهم فقال: «رمي بسهمك يا أبا بكر» حديث حسن.

٢٣٠ - وعن عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة تلقاه الملمون بظهر الحرّة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عامر بن عوف وذلك يوم الاثنين في شهر ربيع الأول فقام أبو بكر للناس وجلس النبي ﷺ صامتاً فطفق من جاء من الأنصار من لم يرَ رسول الله ﷺ يجيء أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر حتى ظلل على رسول الله ﷺ بردائه فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك، أخرجه البخاري.

٢٣١ - وعن ابن الفضل بن الحباب الجمحي قال: قال: سمعت ابن عائشة يقول: أراه عن أبيه قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة جعل الصبيان والنساء والولائد يقولون:

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثِيَّاتِ الْوُدَاعِ
وَجَبَّ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعِ

خرجه الحلواني على شرط الشيخين .

٢٣٢ - قال ابن إسحاق نزل رسول الله ﷺ فيما يذكرون على كلثوم بن هدم أخي عمرو بن عوف، ويقال: بل على سعد بن خيثمة لأنه كان عزباً لا أهل له، ونزل أبو بكر على حبيب بن أساف أخي بني الحارث بن الخزرج بالسنح ويقال على خارجة بن زيد أخي بني الحارث بن الخزرج قال: فأقام رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين والثلاث والأربع والخميس، ثم خرج عنهم يوم الجمعة فأدركته الصلاة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي، فهي أول جمعة صليت بالمدينة ثم لم يزل رسول الله ﷺ يمر بأحياء الأنصار حياً بعد حي وكلما مر على حي قاموا إليه فقالوا: يا رسول الله أقم عندنا العدد والعدة والمنعة، وهو يقول: «خلوا سبلها - يعني الناقة - فإنها مأمورة» .

حتى إذا أتت بني مالك بن النجار بركت على باب مسجده ﷺ وهو يومئذ مربد لغلामين يتيمين من بني النجار، ثم من بني مالك .

فلما بركت الناقة ورسول الله ﷺ عليها لم ينزل عنها، وثبت وسارت غير بعيد ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا يثنيها به، ثم التفت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة، فبركت فيه . ثم تحلحلت ورزمت ووضعت جرانها، فنزل عنها رسول الله ﷺ واحتمل أبو أيوب رحله فوضعه في بيته، ثم سأل عن المربد، واتخذ المسجد مكانه وكان من أمره ما كان ﷺ . وهذا سياق ابن إسحاق ومعناه عند البخاري بتغيير بعض اللفظ وتقديم وتأخير .

شرح:

تحلحلت: أي تحركت .

ورزمت: أي صوتت من حلقها من غير أن تفتح فاهما من الرزمة بالتحريك وهو الصوت، كذلك والحين أشد منه أو لعل معناه ثبتت من الرزام البعير الثابت على الأرض لا يقوم من الهزال فاستعير لثبوتها بذلك المكان .

والجران: العنق من المذبح إلى المنحر والجمع جرن .

الفصل التاسع : في خصائصه

وقد تقدم منها طرف جيد في أبواب الأعداد خاصة في باب الشيخين ، وتقدم منها أنه أول من أسلم على الاختلاف فيه ، وأول من أظهر إسلامه وأنه لم يتردد ولم يتلعثم حين عرض عليه النبي ﷺ الإسلام تقدماً في فضل إسلامه واختصاصه بالصدقية ، وقد تقدم الكلام فيها في فصل اسمه وأنه أول خطيب دعا إلى الله تعالى في فضل إسلام أمه ، وأنه أول من تنشق عنه الأرض بعد النبي ﷺ .

تقدم في باب مناقب الشيخين وأنه لم يجتمع لأحد من المهاجرين إسلام أبويه غيره ، تقدم فيه أيضاً من حديث علي واختصاصه بصحته في الهجرة وخدمته له فيها ، تقدم في باب هجرته واختصاصه براجيته بالأمة في باب ما دون العشرة ، واختصاصه براجيته بالأمة في باب الثلاثة ، وأنه لم يسوء النبي ﷺ قط ، تقدم في باب ما دون العشرة .

ذكر اختصاصه بأنه لم يكذب النبي ﷺ قط

٢٣٣ - عن ابن عباس قال : جاء أبو بكر وعلي يزوران النبي ﷺ بعد وفاته بسة أيام ، فقال علي لأبي بكر : تقدم يا خليفة رسول الله ﷺ ، فقال أبو بكر ما كنت لأتقدم رجلاً سمعت رسول الله ﷺ يقول : «علي مني كمنزلي من ربي» ، فقال علي : ما كنت لأتقدم رجلاً سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما منكم من أحد إلا وقد كذبنى غير أبي بكر ، وما منكم من أحد يصبح إلا على بابه ظلمة إلا باب أبي بكر» ، فقال أبو بكر : سمعت رسول الله ﷺ يقوله ؟ قال : نعم ، فأخذ أبو بكر بيد علي ، ودخلا جميعاً - خرج ابن السمان في الموافقة ولعله على باب قلبه والله أعلم وهو المراد .

ذكر اختصاصه بمؤانسته له ﷺ في الغار

وبما كان من شففته عليه فيه وفي طريقه وإيثاره إياه

التنزيل ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار﴾^(١) وقد

تقدمت أحاديث هذا الذكر في ذكر الغار مستوفاة

٢٣٤ - وعن ربيعة الأسلمي قال : «كان بيني وبين أبي بكر كلام فقال لي أبو بكر

كلمة كرهتها وندم، فقال: يا ربعة رد عليّ مثلها حتى يكون قصاصاً، قال قلت لا أفعل، فقال أبو بكر: «لتقولن أو لأستعدين عليك رسول الله ﷺ». فقلت: ما أنا بفاعل، قال: فرفص الأرض وانطلق إلى النبي ﷺ، وانطلقت تلوه، فجاء ناس من أسلم فقالوا: يرحم الله أبا بكر في أي شيء يستعدي عليك وهو الذي قال لك ما قال؟ قلت: أتدرون ما هذا؟ هذا أبو بكر هذا ثاني اثنين إذ هما في الغار، إياكم لا يلتفت فيراكم تنصرونني عليه فيغضب، فيأتي رسول الله فيغضب لغضبه، فيغضب الله عز وجل لغضبهما... فتهلك ربعة. قالوا: ما تأمرنا؟ قال: ارجعوا. قال: فانطلق أبو بكر إلى النبي ﷺ وتبعته وحدي حتى أتى رسول الله ﷺ، فحدثه الحديث كما كان فرفع إليّ رأسه فقال: «يا ربعة ما لك وللصديق؟» قلت: يا رسول الله! كان كذا وكذا قال لي كلمة كرهتها، فقال لي: «قل كما قلت حتى يكون قصاصاً» فأبيت، فقال رسول الله ﷺ: «فلا ترد عليه ولكن قل له غفر الله لك يا أبا بكر»، فقلت: غفر الله لك يا أبا بكر، قال الحسن «فولى أبو بكر وهو يبكي» خرجه أحمد.

شرح:

رفص الأرض برجله: ضربها بها.

تلوه: أي أتلهه وأتبعه.

٢٣٥ - وعن القاسم بن أبي بكر الصديق وقد قال في مجلسه رجل ما كان لرسول الله ﷺ من موطن إلا وعليّ معه فيه. فقال القاسم: يا أخني لا تحلف قال: هلم قال: بلى ما لا ترده. قال الله تعالى: «ثَانِيَّ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ» خرجه أبو عمر.

شرح:

هلم: معنى هات ما عندك استعارة من هلم بمعنى تعال.

قال الجوهري بفتح الميم وقال الخليل أصله من قولهم لم الله شعك أي جمعه كأنه أراد لم نفسك إلينا وها للتنيه وحذفت الألف لكثرة الاستعمال، وجعل اسمه واحداً: يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث في لغة أهل الحجاز. قال تعالى:

﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾^(١)، وأهل نجد يصرفونها فيقولون للاثنين هلمما وللجمع هلموا وللمرأة هلمي وللنساء هلممن والأول أفصح.

ذكر اختصاصه بالسبق بعد رسول الله ﷺ

٢٣٦ - عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «اليوم الرهان وغداً السباق، والغاية الجنة والهالك من يدخل النار أنا الأول وأبو بكر المصلي وعمر التالي والناس بعد على السنن الأول فالأول». أخرجه المهدي بالله في مشيخته وقد تقدم في باب الشيخين.

ذكر اختصاصه بإثبات أهلية الخلّة^(٢) له ولولا أنه ﷺ خليل الرحمن لاتخذته خليلاً

٢٣٧ - عن جندب سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله عز وجل أن يكون لي منكم خليل فإن الله عز وجل قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً». تفرد به مسلم.

ذكر أحاديث تدل على ثبوت الخلّة له وهو أعظم الخصائص

٢٣٨ - عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، وإنه لم يكن نبي إلا له في أمة خليل ألا وإن خليلي أبو بكر». أخرجه الواحدي في «تفسيره البسيط».

ذكر تخصيصه بالأخوة والصحبة

٢٣٩ - عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخي وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً» أخرجه مسلم وأبو حاتم.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ١٨.

(٢) الخلّة: المحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله أي: في باطنه.

٢٤٠ - وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخي وصاحبي». خرجه البخاري. وفي رواية «لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً، لاتخذته خليلاً، ولكن أخوة الإسلام أفضل» خرجه البخاري.

وسياتي في ذكر حديث أمن الناس عليّ أبو بكر طرف منه وأخرجه الحافظ أبو الحسن علي بن عمر الحرلي السكري من حديث أبي بن كعب بزيادة ولفظه:

٢٤١ - عن أبي بن كعب أنه قال: إن أحدث الناس عهدي ببيكم ﷺ قبل وفاته بخمس ليالٍ دخلت عليه، وهو يقلب يديه وهو يقول: «إنه لم يكن نبي إلا وقد اتخذ من أمته خليلاً، وإن خليلي من أمتي أبو بكر بن أبي قحافة.. ألا وإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً». والأحاديث النافية لاتخاذ الخلّة أثبت وأصح وإن صحت هذه الرواية فيكون قد أذن الله عند تبريه من خلّة غير الله مع تشوقه لخلّة أبي بكر لولا خلّة الله في اتخاذه خليلاً مراعاة لجنوحه إليه وتعظيماً لشأن أبي بكر ولا يكون ذلك انصرافاً عن خلّة الله جل وعلا بل الخلّتان ثابتتان كما تضمنه الحديث، تشریف للمصطفى ﷺ والأخرى تشریف لأبي بكر.

ذكر اختصاصه باستثناء بابه من سد الأبواب الشارعة في المسجد

٢٤٢ - عن عائشة أن النبي ﷺ أمر بسد أبواب الشوارع في المسجد إلا باب أبي بكر. خرجه الترمذي وأبو حاتم وأخرجه ابن إسحاق وزاد في آخره فإنه لا أعلم رجلاً كان أفضل في الصحبة بدأ منه.

٢٤٣ - وعن جبير بن نفير أن أبواباً كانت مفتحة في مسجد رسول الله ﷺ فأمر بها فسدت غير باب أبي بكر فقالوا: سد أبوابنا غير باب خليله وبلغه ذلك فقام فيهم فقال: «أتقولون سد أبوابنا وترك باب خليله ولولا كان لي منكم خليل كان هو خليلي ولكن خليلي الله فهل أنتم تاركون لي صاحبي؟ فقد واساني بنفسه وماله وقال لي صدق وقتلت كذب». خرجه في فضائله وهو مرسل وسياتي في الذكر بعده طرف منه.

ذكر اختصاصه بقوله ﷺ في حقه أنه أمن الناس عليه في صحبته وماله وفيه طرف من الذكر قبله

٢٤٤ - عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أمن الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام لا يبقين في المسجد خوذة^(١) إلا خوذة أبي بكر». أخرجاه أحمد والترمذي وأبو حاتم.

٢٤٥ - وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج من مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسه فجلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إنه ليس من الناس أحد أمن عليّ بنفسه وماله من ابن أبي قحافة ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر لكن خلة الإسلام سدوا عني كل خوذة في المسجد غير خوذة أبي بكر». أخرجه أحمد والبخاري وأبو حاتم واللفظ له وقال في قوله: «سدوا عني كل خوذة»، إلى آخره دليل على حسم أطماع الناس كلهم من الخلافة إلا أبا بكر قلت وهذا القول وحده لا ينهض في الدلالة وإنما بانضمام القرائن الحالية إليه حصلت وذلك بارتقائه المنبر في حال المرض، ومواجهة الناس بذلك وتعريفهم بحق أبي بكر وبفضله بذكر الخلة وذلك تنبيه على أنه الخليفة من بعده وكان هذا القول كالتوصية لهم به لأنه قرب الموت ولذلك فهمه الصحابة من القول والحال.

٢٤٦ - عن أبي سعيد قال: جلس رسول الله ﷺ مرجعه من حجة الوداع على المنبر فقال: «إن عبداً خيرته الله عز وجل بين أن يؤتیه من زهرة الدنيا ما شاء وعزها والخلد فيها ثم الجنة وبين ما عنده والجنة فاختر ما عند الله والجنة». فبكى أبو بكر وقال فدينك بآبائنا وأمهاتنا فكان رسول الله ﷺ هو المخير ولكن لم يفجعنا وكان أبو بكر أعلمنا بالأمر، وقال رسول الله ﷺ: «إن من أمن الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام». ثم قال: «لا يبقين في المسجد إلا خوذة أبي بكر». فعلمنا أنه مستخلفه. أخرجه الحافظ أبو القاسم الدمشقي وقال صحيح المتن غريب الإسناد.

(١) الخوذة: باب صغير وسط باب كبير نصب حاجزاً بين دارين.

وعن أبي المعلى أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أمن الناس علي...» وساق الحديث بنحو حديث أبي سعيد، وقال بعد قوله: «لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن ود وإخاء إيمان - مرتين أو ثلاثاً - وإن صاحبكم خليل الله» خرجه الترمذي والحافظ الدمشقي، وقال صحيح المتن حسن الإسناد واسم أبي المعلى زيد بن لوزان الأنصاري قاله أبو عمر.

٢٤٧ - وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أمن الناس علينا في نفسه وذات يده أبو بكر ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذته، ولكن أخوة الإسلام سدوا كل خوخة في القبلة إلا خوخة أبي بكر». خرجه في دلائله: فيه دليل بمنطوقه على أن الخوحات المسدودة كانت في القبلة وبمفهومه على أن في المسجد خوحات غيرها لم تسد.

٢٤٨ - وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أحد أعظم عندي يداً من أبي بكر: واساني بنفسه وماله وأنكحني ابنته». خرجه في فضائله.

٢٤٩ - وعن سهل قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أمن الناس علي في صحبه وذات يده أبو بكر الصديق فحبه وشكره وحفظه واجب على أمتي». خرجه الخطيب في تاريخه وصاحب «الفضائل».

ذكر اختصاصه بأن النبي ﷺ ما نفعه مال

ما نفعه مال أبي بكر

٢٥٠ - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبو بكر». فبكى أبو بكر وقال: ما أنا ومالي إلا لك - خرجه أحمد وأبو حاتم وابن ماجه والحافظ الدمشقي في «الموافقات».

٢٥١ - وعن المسيب أن رسول الله ﷺ قال: «ما مال رجل من المسلمين أنفع لي من مال أبي بكر». قال: وكان رسول الله ﷺ يقضي في مال أبي بكر كما يقضي في مال نفسه - خرجه عبد الرزاق في جامعه وصاحب الفضائل والحديث المرسل.

ذكر شهادة علي بن أبي طالب بذلك وبغيره

٢٥٢ - عن الشعبي أن أبا بكر نظر إلى علي بن أبي طالب فقال: من سره أن

ينظر إلى أقرب الناس قرابة من نبهم ﷺ وأعظمهم عنه غناء^(١) وأحفظهم عنده منزلة فليُنظر إلى علي بن أبي طالب، فقال علي: «لئن قال هذا إنه لأرأف الناس وإنه لصاحب رسول الله ﷺ في الغار وإنه لأعظم الناس غناء عن نبه ﷺ في ذات يده» خرجه ابن السمان.

ذكر اختصاصه بمكافأة الله تعالى له عن نبه ﷺ

٢٥٣ - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه بها خلا أبا بكر فإن له عندنا يداً يكافيه الله بها يوم القيامة ». خرجه الترمذي وقال حسن غريب.

ذكر اختصاصه بمواساة النبي ﷺ

بنفسه وماله وأنه لا ظلمة على باب قلبه

٢٥٤ - عن المقدم بن معد يكرب قال: استب عقيل بن أبي طالب وأبو بكر فأعرض أبو بكر عنه لقرابته من رسول الله ﷺ، ولكنه شكاه إلى النبي ﷺ فقام النبي ﷺ في الناس فقال: «ألا تدعون لي صاحبي؟ ما شأنكم وشأنه؟ والله ما منكم رجل إلا على باب قلبه ظلمة إلا باب أبي بكر فإنه على باب النور والله لقد قلتم كذب وقال أبو بكر صدق، وأمستكم الأموال وجاد لي بماله وخذلتُموني وواساني بنفسه». خرجه صاحب الفضائل، وهو مروي لنا عن أبي القاسم عبد الرحمن السبط عن جده الحافظ السلفي بسنده وفيه: «وما نفعني مال ما نفعني مال أبي بكر».

٢٥٥ - وعن أبي الدرداء قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ، إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال رسول الله ﷺ: «أما صاحبكم فقد غامر»، فسلم، ثم قال: «إني كان بيني وبين عمر بن الخطاب شيء فأسرعت إليه، ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى علي، فأقبلت إليك»، فقال: «يغفر الله لك يا أبا بكر» ثلاثاً، ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر، فقال: «أنتم هو؟»، قالوا لا فأتى النبي ﷺ، فجعل وجه النبي يتمر حتى أشفق أبو بكر، فجثى على ركبته، فقال: «يا رسول الله أنا كنت أظلم مرتين، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله بعثني إليكم فقلتم كذب وقال أبو بكر صدقت

وإساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركون لي صاحبي؟». مرتين. فما أودى بعدها. انفرد البخاري بإخراجه.

شرح:

غامر: أي سبق بالخير قاله أبو عبيد الله وأصله المباشرة في القتال تقول غامرته أي باطشته فقاتلته.

وتمعر: أي تغير.

وجنى على ركبته: اعتمد عليهما تقول جثا يجثو ويجثي جثواً وجثياً.

٢٥٦ - وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر أخي في الدنيا والآخرة، رحم الله أبا بكر وجزاه عن رسول الله ﷺ خيراً وإساني في النفس والمال». خرجه الحافظ السلفي.

٢٥٧ - وعن ابن عمر قال: كنت عند النبي ﷺ وعنده أبو بكر عليه عباءة، قد خلها في صدره بخلال فتزل جبريل فقال: «يا محمد ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها في صدره بخلال». فقال: «يا جبريل أنفق ماله علي قبل الفتح». قال: «فإن الله عز وجل يقرأ عليك السلام، ويقول لك: قل له أراضٍ أنت عني في ففرك هذا أم ساخط؟»، فقال النبي ﷺ: «يا أبا بكر إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك أراضٍ أنت عني في ففرك هذا أم ساخط؟»، فقال أبو بكر: «أسخط على ربي؟ أنا عن ربي راضٍ أنا عن ربي راضٍ أنا عن ربي راضٍ». خرجه الحافظ ابن عبيد وصاحب الصحبة والفضائل.

واحتج بظاهرة من ذهب إلى أن قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلٌ﴾^(١)، الآية نزلت في أبي بكر الحديث الأول هو المصرح بالاختصاص وما بعده محمول عليه حمل المطلق على المقيد.

ذكر ما جاء في كمية ما أنفق أبو بكر رضي الله عنه

٢٥٨ - عن عائشة رضي الله عنها قالت: أنفق أبو بكر على النبي ﷺ أربعين ألفاً، خرجه أبو حاتم.

٢٥٩ - وعن عروة قال: أسلم أبو بكر وله أربعون ألفاً انفقها كلها على رسول الله ﷺ، وفي سبيل الله، وعن أسماء بنت أبي بكر قالت: لما خرج رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر معه - احتمل أبو بكر ماله كله معه خمسة آلاف درهم أو ستة خرج بها معه قالت: فدخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره وقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه، قالت: كلا يا أبت، إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً. قالت: فأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة البيت الذي كان أبي يضع ماله فيه ثم وضعت عليها ثوباً ثم أخذت بيده، وقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال قالت: فوضع يده عليه قال: لا بأس إذ قد ترك لكم هذا فقد أحسن وفي هذا بلاغ لكم ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكني أردت أسكن الشيخ بذلك - خرج ابن إسحاق، ولا تضاد بين هذا وبين ما تقدم فإنها لم تقل في هذا أنه جملة ما أنفقه وإنما هو بقية المال الذي أسلم وهو معه وهو الجملة المتقدمة، ثم لم يزل ينفق إلى وقت الهجرة، وقد بقيت تلك البقية فاحتملها معه وترك عياله لا شيء لهم ولعله كان قد خرج عن جملة فلذلك كان حمل البقية. والله أعلم.

ذكر من أعتقه أبو بكر ممن كان يعذب في الله عز وجل

٢٦٠ - عن عروة قال أعتق أبو بكر سبعة كانوا يعذبون في الله منهم بلال وعامر بن فهيرة - خرج ابن عمرو، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: أعتق أبو بكر ممن كان يعذب في الله تعالى سبعة: بلال وعامر بن فهيرة وزبيرة وأم عبيس والنهدية وابنتها وجارية ابن عمرو بن مؤمل خرج ابن عمرو بن معاوية الضرير.

٢٦١ - وعن إسماعيل بن قيس قال اشترى أبو بكر بلالاً وهو مدقوق بالحجارة بخمس أواق ذهباً فقالوا: لو أبيت إلا أوقية لبعناكه فقال: لو أبيتم إلا مائة أوقية لأخذته - خرج ابن عمرو في «الصفوة».

٢٦٢ - قال ابن إسحاق وكان بلال بن رباح واسم أمه حمامة، صادق الإسلام طاهر القلب وكان أمية بن خلف يخرج ابنه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء^(١) مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صلبه ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى ويقول وهو في ذلك البلاء: «أحد أحد»، قال وكان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب بذلك وهو يقول: «أحد أحد». فيقول ورقة:

(١) البطحاء: المكان المتسع يمر به السيل فيترك فيه الرمل والحصى الصغار.

أحد أحد والله يا بلال، ثم يقبل على أمية بن خلف ومن يصنع ذلك به من بني جمح فيقول: أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لاتخذته حناناً حتى مر به أبو بكر بن أبي قحافة وهم يصنعون ذلك به، وكانت دار أبي بكر في بني جمح، فقال لأمية بن خلف: «ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ حتى متى؟» قال: أنت أفسدته فأنقذه مما ترى، فقال أبو بكر: «أفعل، عندي غلام أسود، أجلد منه وأقوى أعطيك به»، قال: قد قبلت، قال: «هو لك» فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك، وأخذه فأعتقه، ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر ستة رقاب بلال سابعهم، عامر بن فهيرة، وأم عبيس، وزبيدة، فأصيب بصرها حين أعتقها، فقالت قريش ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى! فقالت: كذبوا وبيت الله ما تضر اللات والعزى وما تنفعان. فرد الله إليها بصرها، والنهدية وابنتها وكانتا لامرأة من بني عبد الدار، فمر بها وقد بعثتها سيدتها إلى طحين لها وهي تقول: والله لا أعتقكما أبداً، فقال أبو بكر: حلا يا أم فلان فقالت: حلا أنت أفسدتهما فاعتقهما قال: فيكم هما؟ قالت: بكذا وكذا قال قد أخذتهما وهما حرتان أرجعا إليها طحينها قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده؟ قال: ذلك إن شئتما. ومر بجارية بني مؤمل حي من بني عدي، وكان عمر بن الخطاب يعذبها لتترك الإسلام وهو يومئذ مشرك، فيضربها حتى إذا مل قال: اعتذر إليك إني لم أتركك إلا مللاً، فتقول: كذا فعل الله بك، فابتاعها وأعتقها.

شرح:

حلا يا أم فلان أي: تحللي من يمينك وهو منصوب على المصدر.

وعن عمر بن الخطاب قال: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا بلالاً، فقال لأبي بكر: إن كنت إنما اشتريتني لنفسك فأمكنني وإن كنت اشتريتني لله عز وجل فدعني وعمل الله - أخرج البخاري وهذان الذكران ليسا على مساق ما تقدمهما من الخصائص وإنما اقتضى ذكرهما ما تقدمهما من الأذكار ومناسبتهما لهن على أنهما من الخصائص إذ لم يتقل أن أحداً من الصحابة فعل مثل ذلك الفعل قبل الهجرة والله أعلم.

ذكر اختصاصه بأنه أحب الرجال إليه

٢٦٣ - تقدم في ذلك حديث عمرو بن العاص في باب العشرة خرج مسلم وأحمد وأبو حاتم وحديث عائشة في باب ما دون العشرة خرج الترمذي، وقال حسن صحيح، وعن أنس قال: قالوا: يا رسول الله أي الناس أحب إليك قال: «عائشة»، قالوا: إنما نعني من الرجال، قال: «أبوها» - أخرج الترمذي وابن ماجه القزويني في

وعن عائشة قالت لما ماتت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله ألا تتزوج؟ فقال: «ومن» قالت إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً فقال: «ومن البكر ومن الثيب؟»، قالت: أما البكر فابنة أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبي بكر الصديق. وأما الثيب فسودة بنت زمعة قد آمنت بك واتبعتك ثم ذكرت قصة تزويجها - خرج أبو الجهم الباهلي وصاحب الفضائل. وسيأتي في فضائل الأزواج في ذكر التزويج.

ذكر اختصاصه بتبسم النبي ﷺ إليه يوم الفتح

٢٦٤ - عن الزهري قال لما رأى النبي ﷺ النساء يلطن الخيل بالخمير يوم الفتح تبسم إلى أبي بكر - خرج ابن إسحاق.

ذكر اختصاصه بأنه أرحم الأمة بالأمة بعد النبي ﷺ

٢٦٥ - عن أنس عن النبي ﷺ قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر». خرج عبد الرزاق والبغوي في «المصابيح الحسان».

٢٦٦ - وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر». خرج في فضائله.

٢٦٧ - وعن أنس قال: قال رسول الله: «إن الله وعدني أن يدخل الجنة أربعمائة ألف»، فقال أبو بكر زدنا يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ: «هكذا»، وجمع كفيه فقال عمر: حبك يا أبا بكر، فقال أبو بكر: دعني يا عمر، وما عليك أن يدخلنا الله الجنة كلنا؟ فقال عمر: إن الله لو شاء أدخل خلقه الجنة بكف واحدة، فقال النبي ﷺ: «صدق عمر» - خرج الطبراني في معجمه وأبو القاسم الدمشقي في «معجم البلدان».

ذكر اختصاصه بالأفضلية والخيرية

تقدم من حديث هذه الخصوصية جملة أحاديث وآثار مما خرج الشيخان وغيرهما في باب مناقب الأربعة والثلاثة والاثنين.

٢٦٨ - وعن أبي الدرداء قال: رأي النبي ﷺ أمشي أمام أبي بكر، فقال: «يا أبا

الدرء أتمشي أمام من هو خير منك في الدنيا والآخرة؟ ما طلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر». خرج المخلص الذهبي وخرجه الدارقطني ولم يقل والمرسلين وخرجه السمان في «الموافقة» عن جعفر بن محمد. وقد سئل عن أبي بكر فقال: ما أقول فيه لا أقول فيه إلا خيراً أو قال إلا الخير بعد حديث حدثني أبي محمد قال: حدثني أبي علي قال: حدثني أبي الحسين قال: سمعت أبي علي بن أبي طالب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما طلعت شمس ولا غربت» الحديث بتمامه ثم قال: لا أنالني الله شفاعة جدي إن كنت كذبت فيما رويت لك وإني لأرجو شفاعته يوم القيامة يعني أبا بكر.

٢٦٩ - وعن جابر بن عبد الله قال: كنا عند النبي ﷺ فقال: «يطلع عليكم رجل لم يخلق الله بعدي أحداً خيراً منه ولا أفضل وله شفاعة مثل شفاعة النبيين». فما برحنا حتى طلع أبو بكر فقام النبي ﷺ فقبله والتزمه. خرج الحافظ الخطيب أبو بكر أحمد بن ثابت البغدادي.

٢٧٠ - وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أصحابي أبو بكر».

٢٧١ - وعن جابر قال كنا عند باب النبي ﷺ نفرأ من المهاجرين والأنصار نتذاكر الأنصار فارتفعت أصواتنا فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «فيم أنتم؟» فقلنا: نتذاكر الفضائل. قال: «فلا تقدموا على أبي بكر أحداً فإنه أفضلكم في الدنيا والآخرة». أخرجهما صاحب فضائله. وعنه قال: «إن الله جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ وثاني اثنين إذ هما في الغار وأولى الناس بكم». خرج البخاري.

٢٧٢ - وعن عمر قال: «أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ»، خرج الترمذي وقال: حسن صحيح.

٢٧٣ - وعنه وقد قال له رجل: ما رأيت أحداً خيراً منك؛ قال: «هل رأيت رسول الله ﷺ»، قال: لا قال: «لو قلت نعم لضربت عنقك»، ثم قال: «هل رأيت أبا بكر» قال: لا قال: «لو قلت نعم لبالغت في عقوبتك» خرج القلعي. وعن الزهري أن رجلاً قال لعمر ما رأيت أحداً أو رجلاً أفضل منك قال له عمر: «هل رأيت رسول الله ﷺ»، قال: لا قال: «فهل رأيت أبا بكر» قال لا، قال: «لو أخبرتني أنك رأيت واحداً منهما لأوجعتك». خرج في الفضائل وقال حديث حسن إلا أنه مرسل لأن الزهري لم يدرك عمر.

٢٧٤ - وعن علي وقد قيل له لما أصيب ألا تستخلف؟ قال: «لا أستخلف ولكنني أترككم كما تركنا رسول الله ﷺ دخلنا على رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله ألا تستخلف فقال: «إن يعلم الله فيكم خيراً استعمل عليكم خيركم»، فعلم الله فينا خيراً فاستعمل علينا أبا بكر». خرجه ابن السمان في «الموافقة».

٢٧٥ - وعن علي بن أبي طالب أنه قال: «أترككم فإن يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خيركم». أخرجه القلعي وعن موسى بن شداد قال سمعت علياً رضي الله عنه يقول: أفضلنا أبو بكر.

ذكر اختصاصه بسيادة كهول العرب

٢٧٦ - عن إسماعيل بن أبي خالد قال: بلغني أن عائشة نظرت إلى النبي ﷺ فقالت: يا سيد العرب فقال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم وأبوك سيد كهول العرب وعلي سيد شباب العرب». خرجه أبو نعيم البصري ورواه الغيلاني وعن عبد الله بن مسعود قال: «اجعلوا إمامكم خيركم فإن رسول الله ﷺ جعل إمامنا خيرنا بعده». خرجه أبو عمر.

٢٧٧ - وعن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال: ولينا أبو بكر الصديق فخير خليفة أرحم بنا وأحنا علينا. خرجه ابن السمان في «الموافقة».

وعن الليث بن سعد قال: ما صحب الأنبياء أحد أفضل من أبي بكر. خرجه صاحب الفضائل.

ذكر اختصاصه بأنه أشجع الناس

٢٧٨ - عن محمد بن عقيل عن علي بن أبي طالب أنه قال يوماً وهو في جماعة من الناس: «من أشجع الناس؟» قالوا: أنت يا أمير المؤمنين قال: «أما إني ما بارزت أحداً إلا انتصفت منه ولكن أشجع الناس أبو بكر لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً وقلنا: من يكون مع النبي ﷺ لثلا يصل إليه أحد من المشركين فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهراً السيف على رأس رسول الله ﷺ قال: واجتمع المشركون عليه بمكة فهذا يجره وهذا يتلته وهم يقولون: أنت جعلت الآلهة إلهاً واحداً فوالله ما دنا إليه منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويحجأ هذا ويتلثل هذا ويقول: «ويلكم أتقتلون رجلاً أن

يقول ربي الله»، ثم قال علي «نشدتكم بالله أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر؟»، قال فسكت القوم فقال: «ألا تجيئون؟ والله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، مؤمن آل فرعون رجل كتم إيمانه وأبو بكر أعلن إيمانه». خرجه ابن السمان في كتاب «الموافقة» وصاحب «الفضائل».

شرح:

العريش: والعرش أيضاً ما يستظل به.

تلتله: أي زعزعه وحركه وأقلقه.

يجأ: يضرب يقال وجأ بالسكين أي ضربه بها، ونشدتكم بالله أي سألتكم به كأنه يذكره بالله وينشد أي يذكر ومما يناسب ذكره بعد هذا ذكر ما اشتهر عنه من شدة بأسه وثبوته عند الحوادث حتى شهد له علي رضي الله عنه بأنه أشجع الناس كما تقدم آنفاً وأنه مثبت القلب فيما رواه أبو شريحه قال: سمعت علياً على المنبر يقول: إن أبا بكر مثبت القلب. خرجه في «الصفوة» وصاحب «الفضائل» فمن ذلك.

ذكر شدة بأسه وثبوته يوم بدر: فيه ما تقدم في الذكر قبله

٢٧٩ - وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال يوم بدر وهو في قبة له: «اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تعبد بعد هذا اليوم»، فأخذ أبو بكر بيده وقال: «حسبك يا رسول الله، قد ألححت على ربك»، فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول: «سيهزم الجمع ويولون الدبر* بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر»^(١). خرجه البخاري.

٢٨٠ - وعنه قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: «لما كان يوم بدر نظر نبي الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلثمائة وسبعة عشر رجلاً قال: فاستقبل رسول الله ﷺ القبلة ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: «أنجز لي ما وعدتني اللهم آتني ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض أبداً». فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبلاً القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه^(٢) فاتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه فقال: «يا نبي الله كفك مناشدتك ربك، وإنه سينجز لك ما وعدك»، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ

(١) سورة القمر، الآيتان: ٤٥ - ٤٦.

(٢) الصَّنِيب: مجتمع رأس العضد والكتف.

بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴿١﴾، فأمدّه الله عز وجل وجل بالملائكة» أخرجاه.

شرح:

هتف: أي صاح والهتف الصوت يقال: هتف هتافاً أي صاح وهتف الحمامة تهتف هتفاً. والعصاة: الجماعة من الناس والخييل والطير قاله الجوهري.

٢٨١ - قال ابن إسحاق: عدل رسول الله ﷺ الصفوف يوم بدر ثم رجع إلى العريش فدخله ومعه فيه غيره ورسول الله ﷺ يناشد ربه ما وعده به من النصر ويقول فيما يقول: «اللهم إن تهلك هذه العصاة اليوم لا تعبد»، وأبو بكر يقول: «يا نبي الله بعض مناشدتك ربك، فإن الله منجز لك ما وعدك»، وخفق رسول الله ﷺ خفقة وهو في العريش ثم انتبه، فقال: «أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنياه النقع» النقع الغبار.

٢٨٢ - وعن حكيم بن حزام قال: لما حضر القتال رفع رسول الله ﷺ يديه يسأل الله النصر وما وعده يقول: «اللهم إن ظهروا على هذه العصاة ظهر الشرك ولا يقوم لك دين». وأبو بكر يقول «والله لينصرك الله وليبيضن وجهك»، فأنزل الله تعالى أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ عند أكتاف العدو وقال رسول الله ﷺ: «أبشر يا أبا بكر هذا جبريل عليه السلام معتجر بعمامة صفراء آخذ بعنان فرسه بين السماء والأرض؛ فلما نزل إلى الأرض تغيب عني ساعة، ثم طلع يقول: أتاكم نصر الله، أو دعوته». خرجه صاحب «الفضائل».

شرح:

أكتاف العدو: جوانبهم.
والاعتجار: لف العمامة على الرأس والمعجر ما تشده المرأة على رأسها.

ذكر ثباته يوم الحديبية

٢٨٣ - عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم حديث صلح الحديبية وفيه قال عمر: «فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله أأنت نبي الله حقاً؟ قال: «بلى» قلت: ألسنا

على الحق وهم على الباطل؟ قال: «بلى» قلت: فلم نعطي الدنيا في ديننا؟ فقال: «إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري». قلت: أوليس كنت تحدثنا أننا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «وأخبرتكم أنا نأتيه العام؟»، قلت: لا قال: «فإنك آتيه ومطوف به». قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدنيا في ديننا؟ قال أيها الرجل إنه رسول الله وليس يعصيه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق. قلت أوليس كان يحدثنا أننا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا قال: فإنك آتيه ومطوف به. قال عمر فعملت لذلك أعمالاً» أخرجه البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري.

شرح:

الغرز: ركاب الرجل من جلد فإن كان من خشب أو حديد فهو ركاب.

ذكر ثباته يوم توفي رسول الله ﷺ

٢٨٤ - عن عائشة قالت: «أقبل أبو بكر على فرس من مسكنه بالسبح حتى نزل فدخل المسجد، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فبصر برسول الله ﷺ وهو مجى^(١) ببرده، فكشف عن وجهه ﷺ، وأكب عليه فقبله، ثم بكى فقال: «بأبي أنت وأمي لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقدمتها».

٢٨٥ - قال أبو سلمة: «وأخبرني ابن عباس أن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس فقال: اجلس فأبى فقال: اجلس فأبى فتشهد أبو بكر فمال الناس إليه وتركوا عمر فقال: أما بعد فمن كان منكم يعبد محمداً فإن محمد ﷺ قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، إلى الشاكرين^(٢)»، قالت: فوالله لكان الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس فما نسمع بشراً إلا يتلوها» أخرجه الشيخان.

٢٨٤ - وعنها أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسبح تعني العالية فقام عمر

(١) سجا الشيء سجواً: غطاه.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

يقول: «والله ما مات رسول الله ﷺ»، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله فقبله، وقال: «بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً، والذي نفسي بيده لا يذيقك الموتين أبداً»، ثم خرج فقال: «أيها الحالف على رسلك» فلما تكلم أبو بكر جلس عمر فحمد الله وأثنى عليه وقال: «ألا من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(١)، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ * أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(٢)، قال: فنشج الناس ليكون خروجه البخاري.

شرح:

نشج: الباكي ينشج نشجاً ونشيجاً إذا غص بالبكاء في حلقة من غير انتخاب.

٢٨٧ - وعن ابن عمر قال: «لما قبض رسول الله ﷺ أتانا أبو بكر فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: «إن كان محمداً إلهكم الذي تعبدونه فإن إلهكم قد مات وإن كان إلهكم الذي في السماء فإن إلهكم حي لا يموت»، ثم تلا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ الآية.

٢٨٨ - قال الزهري فأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب قال: «والله ما هو إلا أن تلاها أبو بكر يعني قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، عقرت وأنا قائم حتى خررت إلى الأرض وأثبت أن رسول الله ﷺ قد مات». خرج قول الزهري البخاري ومعنى الأول عنده.

شرح:

عقرت: بالكسر من العقر وهو أن يسلم الرجل قوائمها فلا يستطيع أن يقاتل من الخوف، وقيل: هو أن يفجأه الروع فيدهش ولا يستطيع أن يتقدم ولا أن يتأخر حكاها في نهاية الغريب والأول ذكره الجوهري.

٢٨٩ - وعن سالم بن عبيد الأشجعي قال: «لما مات رسول الله ﷺ كان أجزع

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

الناس كلهم عمر بن الخطاب، قال: فأخذ بقائم سيفه وقال: «لا أسمع أحداً يقول مات رسول الله ﷺ، إلا ضربته بسيفي هذا»، قال: فقال الناس: يا سالم اطلب صاحب رسول الله ﷺ، قال: فخرجت إلى المسجد فإذا بأبي بكر فلما رأيته أجهشت بالبكاء، فقال: مالك يا سالم؟ أمت رسول الله ﷺ؟ فقلت: إن هذا عمر بن الخطاب يقول: لا أسمع أحداً يقول مات رسول الله ﷺ إلا ضربته بسيفي هذا. قال: فأقبل أبو بكر، فلما رآه الناس سعوا له فدخل على النبي ﷺ وهو مسجى، فوضع البردة عن وجهه ووضع فاه على فيه، واستنشأ الريح ثم سجاه، والتفت إلينا فقال: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ؟ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ»^(١)، وقال: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ»^(٢)، ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات»، قال عمر: «فوالله لكأنني لم أتْل هذه الآيات قط»، فقالوا: يا صاحب رسول الله ﷺ أمت رسول الله ﷺ؟ قال: «نعم». . . قالوا: يا صاحب رسول الله ﷺ من يغسله؟ قال: «رجال أهل بيته الأدنى فالأدنى»، قالوا: يا صاحب رسول الله ﷺ أين يدفن؟ قال: «في البقعة التي قبضه الله عز وجل فيها، لم يقبضه إلا في أحب البقاع إليه»، خرجه الحافظ أبو أحمد حمزة بن محمد بن الحارث بهذا السياق، وكذلك أخرجه في فضائله.

وخرج الترمذي معناه بتمامه وزاد بعد قولهم: مات رسول الله ﷺ قال: نعم فعلموا أن قد صدق، وقال بعد ذكر الدفن: فإن الله لم يقبض روحه إلا في مكان طيب بدل إلا في أحب البقاع إليه، وزاد: فعلموا أن قد صدق.

٢٩٠ - وفي رواية أنهم قالوا: يا صاحب رسول الله ﷺ أنصلي عليه؟ قال: «نعم»، قالوا: كيف نصلي عليه؟ قال: «يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون له ثم يخرجون ثم يدخل غيرهم حتى يفرغوا»، قالوا يا صاحب رسول الله ﷺ أين يدفن؟ ثم ذكر الحديث - خرجها في فضائله.

شرح:

جهش: فزع إلى غيره وهو مع ذلك يريد البكاء كالصبي يفزع إلى أمه وقد تهيأ للبكاء يقول جهش إليه بجهش وأجهش أيضاً - استنشأ: الريح أي شم ريح الموت قال الهذلي:
ونشئت ريح الموت من تلقائهم وخشيت وقّع مهني قرضاب

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

تقول منه: نشئت ريحاً نشوة بالكسر أي: شملت.

٢٩١ - وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن حدثه قال: قبض رسول الله ﷺ وأبو بكر غائب بالسنح عند زوجته بنت خارجة فسل عمر سيفه وتوعد من يقول مات رسول الله ﷺ وكان يقول: «إنما أرسل إليه كما أرسل إلى موسى عليه السلام فلبث عن قومه أربعين ليلة، والله إنني لأرجو أن يقطع أيدي رجال وأرجلهم» فأقبل أبو بكر من السنح حين بلغه الخبر إلى بيت عائشة فأذنت له فدخل، فكشف عن وجه رسول الله ﷺ فجثا يقبله ويبكي، ويقول: «توفي رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده، صلوات الله عليك يا رسول الله، ما أطيبك حياً وميتاً»، ثم خرج سريعاً إلى المسجد حتى جاء المنبر فقام عليه ونادى الناس اجلسوا فجلسوا وأنصتوا، فتشهد شهادة الحق ثم قال: «إن الله تعالى نعى نبيكم وهو حي بين أظهركم، ونعى لكم أنفسكم وهو الموت حتى لا يبقى أحد إلا الله، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾^(١)، إلى ﴿الشَّاكِرِينَ﴾، وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٢)، وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٤)، وقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾* ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام^(٥). ثم قال: إن الله عز وجل عمر محمداً وأبقاه حتى أقام دين الله، وأظهر أمر الله، وبلغ رسالة الله، وجاهد أعداء الله، توفاه الله وهو على ذلك، وترككم على الطريقة، فلا يهلك هالك إلا من بعد البينة والشفاء والنور، فمن كان الله ربه فإن الله حي لا يموت فليعبده، ومن كان ربه محمداً ويراها إلهاً فقد هلك إلهه، فاقبلوا أيها الناس، واعتصموا بدينكم، وتوكلوا على ربكم، فإن دين الله قائم، وكلمته باقية، وإن الله ناصر دينه، ومعز أهله، وإن كتاب الله عز وجل بين أظهرنا هو النور والشفاء، به هدى الله محمداً ﷺ، وفيه حلال الله وحرامه، ولا والله ما نبالي من أجلب علينا من خلق الله إن سيوفنا لمسلولة ما وضعناها بعد ولنجاهدن من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله ﷺ، فلا ينعين أحد إلا نفسه، ثم انصرف، خرج صاحب فضائله وقال غريب.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

(٤) سورة القصص، الآية: ٨٨.

(٥) سورة الرحمن، الآية: ٢٦ - ٢٧.

شرح:

النبي: خبر الموت يقال نعاه نعيًا ونعيانًا بالضم وكذلك النعي على فعل يقال جاء نعي فلان. وأجلب علينا أي: جمع يقال أجلبوا علينا وتألّبوا أي اجتمعوا وأجلبه أعانه.

ذكر أن غيبته في منزله بالسنع حين وفاة رسول الله ﷺ لم تكن إلا بإذن رسول الله ﷺ

٢٩٢ - عن عائشة قالت: «رأيت من رسول الله ﷺ بعض الشيء، فعصبت رأسي فدخل علي رسول الله ﷺ، فقلت: وارأساه، فقال: «بل أنا وارأساه». قالت: ثم أرسل إلى نسائه فاستأذنهن أن تمرضه عائشة، فأذن له، قالت: فمرضته أياماً فدخل عليه أبو بكر فقال: يا رسول الله إني أراك كأنك اليوم أمثل، أتأذن لي أن آتي أهلي فأذن له نبي الله ﷺ، قالت عائشة: فبينما أنا مسندته إلى صدري، إذ نظر كالرجل يريد من أهله الشيء، قالت: ثم نظر إلي فمال عن صدري، فسجيت^(١) عليه، وظننت أنه غشي عليه إذ جاء أبو بكر على فرس، فافتحم الفرس في الحجرة ثم نزل فدخل، ثم قال: أي بنية ما شأنه، فقلت والله ما أدري ما به إلا إني كنت مسندته إلى صدري فانخنت^(٢) فمال فسيته ولا أدري غشي عليه أم قبض؟» خرجه الحافظ حمزة بن الحارث.

٢٩٣ - وعن عائشة أن أبا بكر دخل على النبي ﷺ بعد وفاته فوضع فمه بين عينيه ووضع يديه على صدغيه، فقال: «وانبياه واخليلاه واصفياه».

خرجه ابن عرفة العبدى ولا تضاد بين هذا على تقدير صحته وبين ما تقدم مما يضمن بيانه بأن يكون قد قال ذلك من غير انزعاج ولا قلق خافتاً به صوته ثم التفت إليهم وقال لهم ما قال.

ذكر شدة بأسه وثبات قلبه لما ارتدت العرب

بعد وفاة رسول الله ﷺ

٢٩٤ - عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لما توفي رسول الله ﷺ،

(١) سجّيت عليه: غطيته.

(٢) انخنت: انثنى ومال.

واستخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال: لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله»، فقال أبو بكر: «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها»، فقال عمر: «فوالله ما هو إلا أن رأيت أن الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق». أخرجه .

وعنه لما قبض رسول الله ﷺ وارتدت العرب وقالوا لا نؤدي زكاة فقال أبو بكر: «لو منعوني عقلاً لجاهدتهم عليه»، فقلت: «يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم»، فقال لي: «أجبار في الجاهلية؟ وخوار في الإسلام؟ إنه قد انقطع الوحي وتم الدين أو ينقص وأنا حي؟». خرجه النسائي بهذا اللفظ ومعناه في الصحيحين .

٢٩٥ - وقد تقدم في ذكر قصة الغار وتقدم شرحه أيضاً، وعن يحيى بن عمر، عن أبيه، عن جده قال: لما امتنع من امتنع من دفع الزكاة إلى أبي بكر - جمع أبو بكر أصحاب رسول الله ﷺ، فشاورهم في أمرهم فاختلفوا عليه، فقال لعلي: «ما تقول يا أبا الحسن؟»، قال: «أقول لك إن تركت شيئاً مما أخذ رسول الله ﷺ، منهم - فأنت على خلاف سنة رسول الله ﷺ»، قال: «أما لئن قلت ذاك لأقاتلنهم وإن منعوني عقلاً». أخرجه ابن السمان في «الموافقة» .

٢٩٦ - وعن أبي رجاء العطاردي قال: دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين ورأيت رجلاً يقبل رأس رجل وهو يقول: «أنا فداؤك، ولولا أنت لهلكنا»، فقلت: من المَقْبَل؟ ومن المَقْبَل؟ قال ذاك عمر يقبل رأس أبي بكر في قتاله أهل الردة إذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها صاغرين - خرجه في «الصفوة» في فضائله .

٢٩٧ - وعن ابن مسعود أنه قال: «كرهنا ذلك ثم حمدنا في الانتهاء، ورأيناه رشيداً، لولا ما فعل أبو بكر لألحد الناس في الزكاة إلى يوم القيامة». خرجه القلعي .

شرح:

أصل الإلحاد الميل: والمراد أنهم كانوا يتركونها جاحدين لوجوبها إلى يوم القيامة وإذا فعلوا ذلك فقد مالوا عن الحق .

٢٩٨ - وعن عائشة قالت: «لما خرج أبي شاهراً سيفه ركباً راحلته، يعني يوم الردة، فجاء علي بن أبي طالب فأخذ بزمام راحلته، فقال له: «أين يا خليفة رسول الله ﷺ أقول لك ما قال رسول الله ﷺ يوم أحد شمس سيفك لا تفجعنا بنفسك وارجع إلى المدينة. والله لئن أصبنا بك لا يكون بعدك نظام أبداً»، فرجع - خرج الخلعى وابن السمان في «الموافقة» والفضائلي وصاحب الفضائل وزادوا مضي الجيش.

شرح:

شم سيفك أي: اغمده ويقال سله وهو من الأضداد.

٢٩٩ - وعن أبي هريرة أنه قال: «والله الذي لا إله إلا هو لولا أن أبا بكر استخلف ما عبد الله، ثم قال الثانية ثم قال الثالثة فقليل له: مه^(١) يا أبا هريرة فقال: إن رسول الله ﷺ وجه أسامة بن زيد في سبعمائة إلى الشام، فلما نزل بذي خشب وقبض النبي ﷺ وارتدت العرب حول المدينة فاجتمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا يا أبا بكر رد هؤلاء يتوجه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب؟ فقال: والله الذي لا إله إلا هو لو جرت الكلاب بأرجل أزواج النبي ﷺ ما رددت جيشاً جهزه رسول الله ﷺ ولا حلت لواء عقده رسول الله ﷺ».

وفي رواية: «والله لو علمت أن السباع تجر برجلي إن لم أرده ما رددته عن وجه وجهه رسول الله ﷺ وأمر أسامة أن يمضي لوجهه ذلك».

٣٠٠ - وفي رواية أن عمر هو القائل: «يا خليفة رسول الله ﷺ إن العرب قد ارتدت على أعقابها كفاراً كما قد علمت وأنت تريد أن تنفذ جيش أسامة وفي جيش أسامة جماعة العرب وأبطال الناس فلو حبسته عندك لتقويت به على من ارتد من هؤلاء العرب». فقال أبو بكر: «لو أني علمت أن السباع تأكلني في هذه المدينة لأنفذ جيش أسامة كما قال ﷺ أمضوا جيش أسامة فلن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا»، قال: فوجه أسامة فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا: لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم ولكنهم ندعهم حتى يلقوا الروم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين، فثبتوا على الإسلام - خرج أبو عبيدة في كتاب «الأحداث» وأبو الحسن علي بن محمد القرشي في كتاب «الردة والفتوح» والفضائلي الرازي والملاء في سيرته.

(١) مه: اسم فعل أمر معناه: اكفف.

٣٠١ - وذكر أبو الحسن علي بن محمد القرشي أن أبا بكر أقبل على أسامة بن زيد وهو معسكر خارج المدينة وقال له: «امضِ رحمك الله لوجهك الذي أمرك به النبي ﷺ ولا تقصر في أمرك فإن رأيت أن تأذن لعمر بن الخطاب بالمقام عندي فأني أستاذس به وأستعين برأيه فقال أسامة قد فعلت ذلك، وسار أسامة إلى الموضع الذي أمره النبي ﷺ بالخروج إليه».

٣٠٢ - وعن هشام بن عروة، عن أبيه قال: «كان في بني سليم ردة فبعث إليهم أبو بكر خالد بن الوليد، فجمع رجالاً منهم في الحظائر ثم أحرقها عليهم بالنار فبلغ ذلك عمر فأتى أبا بكر فقال تدع رجلاً يعذب بعذاب الله عز وجل فقال أبو بكر والله لا أشيم سيفاً سله الله على عدوه حتى يكون هو الذي يشيمه ثم أمره فمضى من وجهه ذلك إلى مسيلمة» خرج أبو معاوية. ومنه:

ذكر ثباته عند الموت

٣٠٣ - عن عائشة قالت: «لما حضرت أبا بكر الوفاة أردت أن أكلمه في طلحة بن عبيد الله فأتيته فإذا هو يحشرج فقلت: إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر. فقال لها: يا بنية أو غير ذلك؟ ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾^(١). أجلسيني». فأجلسته فرفع يديه فقال: «اللهم إني لم آل»^(٢) - خرج أبو حذيفة في فتوح الشام.

ذكر اختصاصه بالفهم عن رسول الله ﷺ وأنه كان أعلمهم بالأمور وأعلمهم به

٣٠٤ - عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال: «إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده»، فبكى أبو بكر وقال: «فدينناك بآبائنا وأمهاتنا»، فكان رسول الله ﷺ هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به - أخرجاه وأحمد وأبو حاتم وعند البخاري بعد قوله: فبكى أبو بكر فعجبنا لبكائه أن يخبر

(١) سورة ق، الآية: ١٩.

(٢) آل: رجع، وآل عنه: ارتد.

رسول الله ﷺ عن عبد خير فكان رسول الله ﷺ هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به.

٣٠٥ - وعند الترمذي من رواية أبي المعلى أن رسول الله ﷺ خطب فقال: «إن رجلاً خيره ربه بين أن يعيش في الدنيا ما شاء ويأكل من الدنيا ما شاء أن يأكل وبين لقاء ربه فاختر لقاء ربه». قال: فبكى أبو بكر. فقال أصحاب النبي ﷺ: ألا تعجبون من هذا الشيخ إذ ذكر رسول الله ﷺ رجلاً صالحاً خيره ربه بين الدنيا ولقاء ربه؟ قال: فكان أبو بكر أعلمهم بما قال رسول الله ﷺ فقال أبو بكر: «بل نفديك بأبائنا وأموالنا».

وخرجه الحافظ الدمشقي عن أبي سعيد ولفظه قال: جلس رسول الله ﷺ يعني مرجعه من حجته فقال «إن عبداً»، ثم ذكر معناه، وقال: فكان أبو بكر أعلمنا بالأمور وقد تقدم في ذكر اختصاصه بأنه أمن الناس في صحبته وماله.

٣٠٦ - وخرجه صاحب فضائله عن أبي سعيد ولفظه: خرج علينا رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه وهو معصوب الرأس فاتبعه حتى قام على المنبر فقال: «إني الساعة قائم على الحوض ثم قال إن عبداً عرضت عليه الدنيا وزينتها فاختر الآخرة»، فلم يفتن لها أحد من القوم إلا أبو بكر فقال: «بأبي وأمي بل نفديك بأموالنا وأنفسنا وأولادنا»، قال: ثم هبط من المنبر فما رئي عليه حتى الساعة. وقال حديث حسن.

٣٠٧ - وعن عمر قال: «كنت أدخل على رسول الله ﷺ وهو وأبو بكر يتكلمان في علم التوحيد فأجلس بينهما كأني زنجي لا أعلم ما يقولون»، خرجه الملاء في سيرته.

ذكر اختصاصه بشربه فضل لبن شربه رسول الله ﷺ

في رؤيا رآها وأعطى فضله أبا بكر وتفسير الصحابة ذلك بالعلم

وتصويبه ﷺ ذلك التفسير

٣٠٨ - عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت كأني أعطيت عساً مملوءاً لبناً فشربت منه حتى امتلأت فرأيتها تجري في عروقي بين الجلد والعظم ففضلت منها فضلة فأعطيتها أبا بكر»، قالوا: يا رسول الله هذا علم أعطاك الله حتى إذا امتلأت فضلت فضلة فأعطيتها أبا بكر. قال ﷺ: «قد أصبتم» خرجه أبو حاتم.

شرح:

العس: القدح العظيم والرغد أكبر منه وجمعه عساس وقد جاء في الصحيح مثل هذا لعمر وسيأتي في خصائصه ولعل الرؤيا تعددت في ذلك وعلى ذلك يحمل فإن الحديثين صحيحان وإن كان حديث عمر متفقاً عليه.

ذكر اختصاصه بشهادة النبي ﷺ بأعلميته بالنسب

٣٠٩ - عن عائشة أن النبي ﷺ قال لحسان: «لا تعجل وأت أبا بكر فإنه أعلم قريش بأنسابها حتى يحص لك نسبي»، أخرجه في الفضائل.. وقال حسن صحيح.

٣١٠ - وعن ابن عباس قال: «حدثني علي بن أبي طالب من فيه قال: لما أمر الله تبارك وتعالى رسول الله ﷺ أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر، فدفعنا إلى مجالس العرب فتقدم أبو بكر وكان مقدماً في كل خير، وكان رجلاً نسابة فسلم وقال: من القوم؟ قالوا: من ربيعة. قال: وأي ربيعة أنتم من هامتها أم من لهازمها؟ فقالوا: من ذهل الأكبر. قال: فيكم عوف الذي يقال لا حر بوادي عوف؟ قالوا: لا. قال: فمنكم جساس بن مرة حامي الذمار ومانع الجار؟ قالوا: لا، قال: فمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنفسها قالوا: لا، قال: فمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة؟ قالوا: لا، قال: فمنكم أخوال الملوك من كندة؟ قالوا: لا. قال: فمنكم أصهار الملوك من لخم؟ قالوا: لا، قال أبو بكر: فليست ذهلاً الأكبر أنتم ذهل الأصغر، فقام إليه غلام من بني شيبان يقال له: دغفل حين بقل وجهه فقال:

إِنَّ عَلَى سَائِلِنَا أَنْ نَسْأَلَهُ وَالْعَبَاءُ لَا تَعْرِفُهُ أَوْ تَحْمَلُهُ

يا هذا. إنك قد سألتنا فأخبرناك ولم نكتك شيئاً، فمن الرجل؟ قال أبو بكر: من قريش، قال الفتى: بخ بخ أهل الشرف والرياسة، فمن أي القرشيين أنت؟ قال: من ولد تيم بن مرة، قال الفتى: أمكنت والله من سواء الثغرة، أمكنكم قصي الذي جمع القبائل من فهر وكان يدعى في قريش مجمعاً؟ قال: لا. قال: فمنكم هاشم الذي قال فيه الشاعر:

عَمَرُوا الْعُلَا هَاشِمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ مَسْتَشُونَ عِجَافُ

قال: لا، قال: فمنكم شيبه الحمد عبد المطلب مطعم طير السماء الذي كان وجهه كالقمر يضيء في الليلة الداجية الظلماء؟ قال: لا، قال: فمن أهل

الإفاضة^(١) بالناس أنت؟ قال: لا، قال: فمن أهل الحجابة أنت؟ قال: لا، قال: فمن أهل السقاية^(٢) أنت؟ قال: لا، قال: فمن أهل الندوة^(٣) أنت؟ قال: لا، قال: فمن أهل الوفاة أنت؟ قال لا، فاجتذب أبو بكر زمام الناقة راجعاً إلى رسول الله ﷺ فقال الغلام: صادفَ درءَ الستَرِ درءاً يرفعه يهيضُه حيناً وحيناً يرفعه أما والله لو ثبت لأخبرتكَ من أي قريش أنت؟ قال: فتبسم رسول الله ﷺ، قال علي: فقلت: يا أبا بكر لقد وقعت من الأعرابي على باقة^(٤) قال: اجلس أبا حسن ما من طامة^(٥) إلا وفوقها طامة، والبلاء موكل بالمنطق، قال: ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار، فتقدم أبو بكر فسلم وقال: ممن القوم؟ قالوا من شيان بن ثعلبة فالتفت أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فقال: بأبي وأمي هؤلاء غرر الناس وفيهم مفروق بن عمرو وهانئ بن قبيصة والمثنى بن حارثة والنعمان بن شريك، وكان مفروق قد غلبهم جمالاً ولساناً وكان له غديرتان يسقطان على ترتبيه، وكان أدنى القوم مجلساً فقال أبو بكر: العدد فيكم؟ فقال مفروق: إنا نزيد على ألف ولن يغلب ألف من قلة، فقال أبو بكر: وكيف المنعة فيكم؟ فقال مفروق: علينا الجهد ولكل قوم حد، فقال أبو بكر: فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ قال مفروق: إنا لأشد ما يكون غضباً حين نلقى وأشد ما نكون لقاء حين نغضب وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد والسلاح على اللقاح والنصر من عند الله تعالى يديلنا^(٦) مرة ويديل علينا أخرى، لعلك أخو قريش؟ قال أبو بكر: قد بلغكم أنه رسول الله ﷺ ألا هو ذا، فقال مفروق: بلغنا أنه يذكر ذلك فإلام تدعو يا أخا قريش؟ فتقدم رسول الله ﷺ فجلس وقام أبو بكر يظله بثوبه، فقال رسول الله ﷺ: «أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وإلى أن تؤؤوني وتنصروني، فإن قريشاً قد ظهرت على أمر الله وكذبت رسله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد»، فقال مفروق بن عمرو: وإلام تدعون يا أخا قريش فوالله ما سمعت كلاماً أحسن من هذا؟ فتلا رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي﴾

(١) الإفاضة: انصراف الحاج عن الموقف في عرفة.

(٢) سقاية الحاج: سقيهم الماء.

(٣) كانت لقريش في الجاهلية دار للندوة يُرْجَع إليها ويجتمع فيها للبحث والمشاورة بناها قصي بن كلاب.

(٤) يقال: رجل باقة: حذر ذو حيلة.

(٥) الطامة: الداهية تفوق ما سواها.

(٦) أدال فلاناً على فلان: نصره وأظفـره به.

عليكم^(١)، إلى ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢)، فقال مفروق وإلى ما تدعون يا أخا قريش؟ قال فتلا رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ إلى ﴿تَذَكَّرُونَ﴾^(٣)، فقال مفروق دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هانيء بن قبيصة فقال: وهذا هانيء بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا، فقال هانيء قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، وإني أرى إن تركنا ديننا واتبعناك على دينك بمجلس جلسناه إليك ليس له أول ولا آخر، زللاً في الرأي، وقلة نظر في العاقبة وإنما تكون الزلة بعد العجلة، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقداً، ولكن ترجع ونرجع، وتنظر وننظر، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثنى بن حارثة فقال: وهذا المثنى بن حارثة شيخنا، وصاحب حربنا، فقال المثنى بن حارثة: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، والجواب فيه جواب هانيء بن قبيصة في تركنا ديننا ومتابعتك على دينك وإنما نزلنا بين صريتين: اليمانية والشامية.

فقال رسول الله ﷺ: «ما هاتان الصريتان؟».

فقال: أنهار كسرى ومياه العرب فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور، وعذره غير مقبول، وإنا إنما نزلنا على عهد أخذه علينا أن لا نحدث حدثاً ولا نؤوي محدثاً وإني أرى هذا الأمر الذي تدعون إليه يا أخا قريش مما تكره الملوك، فإن أحببت أن تؤويك وننصررك مما يلي مياه العرب فعلنا، فقال رسول الله ﷺ: «ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، أرايتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم أتسبحون الله وتقدسونه؟». فقال النعمان بن شريك: اللهم فلك ذلك، قال: فتلا رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيرًا* وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسَراجاً مُنِيرًا﴾^(٤)، ثم نهض رسول الله ﷺ قابضاً على يد أبي بكر وهو يقول: «يا أبا بكر أية أخلاق في الجاهلية ما أشرفها بها يدفع الله عز وجل بأس بعضهم عن بعض، وبها يتحاجزون فيما بينهم». قال: فدفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج فما نهضنا حتى بايعوا رسول الله ﷺ،

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٤٥ - ٤٦.

قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ وقد سر بما كان من أبي بكر ومعرفته بأنسابهم».

شرح:

هامتها: رأسها.

واللهازم: في الأصل - جمع لهزمة بالكسر واللهزمتان عظمتان ناتئتان في اللحين تحت الأذنين وتيم الله بن ثعلبة بن عكابة من بني ربيعة يقال لهم اللهازم قاله الجوهري.

ذهل: حي من بكر وهما ذهلان كلاهما من ربيعة أحدهما ذهل بن شيان بن ثعلبة بن عكابة والآخر ذهل بن ثعلبة بن عكابة.

حامي الذمار أي إذا ذمر وغضب حمى - وذمر، أي حث يقال تذامر القوم أي حث بعضهم بعضاً وذلك في الحرب وذمر الأسد إذا زأر.

والحوفزان: بقاء وزاي هو لقب الحارث بن شريك الشيباني لقب بذلك لأن قيس بن عاصم التميمي حفزه بالرمح حين خاف أن يفوته.

ودغفل: هو ابن حنظلة النسابة أحد بني شيان - والدغفل ولد الفيل. قاله الجوهري.

بقل وجهه: خرجت لحيته.

والندوة: والتندي على فاعل بمعنى وهو مجلس القوم ومتحدثهم وكذلك النادي والمنتدى فإن تفرقوا فليس بندي وسميت دار الندوة بمكة التي بناها قصي لأنهم كانوا ينتدون فيها أي يجتمعون للمشاورة وإليها الإشارة على حذف المضاف والله أعلم. العبء: بالكسر الحمل وجمعه أعباء.

سوا الثغرة: أي وسطها والثغرة ثغرة النحر التي بين الترقوتين كأنه استعارها لمكان شرف النسب.

مستنون: مجذبون وأسنت القوم أي أجذبوا.

الدرء: كل ما استترت به.

يهيضه: يكسره وهاض العظم كسره.

الباقعة: الداهية وبقع الرجل إذا رمى بكلام قبيح.

الطامة: يقال لما علا وغلب طم.

غرر الناس ساداتهم وغرة كل شيء: أوله وأكرمه.

ديرتان: ضفيران.

تريباً: واحدة الترائب وهي عظام الصدر ما بين الترقوة والشدوة.

المنعة: الامتناع ويقال جمع مانع نحو كافر وكفرة.

الجد: بالفتح الحظ.

يدبلنا أي: يجعل لنا الدولة تارة، وعلينا أخرى.

ظاهرة: من المظاهرة: المعاونة.

الصريتان: تنبية صرية لعله من الصرا بكسر الصاد وفتحها: الماء يطول مكثه واستنقاعه أو من الصراة نهر بالعراق.

التحاجز: التمانع.

وربما يتوهم جاهل أن أبا بكر لما رجع عن دغفل كان عن انقطاع وعي ولم يكن رجوعه لذلك، فإن أبا بكر انتسب إلى أرومة ليس منها أحد ممن ذكره دغفل، وإلى بيت ليس فيه شيء من تلك المناصب، ولو ثبت أبو بكر لما أمكن دغفل أن يقول له لست من تيم بن مرة ولا لست من قريش ولكان لأبي بكر أن يقول له: يا أبا العرب إن جميع من ذكرته لم يكن إلا من الأرومة التي انتسب إليها، وما ذكرته من المناصب ليس شيء منه في البيت الذي انتسب إليه، ولا يقتضي كونهم ليسوا منا، فلا شيء من هذه المناصب، فينافي إخراجي من قريش، فإن قريشاً بطون كثيرة ولم أدع أنني من أرومة تشملني ومن ذكرته، أما أنتم فادعيتم أنكم من الهامة من ذهل الأكبر، وذهل الأكبر أرومة من عدده عليكم، فيلزم من كل من كان من ذهل الأكبر أن يكون هؤلاء منهم، فلما أقررتم بانتفاء اللازم، وهو أن هؤلاء ليسوا منكم مع الاعتراف بأنهم من ذهل الأكبر، فانقضى الملزوم وهو أن يكون ذهل الأكبر أرومة منكم لأنهم متفق عليهم فتعيتم للانتفاء، وإنما كان رجوعه رضي الله عنه من باب عظموا أقداركم بالتغافل، فإنه رأى إنساناً قصد التنقص به والغض من أرومته بكون هؤلاء العظماء النبلاء المشهورين بالمناقب ليسوا منكم، والخط من مرتبته بكون هذه المناصب الشريفة ليس شيء منها فيه، وعرف أنه مقتدر على الكلام وترويجه، والتعاريض بما ينقصه به بين ذلك الملاء فكان من النظر السديد ما فعله أبو بكر وقول دغفل أما والله لو ثبت لأخبرتكم من قريش أي قريش الممتدحة بتلك المناقب والمناصب، وكأنه يقول فهم قريش على الحقيقة لا أنه يريد أن تيم بن مرة ليس من قريش فإنه علامة بالنسب مشهور بذلك بين العرب فكيف يعزب^(١) عنه هذا؟ وقول علي لقد وقعت من الأعرابي على باقعة صحيح. ولا شك في أنه كذلك، وقول أبي بكر: ما من طامة إلا وفوقها طامة لا يلزم منه أنه أراد أنه أعلم منه بالنسب.

وإنما لما كان أبو بكر من أفصح العرب وأعرفهم بوجوه الكلام ومحاسنه وحقائقه ومجازاته، وأعلمهم بالنسب، لكنه لم يكن يستعمل التمويه والمعاريض التي هي شبيهة بالباطل، وإن كان حقاً لمكان دينه وورعه، ودغفل وإن كان في الفصاحة والعلم بالنسب كذلك، إلا أنه لا دين له ولا ورع عنده يمنعانه من ذلك كما قد وقع، فإنه أوهم أن أبا بكر ليس من قريش بما عرض به من تعداد أقوام ونفي أبي بكر عنهم وهو محقق في القول مبطل في الإيهام، فبذلك طم على أبي بكر والله أعلم.

(١) عزب الشيء: بعد وخفي.

ذكر اختصاصه بالفتوى بين يدي رسول الله ﷺ وإمضاء النبي ﷺ

٣١١ - عن أبي قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل قتيلًا له عليه بيعة فله سلبه». وكنت قتل رجلًا من المشركين فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست فأعادها فقلت فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست فأعادها الثالثة فقال رجل: صدق يا رسول الله، سلبه عندي فأرضه عني، فقال أبو بكر: لاها الله إذن لا أعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله يعطيك سلبه فقال ﷺ: «صدق فأعطه»، فبعث الدرع، فابتعت به مخرفاً^(١) في بني سلمة فإنه لأول مال تأثله^(٢) في الإسلام» أخرجاه.

شرح:

لاها الله إذن: هكذا يرووها للتنبيه وفيها لغتان المد والقصر، وجاءت في هذا الموضع عوضاً عن واو القسم كهمزة الاستفهام في الله ومد ألفها أحسن ويجوز حذفها لالتقاء الساكنين.

وذكر أبو حاتم الجتاني فيما يلحن فيه العامة أنهم يقولون لاها الله إذا والصواب لاها الله ذا والمعنى لا والله هذا ما أقسم به فأدخل اسم الله بين ها وذا، فعلى هذا يكون، هذا من الرواة لأنهم كانوا يرون بالمعنى هذا مذهب الأخفش، وذهب الخليل إلى أن الخبر محذوف أبدأ وأن التقدير لا والله إلا من ذا، ولا والله لا يكون ذا. فحذف لكثرة الاستعمال. وأعلم أن بدار أبي بكر بالزجر والردع والفتوى واليمين على ذلك في حضرة رسول الله ﷺ، ثم يصدقه الرسول الله ﷺ فيما قال، ويحكم بقوله - خصوصية شرف لم تكن لأحد غيره، وقد كان يفتي في حياة رسول الله ﷺ أربعة عشر من الصحابة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وعمار بن ياسر، وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت وأبو الدرداء وسلمان وأبو موسى الأشعري.

ولهذا لما قال ذلك الرجل: فسألت رجلاً من أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلد مائة جلدة لم ينكر عليه رسول الله ﷺ فتوى غيره في زمانه لأنها عنه صدرت وعن تعليمه أخذت، وأما الفتوى بحضرته على ما ذكرنا، فلم تكن لأحد سوى أبي بكر.

٣١٢ - وعن محمد بن كعب القرطبي قال: بلغني أنه لما اشتكى أبو طالب شكواه التي قبض فيها قالت له قريش أرسل إلى ابن أخيك يرسل إليك من هذه الجنة التي

(١) المَخْرَف: البستان.

(٢) أَثَّل: كثر ماله.

ذكرها ما يكون لك شفاء، فخرج الرسول حتى وجد رسول الله ﷺ وأبو بكر جالس معه فقال يا محمد: إن عمك يقول لك إني كبير ضعيف سقيم فأرسل إلي من جنتك هذه التي تذكر من طعامها وشرابها شيئاً يكون لي فيه شفاء. فقال أبو بكر: إن الله حرمها على الكافرين، فرجع الرسول إليهم وأخبرهم بمقالة أبي بكر فحملوا عليه بأنفسهم، حتى أرسل رسولاً من عنده فوجده الرسول في مجلسه فقال له مثل ذلك فقال رسول الله ﷺ «إن الله حرمها على الكافرين» - خرج في فضائل أبي بكر وهو مرسل.

ذكر تعبيره الرؤيا بين يدي النبي ﷺ وفي حال انفراده

عنه وتقرير النبي ﷺ تعبيره في الحاليين

وأنه كان أعلم الناس بالتعبير

٣١٣ - عن ابن عباس أن رجلاً أتى النبي ﷺ عند منصرفه من أحد فقال: يا رسول الله إني رأيت في المنام ظلة تنظف^(١) عسلاً وسمناً، والناس يتكفون فمنهم المقل ومنهم المكثر، ثم رأيت سبياً واصلًا من السماء أخذت به فعلوت ثم أخذ به آخر بعدك فعلا ثم أخذ به آخر فانقطع ثم وصل له فعلا قال: فقال: أبو بكر اتركني أعبرها يا رسول الله قال: «عبرها»: قال: «أما الظلة فالإسلام وأما السمن والعسل فهو القرآن حلاوته ولينه والناس يتكفون منه فمنهم المقل ومنهم المكثر وأما السب من السماء فهو الحق الذي أنت عليه أخذت به فعلوت ثم أخذ به آخر بعدك فعلا ثم أخذ به آخر فعلا ثم أخذ به آخر فانقطع ثم وصل له فعلا، أصبت يا رسول الله؟»، قال: «أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً»، قال: «أقسمت يا رسول الله لتخبرني»، قال: «لا تقسم». أخرجاه.

شرح:

يتكفون: ويستكفون بمعنى وهو أن يمد كفه يسأل - والسب: الحبل في لغة هذيل.

٣١٤ - وعن عمر بن شرحبيل قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت كأني في غنم سود إذ ردفها غنم بيض، فلم أستبن السود من كثرة البيض»، قال أبو بكر: «يا رسول الله هذه العرب ولدت فيها ثم تدخل العجم فلا تتبين العرب من كثرتهم»، قال:

كذلك عبرها الملك سحر». خرج سعيده بن منصور في سنه والحاكم أبو عبد الله بن الربيع واللفظ له وهو مرسل.

٣١٥ - وعن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه أن النبي ﷺ لقي ابن بديل فقال: «ما كنت أرى إلا أنك قد قتلت أتذكر رؤيا رأيته فقصصتها على أبي بكر»، فقال: «إن صدقت رؤياك قتلت بغير أمر ملتبس» فقتل يوم صفين^(١). خرج في الفضائل.

٣١٦ - وعن عطاء قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: إني رأيت كأن جائز بيتي انكسر وزوجها غائب فقال: «يرد عليك غائبك». فرجع زوجها ثم غاب فجاءت الثانية فقالت إني رأيت كأن جائز بيتي انكسر فقال لها مثل ذلك فقدم زوجها ثم جاءت الثالثة فلم تجد رسول الله ﷺ ووجدت أبا بكر وعمر أو أحدهما فأخبرت بما رأت فقال: يموت زوجك، ثم أتت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال لها: «هل سألت أحدا قبلي». قالت: نعم، قال: «فهو كما قال لك».

٣١٧ - وعن سعيد بن المسيب قال: «رأت عائشة كأن وقع في بيتها ثلاثة أقمار فقصصتها على أبي بكر وكان من أعبر الناس فقال: إن صدقت رؤياك ليدفن في بيتك خير أهل الأرض ثلاثة، فلما قبض النبي ﷺ قال أبو بكر: يا عائشة هذا خير أقمارك» خرجهما سعيد بن منصور.

ذكر اختصاصه بالشورى بين يدي النبي ﷺ وقبوله ﷺ مشورته

٣١٨ - عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم في قصة الحديبية وأنه لما أتى النبي ﷺ عينه فقال: إن قريشاً جمعوا لك جموعاً وهم مقاتلون وصادوك عن البيت ومانعوك فقال: «أشيروا أيها الناس علي أترون أن أميل إلى عيالهم وذراي هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت فإن فاتونا كان الله قد قطع عنا من المشركين وإلا تركناهم محرومين؟»، فقال أبو بكر: يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتال أحد ولا حرباً فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال: «امضوا على اسم الله عز وجل». أخرجاه.

(١) صفين: موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس، وكانت وقعة صفين بين الإمام علي ومعاوية رضي الله عنهما في سنة ٣٧ هـ. (معجم البلدان ٤١٤/٣).

ذكر اختصاصه بأمر الله تعالى نبيه ﷺ بمشاورته

٣١٩ - عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أتاني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله تعالى أمرك أن تستشير أبا بكر». خرجه تمام في فوائده وأبو سعيد النقاش.

ذكر اختصاصه بأنه ﷺ كان لا يزال عنده يسمر في أمر المسلمين

٣٢٠ - عن عمر قال: «كان رسول الله ﷺ لا يزال يسمر^(١) عند أبي بكر الليلة في الأمر من أمر المسلمين وأنه سمر عنده ذات ليلة وأنا معه فخرج رسول الله ﷺ وخرجنا معه فإذا رجل قائم يصلي في المسجد فقام رسول الله ﷺ يستمع قراءته فما كدنا نعرفه فقال رسول الله ﷺ: «من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد».

ذكر ما جاء في أن الله تعالى يكره تخطئة أبي بكر

٣٢١ - عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يكره في السماء أن يخطأ أبو بكر في الأرض».

٣٢٢ - وعنه أن النبي ﷺ لما بعثه إلى اليمن استشار ناساً من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وأسيد بن حضير فقال أبو بكر: لولا أنك استشرتنا ما تكلمنا فقال النبي ﷺ: «إني فيما لم يوح إلي كأحدكم». فتكلم القوم فتكلم كل إنسان برأيه قال ما ترى يا معاذ قال أرى ما قال أبو بكر فقال ﷺ: «إن الله يكره من فوق سمائه أن يخطأ أبو بكر»، أو قال: «أن يخطيء أبو بكر». خرجه الإسماعيلي في معجمه.

ذكر اختصاصه بأنه أول من جمع القرآن

٣٢٣ - عن عبد خير قال: سمعت علياً يقول: «رحم الله أبا بكر يقول: كان من

(١) سَمَرَ: تحدث مع جليسه ليلاً.

أعظم الناس أجراً في جمع المصاحف: هو أول من جمع بين اللوحين»، خرج ابن حرب الطائي وصاحب الصفوة.

٣٢٤ - وعن زيد بن ثابت قال: «أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة^(١) فإذا عمر جالس عنده فقال أبو بكر إن عمر جاءني فقال إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في كل المواطن. فيذهب من القرآن كثير وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن قال: قلت لعمر: وكيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ فقال عمر: هو والله خير فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد فقال لي أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه قال زيد فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن قال: قلت: كيف تفعّلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال أبو بكر: وهو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني، وفي أخرى: فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر قال: فتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعصب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة الأنصاري فلم أجدّها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾^(٢) خاتمة براءة، قال: فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله تعالى، ثم عند عمر حتى توفاه الله تعالى، ثم عند حفصة بنت عمر»، خرج البخاري.

شرح:

استحر القتل: أي كثر واشتد.

والعصب: جمع عيب وهو سعف النخل وأهل العراق يسمونها الجريد وقد تقدم.
واللخاف: حجارة بيض رقاق واحدها لخفة.

ذكر اختصاصه بأنه أول من أقام بالمسلمين الحج

٣٢٥ - عن ابن عمر: «أن رسول الله ﷺ استعمل أبا بكر وهو أول من جمع

(١) اليمامة: بينها وبين البحرين عشرة أيام وهي معدودة من نجد وقاعدتها حَجْر. (معجم البلدان: ٤٤٢/٥).

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

للناس الحج ثم إن النبي ﷺ حج من قابل»، أخرجه الحافظ أبو الحين علي بن نعيم البصري وهو حديث حسن.

ذكر اختصاصه بأنه أول من تنشق عنه الأرض بعد النبي ﷺ

٣٢٦ - عن ابن عمر قال: قال النبي ﷺ: «أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتي البقيع فيحشرون معي ثم أنتظر أهل مكة حتى يحشروا بين الحرمين». أخرجه أبو حاتم في فضائل عمر من قسم الأخبار.

ذكر اختصاصه بأنه أول من يدخل الجنة من أمة محمد ﷺ

٣٢٧ - عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أتاني جبريل عليه السلام فطاف بي في أبواب الجنة فأراني الباب الذي أدخل أنا وأمتي منه». فقال أبو بكر الصديق: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ليتني كنت معك قال: «أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي» أخرجه البغوي في «المصابيح الحسان»، والملا في سيرته وصاحب الفضائل وزاد: فضرب على منكبه وقال: «أما أنك أول من يدخل».

ذكر اختصاصه بأنه أول من يرد الحوض

٣٢٨ - عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «أول من يرد عليّ يوم القيامة أبو بكر الصديق». أخرجه الملاء في سيرته.

ذكر مصاحبته النبي ﷺ على الحوض

٣٢٩ - عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر: «أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار»، أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح.

ذكر اختصاصه بمرافقته النبي ﷺ في الجنة

٣٣٠ - عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لكل نبي رفيق ورفيقي في الجنة أبو بكر»، أخرجه ابن الغطريف.

٣٣١ - وعن الزبير أن النبي ﷺ قال: «اللهم إنك جعلت أبا بكر رفيقي في الغار فاجعله رفيقي في الجنة». أخرجه في الفضائل.

ذكر اختصاصه بالكون بين الخليل والحبيب يوم القيامة

٣٣٢ - عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة نصب لإبراهيم عليه السلام منبر أمام العرش ونصب لي منبر أمام العرش ونصب لأبي بكر كرسي فيجلس عليه وينادي مناد يا لك من صديق بين حبيب و خليل». أخرجه الخطيب البغدادي وخرج الملاء معناه وقال في الثلاثة كرسي كرسي.

ذكر اختصاصه بأنه لا يحاسب يوم القيامة من بين الأمة

٣٣٣ - عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «قلت لجبريل حين أسري بي إلى السماء: يا جبريل هل على أمتي حساب؟ قال: كل أمتك عليها حساب ما خلا أبا بكر فإذا كان يوم القيامة قيل له: يا أبا بكر ادخل الجنة فيقول: ما أدخل حتى يدخل معي من كان يحبني في الدنيا». أخرجه أبو الحسن العتيقي وصاحب «الديباج» وصاحب الفضائل وقال غريب.

ذكر اختصاصه بتجلي الله تعالى له يوم القيامة خاصة

٣٣٤ - عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر الصديق: «يا أبا بكر إن الله عز وجل يتجلى للخلائق عامة ويتجلى لك خاصة». أخرجه الملاء في سيرته وصاحب الفضائل وقال حسن.

٣٣٥ - وعن علي عن رسول الله ﷺ قال: «ينادي مناد أين السابقون الأولون؟ فيقال: من؟ فيقول: أين أبو بكر الصديق؟ فيجلى الله لأبي بكر خاصة وللناس عامة». أخرجه ابن بشران وصاحب الفضائل وقال غريب.

٣٣٦ - وعن جابر قال كنا عند النبي ﷺ إذ جاء وفد عبد القيس فتكلم بعض القوم ولغا^(١) في كلامه فالتفت النبي ﷺ إلى أبي بكر فقال: «يا أبا بكر أسمعت ما

(١) لنا في القول: أخطأ وقال باطلاً.

قالوا»، قال : نعم، قال : «فأجبههم»، قال فأجابهم وأجاد فقال النبي ﷺ : «يا أبا بكر أعطاك الله الرضوان الأكبر»، فقال له بعض القوم : يا رسول الله وما الرضوان الأكبر؟ قال : «يتجلى الله عز وجل للعباد عامة ويتجلى لأبي بكر خاصة». خرجه الملاء أيضاً وصاحب الفضائل وقال غريب .

شرح:

لغا : أي قال باطلاً .

٣٣٧ - وعن أنس قال : لما خرج رسول الله ﷺ من الغار أخذ أبو بكر بركاب رسول الله ﷺ وأدبر بزمam الناقة فقال ﷺ : «وهب الله لك الرضوان الأكبر». فقيل : وما الرضوان الأكبر؟ فذكر نحو ما تقدم ذكره الملاء .

٣٣٨ - وعن الزبير بن العوام أن النبي ﷺ لما خرج يريد الغار أتاه أبو بكر بناقة فقال : «اركبها يا رسول الله»، فلما ركبها التفت إلى أبي بكر فقال : «يا أبا بكر! أعطاك الله الرضوان الأكبر»، قال : «يا رسول الله وما الرضوان الأكبر؟» قال : «يتجلى الله عز وجل يوم القيامة لعباده عامة ويتجلى لك خاصة». خرجه صاحب الفضائل ولا تضاد بين هذا وبين ما تقدم من أنه ﷺ مشى حتى حفيت أقدامه فحمله أبو بكر على كاهله إذ يجوز أن يكون هذا في السهل فلما ارتقى الجبل حيث لا تسلك الناقة مشى ﷺ وحفيت أقدامه وحمله أبو بكر حيثئذ .

ذكر اختصاصه بأنه لم يسمع واحد وطء جبريل حين ينزل بالوحي غيره

٣٣٩ - عن المطلب بن عبد الله بن حنطب قال : «لم يسمع وطء جبريل حين ينزل بالوحي على رسول الله ﷺ إلا أبو بكر»، خرجه ابن البخري .

ذكر اختصاصه بكتبه اسمه خلف اسم النبي ﷺ في كل سماء

٣٤٠ - عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «عرج بي إلى السماء فما مررت بسماء إلا وجدت فيها اسمي مكتوباً محمد رسول الله أبو بكر الصديق من خلفي» .

خرجه ابن عرفة العبدي والحافظ الثقفى وخرجه في الفضائل عن ابن عمر .

ذكر اختصاصه بكتبه اسمه مع اسم النبي ﷺ في فرندة^(١) خضراء حول العرش

٣٤١ - عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة أسري بي مكتوباً حول العرش في فرندة خضراء بقلم من نور لا إله إلا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق» .

ذكر اختصاصه بكتبه اسمه مع اسم النبي ﷺ في علم من نور

٣٤٢ - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله علماً من نور مكتوباً عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق» . خرجهما في «الفضائل»، وهذا مغاير لما تقدم فإن أسماء الأربعة تقدم أنها مكتوبة في لواء الحمد، وهذا علم من نور الله تعالى، فحمل على أنه غيره، وكذلك ما تقدم في باب الثلاثة، فإنه تقدم أن أسماءهم مكتوبة على العرش ولم يذكر أنه في فرندة خضراء حول العرش كما في هذا، فيجوز أن يكون في موضع آخر غيره وتقدم أن أسماءهم في كل ورقة في الجنة وهما في كل سماء والله أعلم .

ذكر اختصاصه بتقديم النبي ﷺ إياه أميراً على الحج في حياته ﷺ

٣٤٣ - عن جابر: «أن النبي ﷺ حين رجع إلى المدينة من عمره الجعرانة^(٢) بعث أبا بكر أميناً على الحج»، خرج أبو حاتم في حديث طويل سيأتي في خصائص علي رضي الله عنه .

٤٤٤ - وعن أبي هريرة قال: «بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى: أن لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان» أخرجاه .

(١) الفرند: الورد الأحمر .

(٢) الجعرانة: ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب وهي أفضل الممرات لأهل مكة ومن جاورها . (معجم البلدان ١٤٢/٢) .

ذكره اختصاصه بالتقديم إماماً في الصلاة حين غاب ﷺ في بعض شؤونه

٣٤٥ - عن سهل بن سعد قال: «كان قتال في بني عمرو بن عوف فبلغ النبي ﷺ فأتاهم بعد الظهر ليصلح بينهم فقال: «يا بلال إذا حضرت الصلاة ولم آت فمر أبا بكر فليصل بالناس»، قال فلما أن حضرت العصر أقام بلال الصلاة ثم أمر أبا بكر فتقدم وصلى بهم وجاء رسول الله ﷺ بعدما دخل أبو بكر في الصلاة فلما رأوه صفحوا وجاء رسول الله ﷺ يشق الناس حتى قام خلف أبي بكر وكان أبو بكر إذا دخل في الصلاة لم يلتفت فلما رأى التصفيح لا يمسك عنه التفت فرأى النبي ﷺ خلفه فأومأ إليه النبي ﷺ بيده أن امضه فقام أبو بكر كهيته فحمد الله على ذلك ثم مشى القهقري قال فتقدم رسول الله ﷺ وصلى بالناس.

فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال: «يا أبا بكر ما منعك إذا أومأت إليك ألا تكون مضيت؟»، قال: فقال أبو بكر لم يكن لابن أبي قحافة أن يؤم رسول الله ﷺ فقال للناس: «إذا رابكم في صلاتكم شيء فليج الرجل ولتصفح النساء». أخرجه أحمد وأبو حاتم في التقاسيم والأنواع وأبو داود والنسائي.

شرح:

التصفيح: مثل التصفيق.

ذكر اختصاصه ﷺ بأبا بكر بأنه لا ينبغي أن يتقدمه غيره

٣٤٦ - عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره»، أخرجه الترمذي وقال غريب، وخرجه السمرقندي ولفظه: قالت: قال رسول الله ﷺ: «ليصل أبو بكر للناس»، قالوا: يا رسول الله لو أمرت غيره قال: «لا ينبغي لأمتي أن يؤمهم إمام وفيهم أبو بكر»، وخرجه في الفضائل ولفظه: قالت خرج رسول الله ﷺ إلى الأنصار ليصلح بينهم في شأن فحضرت الصلاة فقال بلال لأبي بكر: «قد حضرت الصلاة وليس رسول الله ﷺ شاهداً، فهل لك أن أؤذن وأقيم وتصلي»

بالناس؟»، فقال: «إن شئت»، فأذن بلال وأقام فتقدم أبو بكر وصلى بالناس، فجاء رسول الله ﷺ وسلم بعدما فرغوا، فقال: «أصليتم؟»، قالوا: نعم، قال: «من صلى بكم؟» فقال أبو بكر، قال: «أحتم لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يصلي بهم غيره» وفي رواية: «أن يؤمهم» وقال حديث حسن غريب.

هاتان والله أعلم قضيتان متغايرتان عهد النبي ﷺ في إحداهما إلى بلال إذا حضرت الصلاة أن يصلي بهم أبو بكر على ما تضمنه حديث الشيخين في الذكر قبل هذا وفي الآخر لم يعهد، وعليه دل سياق لفظ هذا الحديث وطرق كثيرة من الصحيحين رويت كذلك ليس فيها عهد والله أعلم.

ذكر اختصاصه بتقديم النبي ﷺ إياه إماماً في مرض وفاته تنبهاً على خلافته

٣٤٧ - عن ابن عمر: لما اشتد برسول الله ﷺ وجعه قال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس». قالت له عائشة: يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق إذا قام مقامك لا يسمع الناس من البكاء، قال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» فعاودته مثل مقالها فقال: «إنكن صواحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس». أخرجاه وأبو حاتم واللفظ له.

٣٤٨ - وعن عائشة قالت: لما ثقل رسول الله ﷺ، جاء بلال يؤذنه بالصلاة فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس». قالت: فقلت: يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف^(١) وأنه متى يقيم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر؟ فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس»، قالت: فقلت لحفصة: قولي له فقالت له حفصة: يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى يقيم مقامك لا يسمع الناس، قال: «إنكن صواحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس». أخرجاه وأبو حاتم.

قال أبو حاتم الصواب صواحب إلا أن السماع صواحبات، وخرجه الترمذي وزاد في آخره فقالت حفصة لعائشة: «ما كنت لأصيب منك خيراً»، وقال حديث حسن صحيح.

وفي بعض طرق الصحيحين أنه لما أرسل إلى أبي بكر قال أبو بكر لعمر: «يا عمر

(١) أسيف: الرقيق القلب، البكاء.

صلّ بالناس»، فقال عمر: «أنت أحق بذلك»، فصلّى أبو بكر تلك الأيام.

٣٤٩ - وعن عبد الله بن زمعة قال: لما استعز برسول الله ﷺ وأنا عنده في نفر من المسلمين دعاه بلال إلى الصلاة فقال: مروا من يصلي فخرج عبد الله بن زمعة فإذا عمر في الناس وكان أبو بكر غائباً فقلت: يا عمر قم فصلّ بالناس فتقدم وكبر، فلما سمع النبي ﷺ صوته قال: «فأين أبو بكر يأبى الله ذلك والمسلمون»، فبعث إلى أبي بكر بعد أن صلى عمر تلك الصلاة فصلّى بالناس.

وفي رواية أن النبي ﷺ لما سمع صوت عمر خرج حتى اطلع رأسه من حجرته ثم قال: «لا لا لا ليصلّ للناس ابن أبي قحافة». يقول ذلك مغضباً. أخرجهما أبو داود.

٣٥٠ - وخرج أحمد معناه وخرجه ابن إسحاق ولفظه: عن عبد الله بن زمعة قال: «لما استعز برسول الله ﷺ وأنا عنده في نفر من المسلمين قال دعاه بلال إلى الصلاة فقال: «مروا من يصلي بالناس»، قال: فخرجت فإذا عمر في الناس وأبو بكر غائب فقلت قم يا عمر فصلّ بالناس قال فقام، فلما كبر سمع رسول الله ﷺ صوته وكان عمر رجلاً مجهرًا قال فقال رسول الله ﷺ «فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون». قال: فبعث إلى أبي بكر فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة فصلّى بالناس، قال عبد الله بن زمعة قال لي عمر: «ويحك ماذا صنعت بي يا بن زمعة والله ما ظننت حين أمرتني إلا أن رسول الله ﷺ أمرك بذلك ولولا ذلك ما صليت بالناس»، قال: قلت: والله ما أمرني رسول الله ﷺ بشيء ولكني حين لم أرَ أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس».

شرح:

استعز برسول الله ﷺ: أي اشتد به المرض وأشرف على الموت يقال: عز يعز إذا اشتد واستعز به المرض وغيره إذا اشتد عليه وغلبه ثم بنى الفعل للمفعول الذي هو الجار والمجرور.

وفي هذا كله أبين البيان وأوضح الدلالة على أنه الخليفة بعده.

٣٥١ - وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «ليصلّ بالناس أبو بكر»، قالت عائشة: يا رسول الله إن أبا بكر رجل حضر فقال: «ابعثوا إلى عمر»: فقال عمر ما كنت لأتقدم وأبو بكر حي فتقدم أبو بكر فصلّى بالناس - خرج في الفضائل وقال حسن.

٣٥٢ - وعن عبد الله بن عمير الليثي: «أن النبي ﷺ أمر أبا بكر أن يصلي بالناس الصبح وأن أبا بكر كبر فوجد النبي ﷺ بعض الخفة فقام يفرج الصفوف قال: وكان أبو

بكر لا يلتفت إذا صَلَّى فلما سمع أبو بكر الحسن من ورائه عرف أنه لا يتقدم إلى ذلك المقام إلا رسول الله ﷺ فخنس وراءه إلى الصف فردّه النبي ﷺ مكانه وجلس رسول الله ﷺ إلى جنبه». خرج الشافعي في مسنده وخرجه ابن إسحاق وقال مكان فردّه: فدفع رسول الله ﷺ إلى جنبه فصلّى قاعداً عن يمين أبي بكر.

شرح:

خنس: أي انقبض وتأخر.

٤٥٣ - وعن أنس قال: «لم يخرج النبي ﷺ إلينا ثلاثاً فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم فقال نبي الله ﷺ بالحجاب فرفعه فلما وضع لنا وجه رسول الله ﷺ ما نظرنا منظرأ قط كان أعجب إلينا من وجه رسول الله ﷺ حين وضع لنا قال فأومى نبي الله ﷺ إلى أبي بكر أن يتقدم وأرخى الحجاب فلم يقدر عليه حتى مات ﷺ». أخرجاه.

٣٥٤ - وعنه: «أن أبا بكر كان يصليّ لهم في وجع النبي ﷺ الذي توفي فيه حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة كشف رسول الله ﷺ ستر الحجرة فنظرنا إليه وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ثم تبسم رسول الله ﷺ ضاحكاً الحديث - أخرجه مسلم.

ذكر اختصاصه بصلاة النبي ﷺ خلفه بعد أمره له بالتقدم إماماً

٣٥٥ - عن أنس قال: «آخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ مع القوم صلى في ثوب واحد متوشحاً خلف أبي بكر» خرج النسائي والطبراني في معجمه.

وعن جابر أن النبي ﷺ صلى خلف أبي بكر.

وعن سهل بن سعيد مثله وعن عائشة نحوه وقالت قاعداً - أخرجه ابن حبان.

٣٥٦ - وعن أسماء قالت: «رأيت أبي يصلي في ثوب واحد وثيابه إلى جنبه فقلت: يا أبت أتصلي في ثوب واحد وإلى جنبك ثيابك؟»، فقال: «يا بنية آخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ خلفي في ثوب واحد».

وعن أبي موسى أن النبي ﷺ صلى خلف أبي بكر. صحيح متفق عليه.

ذكر اختصاصه بالحوالة عليه بعد وفاته تنبيهاً على خلافته وأنه القائم بعده

٣٥٧ - عن جبير بن مطعم أن امرأة أتت النبي ﷺ تسأله شيئاً فقال لها: «ارجعي إلي»، فقالت له: يا رسول الله فإن رجعت ولم أجدك تُعَرِّضُ بالموت - فقال رسول الله ﷺ: «وإن لم تجدني فأتِ أبا بكر». أخرجاه والترمذي وأبو حاتم، وخرجه صاحب الفضائل عن ابن عباس بزيادة تصريح بها ولفظه قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فسألته شيئاً فقال: «تعودين قالت يا رسول الله إن عدت فلم أجدك - تعرض بالموت - قال: «إن جئت فلم تجدني فأتِ أبا بكر فإنه الخليفة من بعدي».

وقال غريب وقال في باب الشيخين حديث اليهودي في هذا المعنى، وفي ذكر عمر بعد أبي بكر، وقد تقدم في باب الثلاثة حديث الأعرابي وحديث ابن المصطلق في هذا المعنى وفيه ذكر عثمان بعد عمر.

ذكر اختصاصه بإرادة العهد إليه في الخلافة ثم ترك ذلك إحالة على إباء الله تعالى خلاف ذلك والمؤمنين

٣٥٨ - عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه: «ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً فإني أخاف أن يتمنى متمني ويقول قائل: أنا أولى وبأبي الله والمؤمنون إلا أبا بكر». أخرجاه.

٣٥٩ - وعنهما أنها قالت وارأساه فقال رسول الله ﷺ: «ذلك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك». فقالت عائشة: واثكللاه والله إني لأظنك تحب موتي ولو كان ذلك لظلت آخر يومك معرساً ببعض أزواجك فقال ﷺ: «بل أنا وارأساه لقد عممت أو أردت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه وأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون ثم قلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون». انفرد البخاري بإخراجه.

٣٦٠ - وعنها قالت: «لما ثقل رسول الله ﷺ قال لعبد الرحمن بن أبي بكر: «ائتني بكتف أو لوح حتى أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه»، فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم قال: «أبى الله والمؤمنون أن يختلف على أبي بكر» - أخرجه أحمد، وعنها قالت لما كان وجع رسول الله ﷺ الذي قبض فيه قال: «ادعو إلي أبا بكر فلنكتب لثلاثا يطمع في

الأمر طامع أو يتمنى متمن ثم قال: يأبى الله ذلك والمؤمنون». قالت عائشة: فأبى الله ذلك والمؤمنون إلا أن يكون أبي فكان أبي». خرجه في الفضائل وقال بإسناد صحيح على شرط الشيخين.

٣٦١ - وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال في شكايته التي توفي فيها: «يا عائشة ادعي إليّ عبد الرحمن بن أبي بكر حتى أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف فيه بعدي معاذ الله أن يختلف على أبي بكر أحد من المؤمنين». خرجه في الفضائل وقال غريب.

ذكر اختصاصه بالسبق إلى أنواع من البر في اليوم الواحد

٣٦٢ - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم اليوم صائماً؟»، قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة؟»، قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن أطعم اليوم منكم مكيئاً؟»، قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟»، قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة» أخرجه أحمد ومسلم.

٣٦٣ - وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «أيكم أصبح اليوم صائماً؟»، قال: فسكت القوم، فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله، ثم قال: «أيكم تصدق اليوم على مسكين؟»، قال: فسكت القوم، فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله، فقال: «أيكم شيع اليوم جنازة؟»، قال: فسكت القوم، فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله، وفي أخرى: «أيكم عاد اليوم مريضاً؟» قال أبو بكر: أنا فضحك رسول الله ﷺ فقال: «والذي بعثني بالحق ما جمعهن رجل في اليوم إلا دخل الجنة» خرجه الملاء في سيرته.

٣٦٤ - وعن عائشة أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «أيكم أصبح صائماً؟»، قال أبو بكر أنا قال: «فأيكم عاد مريضاً؟»، قال أبو بكر أنا قال: «فأيكم تبع جنازة؟» قال أبو بكر: أنا وخفيت عليّ الرابعة فقال: «من كملت فيه هذه الأربع بني له بيت في الجنة» خرجه في فضائله.

٣٦٥ - وعن أبي جراد أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «هل فيكم من مشى في جنازة؟»، قال أبو بكر: أنا قال: «هل فيكم من تصدق اليوم على مسكين؟»، قال أبو بكر: أنا قال: «هل فيكم من أصبح صائماً؟»، قال أبو بكر: أنا. قال «سبقت، أنت سبقت إلى الجنة أربعين عاماً».

٣٦٦ - وعن عبد الرحمن بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ صَلَّى الصبح فلما قضى صلاته قال: «أيكم أصبح اليوم صائماً؟»، فقال عمر بن الخطاب: أما أنا يا رسول الله بت لا أحدث نفسي بالصوم وأصبحت مفطراً فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله بت الليلة وأنا أحدث نفسي بالصوم فأصبحت صائماً قال: «فأيكم عاد اليوم مريضاً»، قال عمر: يا رسول الله إنما صلينا الساعة ولم نبرح فكيف نعود المريض فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله إن أخي عبد الرحمن بن عوف وجع فجعلت طريقي عليه فسألت به ثم أتيت المسجد فقال رسول الله ﷺ: «فأيكم تصدق اليوم بصدقة»، فقال عمر: يا رسول الله ما برحنا معك منذ صلينا أو قال لم نبرح منذ صلينا فكيف نتصدق فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله لما جئت من عند عبد الرحمن دخلت المسجد فإذا سائل يسأل وابن لعبد الرحمن بن أبي بكر معه كسرة خبز فأخذتها فناولتها السائل، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «فأبشر بالجنة». مرتين، فلما سمع عمر بذلك - الجنة - تنفس فقال: هاهنا فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال: «كلمة رضي بها عمر رحم الله عمر إن عمر يقول ما سابقت أبا بكر إلى خير قط إلا سبقني إليه»، خرجه بهذا السياق الخلعي، وخرج أبو داود منه التصدق بالكسرة في المسجد في باب المسألة في المساجد.

وقد ورد مثل هذا لعمر وسيأتي في خصائصه وهو محمول على أن ذلك كان في يومين اختص أبو بكر بيوم اجتمع له فيه تلك المبرات وعمر بيوم آخر.

٣٦٧ - وعن صلة بن زفر قال: «كان أبو بكر إذا ذكر عند علي قال السَّبَّاق والذي نفسي بيده ما استبقنا إلى خير قط إلا سبقنا إليه أبو بكر» خرجه ابن السمان في «الموافقة».

ذكر اختصاصه بالصلاة إماماً

على فاطمة بنت رسول الله ﷺ وعليها لما ماتت

٣٦٨ - عن مالك، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين قال: «ماتت فاطمة بين المغرب والعشاء، فحضرها أبو بكر وعمر وعثمان والزبير وعبد الرحمن بن عوف، فلما وضعت ليصلى عليها قال علي رضي الله عنه تقدم يا أبا بكر، قال: وأنت شاهد يا أبا الحسن قال: نعم تقدم فوالله لا يصلي عليها غيرك فصلى عليها أبو بكر رضي الله عنهم أجمعين ودفنت ليلاً» خرجه البصري وخرجه ابن السمان في «الموافقة».

وفي بعض طرقه فكبر عليها أربعاً وهذا مغاير لما جاء في الصحيح فإنه ورد في الصحيح أن علياً لم يبايع أبا بكر حتى ماتت فاطمة وطريان هذا مع عدم البيعة يبعد في الظاهر والغالب وإن جاز أن يكونوا لما سمعوا بموتها حضروها فاتفق ذلك ثم بايع بعده .

ذكر أن فاطمة لم تمت إلا راضية عن أبي بكر

٣٦٩ - عن عامر قال: «جاء أبو بكر إلى فاطمة وقد اشتد مرضها، فاستأذن عليها فقال لها علي هذا أبو بكر على الباب يستأذن فإن شئت أن تأذني له؟ قالت أوداك أحب إليك؟ قال: نعم فدخل فاعتذر إليها وكلمها فرضيت عنه» .

٣٧٠ - وعن الأوزاعي قال: «بلغني أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ غضبت على أبي بكر فخرج أبو بكر حتى قام على بابها في يوم حار ثم قال: «لا أبرح مكاني حتى ترضى عني بنت رسول الله ﷺ» فدخل عليها علي فأقسم عليها لترضى فرضيت» خرج ابن السمان في الموافقة .

ذكر اختصاصه بالدعاء بخليفة رسول الله ﷺ

٣٧١ - عن ابن أبي مليكة قال: قال لأبي بكر يا خليفة الله قال: «لست بخليفة الله ولكني خليفة رسول الله وأنا راضٍ بذلك» . خرج أحمد وأبو عمر وعن ابن عمر أن أبا بكر بعث يزيد بن أبي سفيان إلى الشام فمشى معهم نحواً من ميلين فقبل له: يا خليفة رسول الله لو انصرفت فقال: لا إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أغبرت قدماء في سبيل الله عز وجل حرهما الله على النار» ، خرج في فضائله .

وقد تقدم في ذكر ثبات قلبه وشدة بأسه يوم الردة قول علي رضي الله عنه لما خرج إلى قتال أهل الردة إلى أين يا خليفة رسول الله ولا خلاف بين فرق المسلمين من الموافقين والمخالفين أن أبا بكر كان يدعى بخليفة رسول الله ﷺ ولم يدع بذلك أحد غيره .

ذكر اختصاص بينه بوجود أربعة فيه

بعضهم ولد بعض، كلهم رأوا النبي ﷺ وآمنوا به وسمعوا كلامه ورووا عنه وهم

أبو بكر وأبوه أبو قحافة وابنته أسماء وابنها عبد الله بن الزبير وأيضاً وجد فيه أربعة بعضهم ولد بعض لثلاثة منهم رؤية ورواية وواحد صحت له رؤية دون رواية.

٣٧٢ - عن موسى بن عقبة قال: «لا نعلم أربعة أدركوا النبي ﷺ هم وأبناؤهم إلا هؤلاء الأربعة: أبو قحافة وأبو بكر وعبد الرحمن بن أبي بكر وأبو عتيق بن عبد الرحمن بن أبي بكر واسم أبي عتيق محمد»، خرجه القاضي أبو بكر بن مخلد وهذا أبو عتيق ولد في حياة رسول الله ﷺ.

قال البخاري وصحت له رؤية ولم تصح له رواية وهذه منقبة ليست في بيت أحد من أصحاب رسول الله ﷺ لا على الوصف الأول ولا على الوصف الثاني إلا في بيت أبي بكر على الوصفين كما ذكرناه والله أعلم.

ذكر اختصاصه بأي من القرآن نزلت فيه أو بسببه

٣٧٣ - منها قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾^(١) الآية. لا خلاف بأن المراد بأحد الاثنين أبو بكر وأنه المراد بصاحبه وقد تقدم ذلك في قصة الغار من الصحيحين وغيرهما.

٣٧٤ - وعن الحسن قال: «والله لقد عاب الله عز وجل أهل الأرض جميعاً بهذه الآية إلا أبا بكر» خرجه في فضائله، وعن الشعبي مثله - خرجه الواحدي.

٣٧٥ - وعن عمرو بن الحارث أن أبا بكر قال: «أيكم يقرأ سورة التوبة»، قال رجل أنا فقرأ فلما بلغ ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنُ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(٢) فبكى أبو بكر وقال: «أنا والله صاحبه».

٣٧٦ - وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾^(٣): «يعني على أبي بكر فأما النبي ﷺ فكانت السكينة عليه قبل ذلك ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى﴾^(٤) الآية.

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٤) سورة النور، الآية: ٢٢.

٣٧٧ - عن عائشة في حديث الإفك قصة مسطح بن أثاثة قالت: «حلف أبو بكر أن لا ينفق على مسطح أبداً فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ إلى ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(١)، قال أبو بكر: «والله إني لأحب أن يغفر الله لي» فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه فقال: «لا أنزعها أبداً» أخرجاه، ومنها قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾^(٢).

٣٧٨ - عن ابن عباس أنها نزلت في أبي بكر والخطاب لسعد بن أبي وقاص - ذكره الواحدي وقيل المراد النبي ﷺ، ذكره الماوردي ومنها: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾^(٣).

٣٧٩ - عن علي قال: جاء بالصدق محمد ﷺ وصدق به أبو بكر - خرج ابن السمان في الموافقة وخرجه في فضائله.

٣٨٠ - ومنها ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾^(٤) الآية. عن ابن عباس قال: «نزلت في أبي بكر» وقيل غير ذلك.

٣٨١ - ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾^(٥) عن ابن عباس نزلت في أبي بكر - ذكره الواحدي.

٣٨٢ - ومنها قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٦)، عن ابن عباس قال: «هو أبو جهل وأبو بكر» وقيل غير ذلك حكاه الثعلبي.

٣٨٣ - ومنها قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ إلى قوله: ﴿مَنْ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٧)، عن ابن عباس قال: «نزلت في أبي بكر فاستجاب الله له فأسلم والده وأولاده كلهم»، رواه عقيل بن خالد، وقد تقدم ذكرها في ذكر إسلام أمه.

(١) سورة النور، الآية: ٢٢.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٥.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٣٣.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٥) سورة فصلت، الآية: ٣٠.

(٦) سورة فصلت، الآية: ٤٠.

(٧) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

٣٨٤ - ومنها قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ﴾^(١) الآية، قال الكلبي: «نزلت في أبي بكر»، ذكره الواحدي.

٣٨٥ - ومنها قوله تعالى ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(٢) الآية، عن ابن جريج: «أن أبا قحافة سب النبي ﷺ، فصكه^(٣) أبو بكر صكة شديدة سقط منها، ثم ذكر ذلك للنبي ﷺ! قال: «أفعلته؟»، قال: نعم، قال: «فلا تعد إليه»، فقال أبو بكر: والله لو كان السيف قريباً مني لقتلته فنزلت - خرجته الواحدي وأبو الفرج، وقيل: نزلت في جماعة وقد تقدم.

٣٨٦ - ومنها قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى﴾^(٤)، عن عبد الله بن الزبير عن بعض أهله قال: «قال أبو قحافة لابنه أبي بكر أراك تعتق رقاباً ضعافاً فلو أنك إذ فعلت ما فعلت اعتقت رجالاً يمنعونك ويقومون دونك، فقال أبو بكر: يا أبت إنما أريد ما أريد قال: فما نزلت هذه الآيات إلا فيه»، وفيما قاله أبوه ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾. إلى آخر السورة خرجته ابن إسحاق الواحدي في أسباب النزول.

٣٨٧ - وقد روي ما يدل على حكمها، عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار»، قالوا: يا رسول الله أفلا نتكل؟ قال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»، ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾^(٥) أخرجه، ولا تضاد بينهما لجواز أن يكون نزلت بسبب فعل أبي بكر ثم عمم الحكم.

٣٨٨ - وعن ابن عباس أن أبا بكر لما اشترى بلالاً وأعتقه قال المشركون: ما فعل ذلك أبو بكر إلا ليد كانت لبلال عند فنزلت ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾^(٦) إلى آخر السورة - خرجته الواحدي.

(١) سورة الحديد، الآية: ١٠.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٣) صكه صكاً: دفعه بقوة.

(٤) سورة الليل، الآية: ٥.

(٥) سورة الليل، الآية: ٥-٦-٧-٨-٩-١٠.

(٦) سورة الليل، الآية: ١٩.

٣٨٩ - وعن ابن مسعود أن السورة كلها نزلت مدحاً في أبي بكر الصديق وما فيها من ذم في أمية بن خلف سيد بلال الذي ابتاعه أبو بكر منه فقله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾^(١)، سعي أبي بكر وأميه، فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى لا إله إلا الله يعني: أبا بكر فسنيصره لليسرى الجنة. وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى بلا إله إلا الله يعني أمية وأبياً فسنيصره للعسرى النار. تردى مات وهلك. الأشقى الذي كذب وتولى أمية وأبي.

الفصل العاشر: فيما جاء متضمناً بأفضليته

وجميع أحاديث هذا الفصل دخلت في الفصل الذي قبله لكونها خصائص وفي أبواب قبله، ونحن ننبه عليها ليقع الاستدلال بها في بابها وتعلم أماكنها فتستخرج منها عند إرادتها.

فمن ذلك أحاديث أولية إسلامه وفيه حديث أبي سعيد عنه: «أست أحق لهذا الأمر؟ أأست صاحب كذا؟» وهو في فصل أنه أول الناس إسلاماً ومنها أحاديث: «لو كنت متخذاً خليلاً». ووجه دلالتها على الأفضلية أنه لم يعدل عنه بالخلّة إلى الله تعالى ولم يؤهل للخلّة أحداً من المخلوقين غيره. وإن صح حديث أبي في اتخاذهِ ﷺ أبا بكر خليلاً فأعظم به، ومنها حديث جابر في أنه خير الخلق وأفضلهم بعده ﷺ. وحديث أنس في أنه خير أصحاب النبي ﷺ، وحديث أبي الدرداء في أنه خير من طلعت عليه الشمس بعد النبيين، وحديث جابر في أنه أفضل الصحابة في الدنيا والآخرة وأحاديث ابن عمر في التخيير وهي مذكورة في باب الثلاثة منها: «كنا نخير بين الصحابة فنخير أبا بكر»، ومنها خير الناس أبو بكر، وحديث محمد ابن الحنفية عن علي أنه خير الناس بعد رسول الله ﷺ، وحديث عبد خير، وحديث النزال بن سبرة، وحديث أبي جحيفة ومحمد بن الحنفية أيضاً كلهم عن علي مثله كلها في باب أبي بكر وعمر، وحديث عمر: «أبو بكر سيدنا وخيرنا» وحديثه الآخر: «إن الله تعالى قد جمع أمركم على خيركم»، وحديث علي بن أبي طالب: «تركتمكم فإن يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خيركم كما جمعنا بعد رسول الله ﷺ على خيرنا»، وحديث ابن مسعود «أن رسول الله ﷺ جعل إمامنا خبرنا» وحديث أبي أمامة في راجحيته بالأمة وحديث ابن عمر مثله كلاهما في باب ما دون العشرة، وحديث أبي بكر في راجحيته بعمر ثم بعثمان في باب الثلاثة، وحديث أبي سعيد: «كان أبو بكر أعلمنا». وحديثه الآخر في المعنى، وحديث

أبي المعلى في معناه أيضاً وتقدم في باب الأربعة والثلاثة والشيخين ما يدل على ذلك تصريحاً وتلويحاً.

الفصل الحادي عشر: فيما جاء متضمناً صلاة النبي ﷺ له بالجنة

وقد تقدم من أحاديث هذا الفصل ما جاء في العشرة وفيما دون العشرة وفي الأربعة وفي الثلاثة وفي الشيخين في أبوابهم في كل باب ذكر يخص هذا المعنى وتقدم في فصل الخصائص حديث أبي هريرة في أنه أول من يدخل الجنة وحديث ابن عمر والزبير أنه رفيقه في الجنة.

ذكر ما جاء أنه يدعى من أبواب الجنة كلها

٣٩٠ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في باب الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان»، فقال أبو بكر: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، هل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم وأرجو أن تكون منهم» أخرجاه أحمد والترمذي وأبو حاتم.

٣٩١ - وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنفق من ماله زوجين في سبيل الله ابتدرته حجة الجنة، يا عبد الله يا مسلم هذا خير لك»، قال: فضرب رسول الله ﷺ فخذه أبي بكر قال: «أما إنك منهم» أخرجه القليعي.

شرح:

قوله زوجين: جاء في الحديث قيل: وما الزوجان قال: «فرسان أو عبدان أو بعيران»، وهكذا فسّرهُ بعض العلماء وقال الحسن البصري شيئان متغايران درهم ودينار، درهم وقوت، خف ولجام. وقال الباجي: يحتمل أن يريد بذلك العمل من صلاتين أو صيام يومين والأصل في الزوج الصنف والنوع من كل شيء وكل شيئين متفرقين مثلين كانا أو غير مثلين فهما زوجان وكل واحد منهما زوج والمراد أنفق نوعين من ماله.

ذكر ما جاء أن الملائكة تزفه إلى الجنان مع النبيين والصديقين

٣٩٢ - عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «تأتي الملائكة بأبي بكر الصديق مع النبيين والصديقين تزفه إلى الجنة زفافاً»، خرج في فضائله وقد تقدم مثله في باب أبي بكر وعمر مختصاً بأبي بكر من حديث زيد بن ثابت إلا أنه لم يذكر فيه النبيين والصديقين.

ذكر تنعمه في الجنة

٣٩٣ - عن أنس أن النبي ﷺ قال: «إن طير الجنة كأمثال البخت نزعاً في شجر الجنة»، قال أبو بكر: يا رسول الله إن هذه الطير ناعمة فقال: «آكلها أنعم منها» - قالها ثلاثاً - «وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها» خرجه أحمد.

٣٩٤ - وعن ابن عمر قال ذكر عند النبي ﷺ طوبى فقال: «يا أبا بكر هل بلغك ما طوبى» قال: الله ورسوله أعلم قال: «طوبى شجرة في الجنة لا يعلم ما طولها إلا الله عز وجل يسير الراكب تحت غصن من أغصانها سبعين خريفاً يقع عليها طير أمثال البخت». فقال أبو بكر: إن هذا الطير لناعم يا رسول الله قال: «أنعم منه من يأكله وأنت منهم إن شاء الله تعالى يا أبا بكر». خرجه الخلفي.

ذكر وصف برج له في الجنة

٣٩٥ - عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما دخلت الجنة ليلة أسري بي فنظرت إلى برج أعلاه حرير فقلت: يا جبريل لمن هذا البرج؟ فقال هذا لأبي بكر». خرجه في فضائله.

ذكر ما له من الحواريات الورديات

٣٩٦ - عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة حوراً خلقهن الله تعالى من الورد يقال لهن الورديات لا يتزوج بهن إلا نبي أو صديق أو شهيد وإن لأبي بكر منهن أربعمائة».

ذكر تشوق أهل الجنة إليه وتسليمهم عليه إذا دخلها

٣٩٧ - عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل رجل الجنة فلا يبقى أهل دار ولا أهل غرفة إلا قالوا: مرحباً إلينا إلينا». قال أبو بكر: يا رسول الله ماتوا على هذا الرجل في ذلك اليوم قال: «أجل وأنت هو يا أبا بكر» - خرج أبو حاتم هكذا بالتاء باثنتين معدي بعلي ولعله أراد التوى بالقصر: الهلاك. وخرجه في «الفضائل» ما ثوا هذا الرجل بالمشقة بإسقاط على وقال الثوى: الإقامة يقال ثوى يثوي ثواً أي: أقام الأول أنسب للجواب بأجل.

الفصل الثاني عشر: في ذكر نبذ من فضائله

٣٩٨ - وقال أبو عمر وغيره واللفظ له: لا يختلفون أن أبا بكر شهد بدرًا والحديبية مع رسول الله ﷺ وأنه لم يكن رفيقه من أصحابه غيره وأنه كان مؤنسه في الغار وأنه قام بقتال أهل الردة وظهر من فضل رأيه في ذلك وشدة بأسه مع لينه ما لم يحتسب وأظهر الله به دينه وقتل على يديه كل من ارتد عن دين الله حتى ظهر أمر الله وهم كارهون.

٣٩٩ - وقال صاحب الصفوة: ذكر أهل العلم بالتواريخ أنه لم يفته مشهد من المشاهد مع رسول الله ﷺ وأنه ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد حين انهزم الناس ودفع إليه رسول الله ﷺ رايته العظمى يوم تبوك^(١) وأنه تنزه عن شرب المسكر في الجاهلية والإسلام وأنه أول من فاء^(٢) تحرزاً من الشبهات.

ذكر ما جاء في أنه كان خيراً كله

٤٠٠ - عن طارق قال: جاء ناس إلى ابن عباس وقالوا له: أي رجل كان أبو بكر؟ قال: «كان خيراً كله أو قال كالخير كله على حدة كانت فيه» خرج أبو عمر.

٤٠١ - وعن عبد خير عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «الخير ثلثمائة

(١) تبوك: موضع بين وادي القرى والشام، وهو حصن به عين ونخل وحائط ينسب إلى النبي ﷺ. (معجم البلدان، ١٤/٢).

(٢) فاء: رجع.

وسبعون خصلة إذا أراد الله بعبد خيراً جعل فيه واحدة منهن فدخل بها الجنة». قال فقال أبو بكر: يا رسول الله هل في شيء منها قال: «نعم جمع من كل» أخرجه في فضائله وأخرجه ابن البهلول من حديث سليمان بن يسار عن النبي ﷺ.

٤٠٢ - وعن الربيع بن أنس قال: «مكتوب في الكتاب الأول مثل أبي بكر مثل القطر^(١) حيثما وقع نفع»، أخرجه في فضائله أيضاً وقال حسن.

ذكر إثبات أفضليته بالمصاهرة

تقدم في باب ما دون العشرة أن مصاهرته ﷺ والمصاهرة إليه موجبة للجنة محرمة على النار.

٤٠٣ - وعن ابن عمر، عن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل نسب وصهر منقطع إلا نسبي وصهري» أخرجه تمام في فوائده وسيأتي كيفية تزوجه ﷺ بعائشة في بابها من كتاب مناقب أمهات المؤمنين إن شاء الله تعالى.

ذكر منزلته عند النبي ﷺ

٤٠٤ - عن ابن عباس قال: رأيت رسول الله ﷺ واقفاً مع علي إذ أقبل أبو بكر فصافحه النبي ﷺ وعانقه وقبل فاه أبي بكر فقال ﷺ: «يا أبا الحسن منزلة أبي بكر عندي كمنزلتي عند ربي» أخرجه الملاء في سيرته.

ذكر أنه كان عنده بمنزلة سمعه وبصره

٤٠٥ - عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال لأبي بكر يوم بدر وقد أراد أن يتقدم في أول الخيل فمنعه وقال: «أما تعلم أنك عندي بمنزلة سمعي وبصري»، أخرجه الواحدي وأبو الفرج في أسباب النزول في قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ﴾^(٢) الآية.

(١) القطر: المطر.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

ذكر أدبه مع النبي ﷺ

٤٠٦ - عن زيد بن الأصم أن النبي ﷺ قال لأبي بكر «أنا أكبر أو أنت»، قال: لا بل أنت أكبر مني وأكرم وخير مني وأنا أسن منك خرج ابن الضحاك وعن الحسن قال: لما بويغ أبو بكر قام دون مقام النبي ﷺ - خرج حمزة بن الحارث .

ذكر أنه لم يسوء النبي ﷺ قط

٤٠٧ - عن سهل بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس إن أبا بكر لم يسوءني فاعرفوا له ذلك» خرج الخلعى .

ذكر كتمه سر النبي ﷺ

٤٠٨ - عن عمر بن الخطاب قال: «تأيمت^(١) حفصة من خنيس بن حذافة وكان ممن شهد بدرأ فلقيت عثمان بن عفان فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة فقال: أنظر ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا فلقيت أبا بكر فعرضتها عليه فصمت فكنت عليه أوجد مني على عثمان فلبث ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه ثم لقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت عليّ حين لم أرجع إليك فقلت: أجل فقال: إنه لم يمنعني أن أرجع إليك إلا أنني قد علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ ولو تركها لكحتها» أخرجه البخاري .

شرح:

اختلف في موجدته على أبي بكر لماذا كانت فقيل: لمكان الود الذي كان بينهما في الصبغة وقيل: لأنه لم يرجع إليه شيئاً وعثمان أراحه ولم يعلق خاطره فلذلك اختلف وجده عليهما فكان على أبي بكر أكثر وقد جاء في بعض الطرق فكانت موجدتي على أبي بكر أكثر من موجدتي على عثمان .

(١) آمت المرأة: فقدت زوجها .

ذكر حبه صلة قرابة رسول الله ﷺ أكثر من حبه صلة قرابته

٤٠٩ - عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قال أبو بكر: والله لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليّ أن أصل من قرابتي» أخرجه من حديث طويل.

ذكر إثاره سرور رسول الله ﷺ وقرّة عينه

تقدم في إسلام أبي قحافة من حديث أسماء قول أبي بكر: «أما والذي بعثك بالحق لأنا كنت أشد فرحاً بإسلام أبي طالب مني بإسلام أبي التمس بذلك قرّة عينك»، قال: «صدقت».

٤١٠ - وعن أنس قال بينا رسول الله ﷺ جالس في المسجد قد أطاف به أصحابه إذ أقبل علي بن أبي طالب، فوقف فسلم ثم نظر مجلساً^(١) يشبهه، فنظر رسول الله ﷺ في وجوه أصحابه أيهم يوسع له فكان أبو بكر جالساً على يمين النبي ﷺ فترحّز له عن مجلس، وقال: ههنا يا أبا الحسن، فجلس بين رسول الله ﷺ وبين أبي بكر قال أنس: فرأيت السرور في وجه رسول الله ﷺ على أبي بكر فقال: «يا أبا بكر! إنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوو الفضل». خرج أحمد في المناقب والخلعي وابن السمان في الموافقة.

٤١١ - ومما يقرب من هذا ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: أنه جلس على منبر النبي ﷺ فصعد إليه الحسن فقال: «انزل عن مجلس أبي»، فقال: «مجلس أبيك لا مجلس أبي»، وبكى وأجلسه في حجره وبكى وقال علي: «والله ما هذا عن رأيي» فقال: والله ما اتهمتك، وفي رواية فبلغ ذلك علياً فجاء وقال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب خليفة رسول الله ﷺ ثم قال والله ما أمرناه، فقال أبو بكر: «والله ما اتهمتك» - خرج ابن السمان.

ذكر وفائه بعدات رسول الله ﷺ بعد وفاته

٤١٢ - عن جابر قال: أتى أبو بكر بمالٍ من البحرين^(١) فقال: «من كانت له عدة^(٢) عند رسول الله ﷺ فليأت»، فقامت فقلت: لي عدة عند رسول الله ﷺ فقال: «وما عدتك» فقلت: قال لي: «لئن أتاني الله مالاً لأحثين^(٣) لك هكذا وهكذا وهكذا»، قال: فحثا لي أبو بكر كما قلت ثلاث حثيات». حديث حسن صحيح.

٤١٣ - وعن حيثي بن جنادة قال: «كنت جالساً عند أبي بكر فقال: «من كانت له عدة عند رسول الله ﷺ فليقم»، فقام رجل فقال: يا خليفة رسول الله وعدني ثلاث حثيات من تمر فقال: «أرسلوا إلى علي»، فقال: «يا أبا الحسن! إن هذا يزعم أن رسول الله ﷺ وعده ثلاث حثيات من تمر فاحتها له»، قال: فحثاها، قال أبو بكر: «عدوها» فوجدوا في كل حثية ستين ثمرة لا تزيد واحدة على الأخرى فقال أبو بكر: صدق الله ورسوله، قال لي رسول الله ﷺ ليلة الهجرة ونحن خارجون من الغار نريد المدينة «يا أبا بكر كفي وكف علي في العدد سواء» خرج ابن السمان في «الموافقة».

ذكر أن الله أعطاه ثواب من آمن بالنبي ﷺ

٤١٤ - عن علي بن أبي طالب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبي بكر: «يا أبا بكر إن الله أعطاني ثواب من آمن به منذ خلق آدم إلى أن بعثني وإن الله أعطاك ثواب من آمن بي منذ بعثني إلى أن تقوم الساعة». خرج ابن الخلمي والملاء وصاحب فضائله.

ذكر شجاعته وثبات قلبه عند الحوادث

تقدمت أحاديث هذا الذكر في ذكر اختصاصه بأنه أشجع الناس في فضل خصائصه.

(١) البحرين: اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان. (معجم البلدان ١/٣٤٧).

(٢) العدة: مقدار ما يُعد ومبلغه.

(٣) حثاً له: أعطاه شيئاً يسيراً.

ذكر علمه

تقدم أيضاً في ذكر اختصاصه بالفهم عن رسول الله ﷺ وأعلميته بالأمر طرف منه وذكرنا فيها ما يتضمن علمه وأعلميته فلينظر ثمة وما يلتحق بهذا.

ذكر فراسته وكراماته

٤١٥ - عن عائشة أن أبا بكر كان نحلها جاد عشرين وسقاً من ماله بالغابة، فلما حضرته الوفاة قال: «والله يا بنية ما في الناس أحد أحب إليّ غناء بعدي منك ولا أعز عليّ فقراً بعدي منك وإنني كنت نحلّك جاد عشرين وسقاً فلو كنت جدّدته واحتزّزته كان لك وإنما هو اليوم مال الوارث وإنما هو أخواك وأختاك فاقسموه على كتاب الله»، قالت: «قلت: يا أبت لو كان كذا وكذا لتركته إنما هي أسماء فمن الأخرى»، قال: «ذو بطن بنت خارجة» أراها جارية - خرجته في الموطن وأخرجته أبو معاوية الضيرير وزاد بعد قوله ذو بطن ابنة جارية: استوصي بها خيراً وإنه قد ألقى في نفسي أنها جارية فولدت أم كلثوم.

شرح:

جاد عشرين وسقاً: أي ما يجدد من ذلك ذكره الهروي.

٤١٦ - ورؤي أن بني طي لما مات رسول الله ﷺ وارتدت العرب عزموا على الردة ومنع الزكاة، فقام فيهم عدي بن حاتم ووعظهم وخوفهم بالله وأعانه على ذلك زيد الخيل، ثم إن عدي بن حاتم قدم على أبي بكر بركة طي فسلم عليه، فقال له: أتعرفني يا خليفة رسول الله؟ قال: «نعم أنت عدي الذي آمنت حين كفروا، وأقبلت حين أدبروا، وأوفيت حين غدروا قد عرفتك وصاحبك زيد الخيل ولو لم أعرفكما لعرفكما الله» خرجته الملاء.

ذكر اقتفائه آثار النبوة واتباعه إياها

تقدم في قتال أهل الردة قوله: «والله لو منعوني عقلاً» - وفي رواية: عناقاً - كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه.

٤١٧ - وعن عائشة أن فاطمة سألت أبا بكر أن يقسم لها ميراثها، وفي رواية أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يلتمان ميراثهما من رسول الله ﷺ وهما حينئذ يطلبان أرضه من فلك^(١) وسهمه من خيبر، قال أبو بكر: «سمعت رسول الله ﷺ قال: «لا نورث ما تركناه صدقة». إنما كان يأكل آل محمد في هذا المال وإني والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيه إلا صنعته» زاد في رواية: «إني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ» ثم ذكر قصة طويلة - أخرجاه.

٤١٨ - وقد روى حديث نفي الميراث جماعة من الصحابة أبو هريرة ولفظه «لا تقسم ورثتي ديناراً ولا درهماً ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة»، أخرجه البخاري وابن عمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام والعباس بن عبد المطلب.

٤١٩ - وقد استنشد عمرُ طلحة والزبير وسعداً وعبد الرحمن بن عوف فقال: «نشدتكم بالذي تقوم السماء والأرض بإذنه ألم تعلموا أن رسول الله ﷺ قال «لا نورث ما تركنا صدقة»، قالوا: نعم - خرج الخلعى وفي حديث أبي هريرة تصريح بأن ما تركه ﷺ لا يورث مطلقاً وإن ما تركه يصنع به ما أمر به من صرفه في النفقة المذكورة ثم يتصدق بفاضله وهذا يرد رواية من روى ما تركنا صدقة بالنصب فإن صحت فهي غلط وإلا فالغالب أنها من وضع بعض المبتدعة حتى يجعل الميراث ثابتاً والصدقة فيما تركه للصدقة.

٤٢٠ - وعن عبد الله بن أبي بكر بن عمر بن حزم عن أبيه قال: جاءت فاطمة إلى أبي بكر فقالت: «أعطني فلك فإن رسول الله ﷺ وهبها لي»، قال: «صدقت يا بنت رسول الله ﷺ ولكني رأيت رسول الله ﷺ يقسمها فيعطي الفقراء والمساكين وابن السبيل بعد أن يعطيكم منها قوتكم فما تصنعين بها؟»، قالت «افعل فيها كما كان رسول الله ﷺ يفعل»، قال: «ولك علي أن أفعل فيها ما كان أبوك يفعل»، قالت: «والله لتفعلن ذلك»، قال: «والله لأفعلن ذلك»، قالت: «اللهم اشهد»، قال: فكان أبو بكر يعطيهم منها قوتهم ويقسم الباقي في الفقراء والمساكين وابن السبيل ثم ولي ذلك عمر ففعل مثل ذلك ثم فعل ذلك علي بن أبي طالب فقليل له في ذلك فقال: «إني لأستحي من الله أن أنقض شيئاً فعله أبو بكر وعمر».

(١) فلك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، أفاءها رسول الله ﷺ في سنة ٧ هـ صلحاً. (معجم البلدان ٤/٢٣٨).

٤٢١ - وعن أبي الطفيل قال: جاءت فاطمة إلى أبي بكر فقالت: «يا خليفة رسول الله أنت ورثت رسول الله أم أهله؟»، فقال: «لا بل أهله»، قالت: «فما بال الخمس» فقال: «إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله إذا أطعم نبياً طعمة ثم قبضه كانت للذي بعده» فلما وليت رأيت أن أردّه على المسلمين» وقالت «أنت ورسول الله أعلم» ورجعت. خرجه ابن السمان في «الموافقة».

٤٢٢ - وعن مالك بن أوس بن الحدثان قال: أتى العباس وعلي أبا بكر لما استخلف فجاء علي يطلب نصيب فاطمة وجاء العباس يطلب نصيبه مما كان في يد رسول الله ﷺ وكان في يده نصف خيبر ثمانية عشر سهماً كانت ستة وثلاثين سهماً وأرض بني قريظة وفدك فقالا: «ادفعها إلينا إنها كانت في يد رسول الله ﷺ»، فقال لهما أبو بكر: «لا أرى ذلك إن رسول الله ﷺ كان يقول: «إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا فهو صدقة»، فقام قوم من أصحاب رسول الله ﷺ فشهدوا بذلك، قالوا: «فدعها تكن في أيدينا تجري على ما كانت في يد رسول الله ﷺ»، قال: «لا أرى ذلك أنا الوالي من بعده وأنا أحق بذلك منكما أضعها في موضعها الذي كان النبي ﷺ يضعها فيه» فأبى أن يدفع إليهما شيئاً فلما ولي عمر أتياه ثم ذكر قصة طويلة مضمونها أنهما ترددا إليه حتى دفعها إليهما وأخذ عليهما العهد أن يعملا فيها كما كان رسول الله ﷺ يعمل - خرجه بهذا السياق تمام في فوائده ومعناه في الصحيح.

٤٢٣ - وعن معاذ بن رفاعه عن أبيه قال: قام أبو بكر الصديق على المنبر فبكى ثم قال: «قام رسول الله ﷺ عام الأول على المنبر فبكى ثم قال: «سلوا الله العفو والعافية فإن أحداً لم يعط بعد اليقين خيراً من العافية». خرجه الترمذي والحافظ الدمشقي في «الموافقات».

ذكر أنه من الذين استجابوا لله والرسول

٤٢٤ - عن عروة عن عائشة قالت لي: «أبواك والله من الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح»^(١) - خرجه مسلم، وفي رواية يعني أبا بكر والزبير وقد خرجه البخاري في قصة طويلة ستأتي في فضل فضائل الزبير إن شاء الله.

ذكر تعبدده وما جاء من حسن صلاته

٤٢٥ - عن عبد الرزاق قال: أهل مكة يقولون: أخذ ابن جريج الصلاة من عطاء وأخذها عطاء من الزبير وأخذها ابن الزبير من أبي بكر وأخذها أبو بكر من رسول الله ﷺ خرجة في الصفوة.

٤٢٦ - وعن أنس قال: صَلَّى أبو بكر بالناس الفجر فاقرأ البقرة في ركعتيه فلما انصرف قال له عمر: «يا خليفة رسول الله ما انصرفت حتى رأينا أن الشمس قد طلعت»، قال: «لو طلعت لم تجدنا غافلين» خرجة البغوي والمخلص الذهبي، وقد تقدم ما جاء في وتره أول الليل في باب الشيخين.

ذكر نبذ من أدعيته وتسبيحه

٤٢٧ - عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، عن أبي بكر أنه قال لرسول الله ﷺ: «علمني دعاء أدعوه به في صلاتي»، قال: «قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم» أخرجاه.

٤٢٨ - وعن أبي راشد الخيراني قال: أتيت ابن عمر فقلت له: حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ فألقى صحيفة فنظرت فإذا فيها أن أبا بكر الصديق قال: «يا رسول الله علمني ما أقول إذا أصبحت وإذا أميت»، قال: «يا أبا بكر، قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة لا إله إلا أنت رب كل شيء ومليكه أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه وأن أقترف على نفسي شراً أو أن أجره إلى مسلم» خرجة ابن عرفة العبدي والترمذي عنه وفي طريق عند غيرهما «قله إذا أصبحت وإذا أميت وإذا أخذت مضجعتك».

٤٢٩ - وعن أبي يزيد المدني قال: كان من دعاء أبي بكر: «اللهم هب لي إيماناً و يقيناً ومعاواة ونية» أخرجه ابن أبي الدنيا.

٤٣٠ - وعن ابن معاوية بن قره قال: بلغني أن أبا بكر كان يقول: «اللهم اجعل خير عمري آخره وخير عملي خواتمه وخير أيامي يوم لقاك» خرجة في فضائله وعن جعفر الصادق قال: كان أكثر كلام أبي بكر: لا إله إلا الله خرجة الخجندي.

ذكر اشتماله على أنواع من البر

تقدم في خصائصه ذكر اختصاصه بالسبق إلى أنواع من البر في اليوم الواحد وفي فضل الشهادة له بالجنة .

ذكر أنه يدعى من أبواب الجنة كلها وفيها طرف من ذلك

٤٣١ - وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة دعي الإنسان بأفضل عمل يكون فيه فإن كان الصلاة أفضل عمله دعي بها وإن كان الصيام أفضل عمله دعي به وإن كان الجهاد أفضل عمله دعي به». قال أبو بكر: يا رسول الله وثمَّ أحد يدعى بعملين؟ قال: «نعم أنت». وفي رواية «وتم باب من أبواب الجنة يقال له الريان»، فقال أبو بكر: يا رسول الله وثم أحد يدعى منها كلها؟ قال: «نعم أنت» خرجهما في فضائله .

شرح:

زوجين: وجاء في بعضها زوجاً وهما بمعنى واحد وكل شيء قرن بصاحبه فهو زوج وزوجين فالمرأة زوج الرجل وهو زوجها ومنه قولهم زوجت بين الإبل أي قرنت كل واحد بشكله وكذلك كل شيء قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾^(١) أي مثلين وشكلين وقد تقدم زيادة بيان في ذلك في باب الشهادة له بالجنة .

٤٣٢ - وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل ينفق زوجين في سبيل الله إلا والملائكة معهم الرياحين على أبواب الجنة ينادونه يا عبد الله يا مسلم هلم»^(٢)، فقال أبو بكر: إن هذا الرجل ما على ماله توى فقال: «يا أبا بكر إني لأرجو أن تكون منهم بل وأنت منهم» خرجته في فضائله .

شرح:

توى مصدر توى المال يتوي تواء إذا هلك وأتوى فلان ماله إذا أذهب وقول أبي بكر ما على ماله توى إشارة إلى حسن العاقبة فيه .

(١) سورة الذاريات، الآية: ٤٩ .

(٢) هَلُمَّ: كلمة دعاء أي تعال .

ذكر ما أخبرت به زوجته من عمله وأنه كان يوجد منه

رائحة كبد مشوي

٤٣٣ - وروي أن عمر بن الخطاب أتى إلى زوجة أبي بكر بعد موته فسألها عن أعمال أبي بكر في بيته ما كانت؟ فأخبرته بقيامه في الليل وأعمال كان يعملها، ثم قالت: «إلا أنه كان في كل ليلة جمعة يتوضأ ويصلي العشاء ثم يجلس مستقبل القبلة رأسه على ركبتيه فإذا كان وقت السحر رفع رأسه وتنفس الصعداء فيشم في البيت روائح كبد مشوي»، فبكى عمر وقال: «أنتى لابن الخطاب بكبد مشوي» خرج الملاء في سيرته.

ذكر زهده رضي الله عنه

تقدم من حديث هذا الذكر خروجه عن جميع ماله في كتاب الشيخين وحديث علي: «إن تؤمروا أبا بكر تجدوه زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة في باب أبي بكر وعمر وعلي وحديث تحلله بالعبا في فضل خصائصه في ذكر اختصاصه بمواساة النبي ﷺ».

٤٣٤ - وعن ابن عباس قال: «مات النبي ﷺ وعليه إحدى عشرة رقعة بعضها من آدم ومات أبو بكر وعليه ثلاث عشرة رقعة بعضها من آدم» خرج في الفضائل وقال غريب.

٤٣٥ - وعن زيد بن أرقم قال: استقى أبو بكر فأتى بإناء فيه ماء وعسل. فلما أدناه من فمه بكى حتى أبكى من عنده فسكت وما سكتوا ثم عاد فبكى حتى ظنوا أنهم لا يقدرين على مسأله ثم مسح وجهه فأفاق فقالوا: ما هاجك على هذا البكاء يا أبا بكر؟ قال: «كنت مع النبي ﷺ وجعل يدفع عنه شيئاً يقول: إليك عني، ولا أرى معه أحداً فقلت: يا رسول الله أراك تدفع عنك شيئاً ولم أرَ معك أحداً؟ فقال: «هذه الدنيا تمثلت لي بما فيها فقلت: إليك عني فتحت». وقال: أما والله لئن أفلتت مني لا ينفلت مني من بعدك فخشيت أن تكون قد لحقتني فذلك الذي أبكاني». . . خرج الملاء.

ذكر رضاه عن الله تعالى وسلام الله عليه

٤٣٦ - عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر هذا جبريل يقرئك من

الله السلام ويقول لك أراضٍ أنت في ففرك هذا أم ساخط؟»، فبكى أبو بكر وقال: أسخط على ربي؟ أنا عن ربي راضٍ أنا عن ربي راضٍ - خرجة الحافظ ابن نعيم البصري.

ذكر خوفه من الله تعالى واعترافه

٤٣٧ - عن الحسن قال: كان أبو بكر، يقول: «يا ليتني كنت شجرة تعضد وتؤكل». وعن أبي عمران الجوني عن أبي بكر أنه كان يقول: «لوددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن». خرجهما في «الصفوة».

٤٣٨ - وعن ابن عباس قال لما نزل قوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾^(١) آلى^(٢) أبو بكر أن لا يكلم النبي ﷺ إلا كأخي السرار - خرجة الواحدي وخرج في فضائله معناه.

٤٣٩ - عن عبد الرحمن بن عوف وعن طارق بن شهاب قال: قال أبو بكر لما نزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ فَلِلنَّاسِ﴾^(٣) آليت على نفسي أن لا أكلم رسول الله ﷺ إلا كأخي السرار أخرجه الواحدي.

٤٤٠ - وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: كنت عند النبي ﷺ فنزلت هذه الآية ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾^(٤)، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر ألا أقرئك آية أنزلت على قلب رسول الله ﷺ»، قال: فاقراها قال: فلا أعلم إلا أنني وجدت انقصاماً في ظهري حتى تمطأت لها فقال رسول الله ﷺ: «ما شأنك يا أبا بكر؟»، فقلت: يا رسول الله بأمي وأبي وأينا لم يعمل سوءاً وإنا لمجزيون بما عملنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «أما أنت يا أبا بكر وأصحابك المؤمنون فتجزون بذلك حتى تلقوا الله وليست لكم ذنوب وأما الآخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة». خرجة في فضائله.

٤٤١ - وخرج الماوردي عنه أنه قال: لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر: يا رسول

(١) سورة الحجرات، الآية: ٢.

(٢) آلى: رجع وصار.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ٣.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٢٣.

الله ما أشد هذه الآية ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾^(١)، فقال ﷺ: «يا أبا بكر إن المصيبة في الدنيا جزاء».

٤٤٢ - وعن عائشة أن أبا بكر لم يحث قط في يمين حتى أنزل الله تعالى كفارة اليمين فقال: «لا أحلف على يمين فرأيت غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني» - أخرجه الحميدي عن أبي بكر البرقاني. وعن قيس بن أبي حازم قال: رأيت أبا بكر آخذاً بطرف لسانه وهو يقول هو الذي أوردني خرجه في «الصفوة».

٤٤٣ - وعن عمر أنه دخل على أبي بكر وهو ينصص لسانه أو يحرك لسانه ويقول: «إن ذا أوردني الموارد» خرجه صاحب فضائله والملاء بهذا السياق وخرج ابن حرب الطائي: أن أبا بكر قال لساني أوردني الموارد.

شرح:

النصصة: بالصاد المهملة معناها التحريك واللقطة بالمعجمة لغة فيها إلا أنها غير مسموعة في هذا الحديث.

٤٤٤ - وعنه أيضاً أنه دخل عليه وهو آخذ بطرف لسانه وهو يقول: «إن هذا أوردني الموارد ثم قال: يا عمر لا حاجة لي في إمارتكم»، فقال عمر: «والله لا نقيلك»^(٢) ولا نستقيلك» خرجه في فضائله.

٤٤٥ - وروي أنه كان له حصاة يضعها في فمه خوفاً من فلتات اللسان - خرجه الملاء.

ذكر ورعه رضي الله عنه

٤٤٦ - عن عائشة قالت: «كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر فقال له الغلام: تدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: ما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة إلا أنني خدعته فلقيني فأعطاني فهذا الذي أكلت منه فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه» أخرجه البخاري.

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٣.

(٢) أقال فلاناً من عمله: أعفاه منه ونحاه عنه.

٤٤٧ - وعن زيد بن أرقم قال: «كان لأبي بكر غلام يغل عليه، فأتاه ليلة بطعام فتناول منه لقمة فقال له المملوك: ما لك كنت تسألني كل ليلة ولم تسألني الليلة فقال حملني على ذلك الجوع من أين جئت بهذا قال: مررت بقوم في الجاهلية فرقيت لهم فوعدوني، فلما أن جاء اليوم مررت بهم فإذا عرس لهم فأعطوني فقال: أف لك وكدت تهلكني فأدخل يده في حلقه وجعل يتقيأ وجعلت لا تخرج فقيل له: إن هذه لا تخرج إلا بالماء فدعا بعس ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها فقيل له: يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة؟ فقال: لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به» فخشيت أن ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة». خرجه في الصفوة والملاء في سيرته.

شرح:

يغل عليه: أي يأتيه بغلته وفلان يغل على فلان وأغل القوم إذا بلغت غلثهم.
والعس: القدح العظيم.

وقد تقدم ذكره في شرح قوله ﷺ والسحت الحرام والكهانة الأخبار عن المغيبات في مستقبل الزمان. وقد كان في العرب كهنة كشن وسطيح وغيرهم، فمنهم من كان له تابع من الجن وورثي يلقي إليه الأخبار، ومنهم من يعرف الأمور بمقدماتها وأسبابها يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله، وهذا يخصونه باسم العراف لأنه يدعي معرفة المسروق واسم السارق ومكان السرقة، ومنهم من مستنده في ذلك حساب وخط في رمل وغير ذلك.

وما أحسن الكهانة: فيه إشعار بأنه لو كان يحسن الكهانة لكان ما يأخذه مباحاً وهو كذلك، لأنها معاملة كانت جائزة بينهم، ومعاملة الكفار إذا تعاوضوا فيها قبل الإسلام نفذناها وأمضيها فلو كان العبد يحسن الكهانة لاستقرت الأجرة في رقيبتهم له ولاستحق مؤاخذه منهم ولما لم يحسنها كان ذلك جزءاً منه وأكل مالاً بالباطل فإنهم لو علموا أنه لا يحسن الكهانة ما عاملوه وكانت المعاملة باطلة في أصلها فلذلك حرمت والله أعلم.

٤٤٨ - وعن مجاهد قال: لما نزل عذر عائشة جاء أبو بكر فجلس عند رأسها فقالت: «قد أنزل الله عذري بغير حمد منك ولا صاحبك فهلا عذرتني»، فقال لها أبو بكر: «كيف أعذرك بما لا أعلم» خرجه في فضائله وقال حديث حسن.

٤٤٩ - وعن ميمون بن مهران قال: كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضي به وإن لم يكن في كتاب الله وعلم من رسول الله ﷺ

قضى به وإن لم يجد خرج فسأل المسلمين فقال: «هل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء»، فربما اجتمع إليه نفر يذكرون من رسول الله ﷺ قضاء فيه فيقول أبو بكر: «الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ علينا سنة نبينا» خرجه الإسماعيلي في معجمه وصاحب فضائله.

٤٥٠ - وعن قبيصة بن ذؤيب قال: جاءت الجدة إلى أبي بكر فسألته ميراثها فقال: «ما لك في كتاب الله شيء وما علمت لك في سنة رسول الله ﷺ شيئاً فأرجعي حتى أسأل الناس»، فسأل الناس فقال المغيرة بن شعبة: حضرت رسول الله ﷺ فأعطاه السدس فقال: «هل معك غيرك» فقال: محمد بن مسلمة الأنصاري فقال مثل ما قال المغيرة بن شعبة فأنفذه لها أبو بكر خرجه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه ابن ماجه.

٤٥١ - وعن عائشة قالت: «جمع أبي الحديث عن رسول الله ﷺ فكان خمسمائة حديث فبات ليلته يتقلب قالت: فغمني فقلت: لأي شيء يتقلب؟ لشكوى أو لشيء بلغك؟»، فلما أصبح قال: «أي بنية هلمي الأحاديث التي هي عندك»، قالت: فجئت بها فدعى بنار فأحرقها فقلت: ما لك يا أبت تحرقها؟ قال: «ما بت الليلة خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل ائتمنته ووثقت به ولم يكن كما حدثني فأكون قد تقلدت» ذلك خرجه في فضائله وقال غريب.

٤٥٢ - وعنها قالت: «لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه فقال: «انظروا ما زاد في مالي منذ دخلت في الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة»، فظننا فإذا هو عبد نوبي يحمل صبيانه وإذا ناضح كان يسقي بستانه فبعثنا بهما إلى عمر فبكى عمر، وقال: رحمة الله على أبي بكر، لقد أتعب من بعده تعباً شديداً، خرجه صاحب الصفوة والفضائل.

٤٥٣ - وخرجه ابن قتيبة في المعارف ولفظه: «انظري يا بنية فما زاد في مال أبي بكر منذ ولينا هذا الأمر رديه على المسلمين، فوالله ما نلنا من أموالهم إلا ما أكلنا في بطوننا من جريش الطعام، ولبسنا على ظهورنا من خشن ثيابهم»، فنظرت فإذا بكر وجرد قطيفة لا تساوي خمسة دراهم، فلما جاء بها الرسول إلى عمر قال له عبد الرحمن بن عوف: يا أمير المؤمنين أتسلب هذا ولد أبي بكر قال: كلا ورب الكعبة لا يتأثم بها أبو بكر في حياته وأتحملها من بعد موته رحم الله أبا بكر لقد كلف من بعده تعباً.

٤٥٤ - وخرج البغوي معناه في معجمه بزيادة ولفظه: «يا بنية إنني كنت أتجر قريش وأكثرهم مالاً فلما شغلني الإمارة رأيت أن أصيب من هذا المال فأصبت هذه العباءة القطوانية وحلاباً وعبدلاً فإذا مت فأسرعي به إلى ابن الخطاب، يا بنية ثيابي هذه

كفني فيهما، قالت فبكيت، وقلت: يا أبت نحن أيسر من ذلك، فقال: غفر الله لك وهل ذلك إلا المهمل، قالت: فلما مات بعثت بذلك إلى ابن الخطاب، فقال: يرحم الله أباك لقد أحب أن لا يترك لقائل مقالاً».

٤٥٥ - وخرج القلعي معناه وقال بعد قوله فأبلغه عمر ولم يكن عنده دينار ولا درهم ما كان إلا خادماً ولقحة^(١) ومحلب فلما رجعوا من جنازته أمرت به عائشة إلى عمر فقال عمر: يرحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده.

شرح:

الناضح: البعير يستقى عليه والأنثى ناضحة وسانية.
جريش الطعام: غليظه وجرشت الشيء إذا لم ينعم دقه، وملح جريش لم يطيب.
البكر: بالفتح الفتي من الإبل والأنثى بكرة وبالكسر المرأة التي ولدت بطناً واحداً وبكرها ولدها الذكر والأنثى فيه سواء وكذلك هي في الإبل.
القطيفة: دثار مخمل والجمع قطائف وجرد القطيفة من إضافة الشيء إلى صفته والمراد أن القطيفة انجرد وبرها لكثرة الاستعمال ولعله بالتحريك من قولهم رجل أجرد بين الجرد لا شعر عليه والجرد بالتحريك فضاء لا نبات فيه.
يتأثم: أي يتجنب الإثم وكذلك يتحرج ويتحش - العباءة القطوانية: منسوبة إلى قطوان موضع بالكوفة.
والحلاب والمحلب: بالكسر الإناء يحلب فيه.
والمهل: هنا القبح والصدید. وفي قوله تعالى: «يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ»^(٢)، قيل: هو النحاس المذاب وقيل: دردي الزيت.

ذكر تنزيهه عن شرب الخمر في الجاهلية والإسلام وعن قول الشعر في الإسلام

٤٥٦ - عن أبي العالية الرياحي قال قيل لأبي بكر في مجمع من أصحاب رسول الله ﷺ: هل شربت الخمر في الجاهلية؟ قال: «أعوذ بالله»، فقيل ولم؟ قال: «كنت

(١) اللقحة: الناقة الحلوب الغزيرة اللبن.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

أصون عرضي وأحفظ مالي، فمن شرب الخمر كان مضيعاً في عرضه ومروءته، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «صدق أبو بكر». مرتين - خرج الرأزي.

٤٥٧ - وعن عائشة أن أبا بكر لم يقل شعراً في الإسلام حتى مات وأنه كان قد حرم الخمر في الجاهلية.

ذكر تعففه عن المسألة.

٤٥٨ - عن ابن أبي مليكة قال: كان ربما يسقط الخطام من يد أبي بكر فيضرب بذراع ناقته فيأخذها قال: فقالوا له: أفلا أمرتنا تناولكه فقال: «إن حبي صلوات الله عليه وسلامه أمرني أن لا أسأل الناس شيئاً» - خرج أحمد وصاحب الصفوة.

ذكر تواضعه

٤٥٩ - عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من جر ثوبه خيلاء»^(١) لم ينظر الله إليه يوم القيامة». فقال أبو بكر شقي ثوبي يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه، فقال رسول الله ﷺ: «إنك لست تصنع ذلك خيلاء» - خرج البخاري.

٤٦٠ - وعن عطاء بن السائب قال: لما استخلف أبو بكر أصبح غادياً إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر فيها، فلقبه عمر وأبو عبيدة، فقالا: «إلى أين تريد يا خليفة رسول الله؟»، قال: «السوق»، قالوا: «تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين؟»، قال: «فمن أين أطعم عيالي؟»، قالوا له: «انطلق حتى نفرض لك شيئاً»، فانطلق معهما ففرضوا له كل يوم شطر شاة وما كسوة في الرأس والبطن - خرج في «الصفوة».

٤٦١ - وعن عمر بن اسحق قال خرج أبو بكر وعلى عاتقه عباءة له فقال له رجل: أرني أكفك فقال: «إليك عني لا تغرني أنت وابن الخطاب عن عيالي»، خرج في «الصفوة»، وقال: قال علماء السيرة: كان أبو بكر يحلب للحبي أغنامهم، فلما بويج قالت جارية من الحبي: الآن من يحلب لنا منائح^(٢) دارنا؟ فسمعها فقال: «لأحلبنها لكم، وأرجو أن لا يغرنني ما دخلت فيه عن خلق كنت فيه»، فكان يحلب لهم رحمه الله.

(١) الخيلاء: التكبر والعجب.

(٢) المنوح: التي يبقى لبنها بعد ذهاب ألبان مثلها.

٤٦٢ - وعن عمر أنه كان رديف أبي بكر قال: وكنا نمر بالناس فنسلم عليهم فيردون قال أبو بكر: «لقد فضلنا الناس اليوم بزيادة كثيرة» - خرج أبو عبد الله الحسين القطان.

٤٦٣ - وعن هشام بن عروة، عن أبيه قال: قعد أبو بكر على منبر رسول الله ﷺ فجاء الحسن بن علي فصعد المنبر وقال: انزل عن منبر أبي فقال له أبو بكر: «منبر أبيك لا منبر أبي منبر أبيك لا منبر أبي»، فقال علي وهو في ناحية القوم: إن كان لعن غير أمري - خرج أبو بكر بن الأنباري.

٤٦٤ - وعن ابن عمر أن أبا بكر بعث يزيد بن أبي سفيان إلى الشام ومشى معه نحواً من ميلين فقبل له: يا خليفة رسول الله لو انصرفت فقال: لأنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أغبرت قدماءه في سبيل الله حرّمها الله على النار». خرج ابن حبان.

ذكر سرعة رجوعه عن غضبه وما ظهر من برّكته

٤٦٥ - عن عبد الرحمن بن أبي بكر أن أصحاب الصفة^(١) كانوا ناساً فقراء وأن رسول الله ﷺ قال مرة: «من كان عنده طعام اثنتين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس». وأن أبا بكر جاء بثلاثة وانطلق نبي الله ﷺ بعشرة وأبو بكر بثلاثة وأنا وأبي وأمي ولا أدري هل قال: وامرأتي وخادم بين بيتنا وبيت أبي بكر وأن أبا بكر تعشى عند رسول الله ﷺ، فجاء بعد أن مضى من الليل ما شاء الله تعالى فقالت له امرأته ما حبسك عن أضيافك؟ أو قالت عن ضيفك، قال: «أو ما عشتهم؟»، قالت: أبوا حتى تجيء قد عرضوا عليهم فغلبوهم قال: فذهبتُ أنا فاخْتَبَأْتُ فقال: «يا غنثر» فجذّع وسب وقال: «كلوا لا هنيئاً»، وقال: «والله لا أطعمه أبداً»، وحلف الضيف أن لا يطعمه حتى يطعمه أبو بكر، قال أبو بكر: «هذه من الشيطان»، قال: فدعا بالطعام فأكل، قال: «وايم الله ما كنا نأخذ من لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها، قالت: حتى شبعوا وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك فنظر إليها أبو بكر، فإذا هي كما هي وأكثر قال لامرأته: «يا أخت بني فراس: ما هذا؟» قالت: لا وقرّة عيني هي الآن لأكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات، فأكل منها أبو بكر وقال: «إنما كان ذلك من الشيطان»، يعني: يمينه ثم أكل منها لقمة ثم حملها إلى رسول الله ﷺ فأصبحت عنده وكان بيننا وبين قوم عقد فمضى الأجل

(١) الصُّفّة: هي ظلة كان المسجد في مؤخرها. (معجم البلدان ٣/ ٤١٤).

فتفرقنا اثني عشر رجلاً مع كل واحد منهم أناس الله أعلم كم مع كل رجل منهم فأكلوا منها أجمعون أخرجاه.

شرح:

الغثر: الجاهل.

جذع: أي خاصم والمجازعة المخاصمة.

٤٦٦ - وعن أبي برزة الأسلمي قال: كنا عند أبي بكر الصديق في عمل فغضب على رجل من المسلمين فاشتد غضبه عليه جداً فلما رأيت ذلك قلت: يا خليفة رسول الله أضرب عنقه فلما ذكرت القتل أضرب عن ذلك الحديث أجمع إلى غير ذلك من النحو قال: فلما تفرقنا أرسل إليّ بعد ذلك أبو بكر فقال: «يا أبا برزة ما قلت؟»، قال ونسيت الذي قلت؟ قلت: ذكرنيه قال: «أما تذكر ما قلت؟»، قلت: لا والله قال: «أرأيت حين رأيتني غضبت على الرجل فقلت: أضرب عنقه يا خليفة رسول الله؟ أما تذكر ذلك؟ أو كنت فاعلاً»، قال: قلت: نعم والله والآن إن أمرتني فعلت، قال: «ويحك أو ويلك ما هذه لأحد بعد رسول الله ﷺ». أخرجه أحمد.

شرح:

ويح: كلمة ترحم - وويل كلمة عذاب وقال البيهقي هما بمعنى يقول ويح لزيد وويل له ترفعهما على الابتداء ولك نصبهما بإضمار فعل كأنك قلت ألزمه الله ويحاً وويلاً ولك أن تقول ويلك ويحك على الإضافة ويح زيد وويله كذلك والنصب بإضمار فعل أيضاً.

ذكر غيرته وتزكية النبي ﷺ وزوجه

٤٦٧ - عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن نفراً من بني هاشم دخلوا على أسماء بنت عميس، فدخل أبو بكر الصديق وهي تحته يومئذ فرآهم فكره ذلك فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال: إني لم أر إلا خيراً فقال النبي ﷺ: «إن الله تعالى قد برأها من ذلك»، ثم قام رسول الله ﷺ على المنبر فقال: «لا يدخل رجل بعد يومي هذا على مغيبة إلا ومعه رجل أو اثنان». أخرجه مسلم والنسائي والحافظ وأبو القاسم في «الموافقات».

ذكر تكذيب ملك إنساناً وقع بأبي بكر ولم يزل كذلك حتى انتصر لنفسه

٤٦٨ - عن سعيد بن المسيب قال: بينما رسول الله ﷺ جالس ومعه أصحابه إذ وقع رجل بأبي بكر فأذاه فصمت عنه أبو بكر ثم آذاه الثانية فصمت عنه ثم آذاه الثالثة فانتصر منه أبو بكر، فقام رسول الله ﷺ حين انتصر أبو بكر أنه وجد عليه، فقال: وجدت عليّ يا رسول الله حين انتصرت منه وقد أعرضت عنه مرتين فظننت أنك سترده عني؟ فقال له رسول الله ﷺ: «قد نزل ملك من السماء يُكذبه بما قال لك فلما انتصرت وقع الشيطان فلم أكن لأجلس إذ وقع الشيطان». خرجه أبو داود وأبو القاسم في «الموافقات».

٤٦٩ - وقد قيل إن قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾^(١) الآية نزلت في ذلك. عن مقاتل: أن رجلاً نال من أبي بكر والنبى ﷺ حاضر فصكت عنه أبو بكر ثم رد عليه فقام ﷺ، فقال أبو بكر: يا رسول الله شتمني فلم تقل شيئاً حتى إذا رددت عليه قمت؟ فقال: «إن ملكاً كان يجيب عنك فلما رددت ذهب الملك وجاء الشيطان». فنزلت. ذكره أبو الفرج في أسباب النزول.

ذكر ما جاء في الترغيب في محبته

٤٧٠ - عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «حب أبي بكر واجب على أمتي». خرجه الحافظ السلفي في مشيخته.

٤٧١ - وعنه قال: كنا في بيت عائشة أنا ورسول الله ﷺ وأبو بكر، وأنا يومئذ ابن خمس عشرة سنة، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر ليت أني لقيت إخواني فإني أحبهم»، فقال أبو بكر: يا رسول الله نحن إخوانك، قال: «لأنتم أصحابي، إخواني الذين لم يروني وصدقوني وأحبوني حتى إنني لأحب إلى أحدهم من ولده ووالده». قالوا: يا رسول الله إنا نحن إخوانك قال: «لأنتم أصحابي ألا تحب يا أبا بكر قوماً أحبوك بحبي إياك قال فأحبهم ما أحبوك بحبي إياك». خرجه الأنصاري.

٤٧٢ - وعن عبد الله بن أبي أوفى قال: خرج رسول الله ﷺ يوماً فقعد فقال: «يا عمر إني أشتاق إلى إخواني»، قال عمر: يا رسول الله أفلسنا إخوانك؟ قال: «لأنتم أصحابي ولكن إخواني قوم آمنوا بي ولم يروني». قال: فدخل أبو بكر على بقية ذلك فقال له عمر: يا أبا بكر إن رسول الله ﷺ قال: «إني أشتاق إلى إخواني»، فقلت: يا رسول الله ألسنا إخوانك؟ قال: «لا ولكن أنتم أصحابي ولكن إخواني قوم آمنوا بي ولم يروني». فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر ألا تحب قوماً بلغهم أنك تحبني فأحبوك بحبك إياي فأحبهم أحبهم الله». خرجه ابن فيروز.

٤٧٣ - وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لما كان الليلة التي ولد فيها أبو بكر الصديق رضي الله عنه أقبل ربكم عز وجل على جنة عدن فقال وعزتي وجلالي لا أَدْخِلُكَ إِلَّا مِنْ أَحَبِّ هَذَا الْمَوْلُودِ»، خرجه علي بن نعيم البصري، وقال غريب من حديث الزهري عن نافع - وخرجه الملاء في سيرته.

٤٧٤ - وعن قيس بن أبي حازم قال: التقى أبو بكر الصديق علي بن أبي طالب فتبسم أبو بكر في وجه علي فقال له علي: ما لك تبسمت؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي بن أبي طالب الجواز». فضحك علي وقال: ألا أبشرك يا أبا بكر؟ قال رسول الله ﷺ: «لا يكتب الجواز إلا لمن أحب أبا بكر». خرجه ابن السمان.

٤٧٥ - وعن أنس أن يهودياً أتى أبا بكر فقال: والذي بعث موسى كليمًا إني لأحبك فلم يرفع أبو بكر رأساً تهاوناً باليهودي. قال: فهبط جبريل على النبي ﷺ فقال: يا محمد! العلي الأعلى يقرئك السلام ويقول لك: قل لليهودي الذي قال لأبي بكر: إني أحبك إن الله عز وجل قد أحاد عنه في النار خلتين لا توضع الأنكال في قدميه ولا الغل في عنقه لحبه أبا بكر، فبعث النبي ﷺ فأحضره فأخبره الخبر قال: فرفع رأسه إلى السماء وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد رسول الله حقاً والذي بعثك بالنبوة لا ازددت لأبي بكر إلا حباً فقال رسول الله ﷺ: «هنيئاً هنيئاً». خرجه الملاء في سيرته.

شرح:

أحاد: أصله أمال والمراد والله أعلم ههنا أزال وهو داخل في الميل تقول حاد يحيد حيوداً وحيدة وحيدودة.

والأنكال: جمع نكل بالكسرة وهو القيد.

والغل: ما يجعل في العنق.

ذكر ما جاء عن عمر في تفضيله أبا بكر على نفسه

٤٧٦ - عن ابن عمر قال: قيل لعمر: ألا تتخلف؟ فقال: «إن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله ﷺ، وإن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني أبو بكر الصديق» متفق على صحته، وسيأتي في فضل وفاة عمر من كتاب مناقبه.

٤٧٧ - وعن ابن عباس قال: قال عمر: «والله لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إليّ أن أتقدم على قوم فيهم أبو بكر» أخرجاه.

٤٧٨ - وعن أبي عمران الجوني قال: قال عمر: «وددت أني شعرة في صدر أبي بكر» خرجهما في فضائله.

٤٧٩ - وعن الحسن بن أبي الحسن قال: قال عمر: «وددت أني من الجنة حيث أرى أبا بكر» خرجته في فضائله.

٤٨٠ - وعن جابر بن عبد الله قال: قال عمر: «أبو بكر سيدنا وخيرنا»، وقد تقدم في فضل الخصائص وتقدم فيه أيضاً حديث القائل له: ما رأيت أحداً خيراً منك، فقال هل رأيت أبا بكر... الحديث.

ذكر ما يتضمن تعظيم عمر أبا بكر

٤٨١ - عن أنس قال: دخل النبي ﷺ دارنا فحلبنا له من شاة داجن وشيب^(١) له بماء من ماء بئر في الدار وأبو بكر عن شماله وأعرابي عن يمينه، فشرب ﷺ وعمر ناحية فقال عمر: أعط أبا بكر فناول الأعرابي وقال: «الأيمن فالأيمن» - خرجته بهذا السياق علي بن حرب الطائي، وقد تقدم في الخصائص مختصراً من حديث الموطأ.

٤٨٢ - وعنه قال: زارنا رسول الله ﷺ في دارنا فحلبنا له من داجننا وشربنا لبنها من ماء الدار وعن يمين رسول الله ﷺ رجل من أهل البادية ومن وراء الرجل عمر بن الخطاب وعن يسار رسول الله ﷺ أبو بكر فشرب حتى إذا نزع القدح من فيه أو هم بنزعه

(١) شاب الشيء بالشيء: خلطه به.

قال عمر: يا رسول الله أعطه أبا بكر فأعطاه رسول الله ﷺ الأعرابي وقال: «الأيمن فالأيمن». أخرجه النسائي.

ذكر ما جاء عن علي أنه كان إذا حدثه أحد استحلفه غير أبي بكر

٤٨٣ - عن علي قال: كنت إذا سمعت عن رسول الله ﷺ حديثاً نفعتني الله بما شاء، فإذا حدثني عنه غيره استحلفته، فإذا حلف لي صدقته، وحدثني أبو بكر، وصدق أبو بكر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس من عبد يذنب ذنباً فيقوم فيحسن الوضوء ثم يصلي ركعتين ثم يستغفر إلا غفر الله له». أخرجه النسائي والحافظ في «الأربعين البلدانية».

٤٨٤ - وعنه أنه لما مات رسول الله ﷺ واختلف الصحابة أين يدفن؟ قال أبو بكر: «عهد إليّ رسول الله ﷺ أنه ليس من نبي يموت إلا دفن حيث يقبض»، وأبو بكر مؤتمن على ما جاء به.

٤٨٥ - وعنه قال سمعت أبا بكر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد يذنب ذنباً، فقام فتوضأ فأحسن الوضوء فقام فصلّى ثم استغفر الله تعالى إلا كان حقاً على الله تعالى أن يغفر له». قال: فجعل ينادي بها على المنبر صدق أبو بكر، صدق أبو بكر، وذلك لأن الله تعالى قال: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾^(١) خرجهما في فضائله.

فصل في التنبيه على ما رواه علي رضي الله عنه في فضل أبي بكر وما روي عنه

وأحاديث هذا الفصل كلها مذكورة في غيره متقدمة ومتأخرة وإنما لما كانت الدواعي متوفرة عد ما يرويه علي وما يروي عنه في فضل أبي بكر وكذلك ما يرويه أبو بكر ويروي عنه فلذلك عقدنا هذا الفصل ننبه فيه على ما تقدم وتأخر ليطلب في مواضعه ونعقد أيضاً فصلاً مثله في مناقب علي إن شاء الله.

وقد ذكرنا ما رواه أو روي عنه مما تضمن فضل أبي بكر وغيره في آخر باب

(١) سورة النساء، الآية: ١١٠.

الشيخين ما خلا حديث: «مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل»، يعني أبا بكر وعلياً فإنه في فصل بعده وأما ما اختص بأبي بكر فنحن نذكره هنا.

٤٨٦ - فمنها حديث النزال بن سبرة عنه في قوله في أبي بكر: «ذاك امرؤ سماه الله الصديق على لسان جبريل وعلى لسان محمد ﷺ رضي الله عنه ﷺ لديننا فرضيناه لدينانا» وحديث ابن يحيى في المعنى.

٤٨٧ - وعن علي أن الله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق - الثلاثة - في فضل اسمه، وحديث الحسن أن رجلاً سأل علياً كيف سبق المهاجرون إلى بيعة أبي بكر؟ فقال: إنه سبقني بأربعة الحديث تقدم في ذكر أنه أول من أظهر إسلامه وحديث آخر عنه في معناه فيه، وحديث تضمن قوله ﷺ لجبريل: «من يهاجر معي؟» قال: أبو بكر، وحديث: «ما منكم من أحد إلا وقد كذبتني إلا أبو بكر» - في أول الخصائص، وحديث: «إني أترككم فإن يرد الله بكم خيراً». الحديث - في ذكر اختصاصه بالخيرية وحديث أبي سريجة عنه أن أبا بكر مثبت القلب وحديث أنه أشجع الناس.

وقوله: يا خليفة رسول الله ﷺ لا تفجعنا بنفسك تقدم في ذكر اختصاصه بالأشجعية، وحديث: «إن الله تعالى يكره نخطئة أبي بكر»، في الخصائص في أعلميته، وحديث أن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصُّدُقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾^(١) أبو بكر، في الخصائص في آخرها - وحديث رضي الله عنه ﷺ لديننا فرضيناه لدينانا، تكرر متقدماً ومتأخراً في فصل خلافته، وفي هذا الفصل قوله: قدم رسول الله ﷺ أبا بكر للصلاة وهو يرى مكاني... الحديث، وحديث قيس بن عباد عنه في المعنى وحديث أن الله أعطاه ثواب من آمن بالنبي ﷺ في فصل فضائله.

وحديث تجلى الله تعالى له خاصة في فصل خصائصه وحديث رحم الله أبا بكر كان من أعظم الناس أجراً في جمع المصاحف في خصائصه، وحديث إن الخير ثلثمائة خصلة وفيه منها جمع من كل في فضائله، وحديث نازلت ربي فيك يا علي ثلاثاً فأبى إلا أبا بكر سيأتي في فصل خلافته، وثناؤه عليه يوم مات سيأتي في فصل وفاته إن شاء الله تعالى.

ذكر اعتذار عبد الله بن عمر في تقديمه أباه في السلام على أبي بكر تنبيهاً على أفضليته

٤٨٨ - عن عبد الله بن عمر كان إذا قدم من سفر لم يدخل على أهله حتى يدخل المسجد فيصلّي فيه ركعتين ثم يأتي قبر النبي ﷺ فيسلم عليه وعلى أبي بكر وعمر وكان إذا سلم على عمر قال : السلام على أبي لولا أنك أبي ما بدأت بك قبل أبي بكر - خرجته أبو بكر بن أبي داود .

ذكر ما روي عن عائشة في أبي بكر

٤٨٩ - عنها قالت : «قبض رسول الله ﷺ وارتدت العرب واشرب^(١) النفاق ونزل بأبي ما لو نزل على الجبال الراسيات لهاضها قالت : فما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بحطها وثنائها» خرجته الطبراني .

٤٩٠ - وعن القاسم بن محمد قال سمعت عائشة تقول : «لما قبض رسول الله ﷺ اشرب النفاق وارتدت العرب وعاد أصحاب محمد كأنهم معزى بحظيرة في حفش^(٢) الله ما اختلفوا في الأمر إلا طار أبي بكذا وغنائها» خرجته الإسماعيلي في معجمه .

٤٩١ - وعنها وقد بلغها أن قوماً تكلموا في أبيها فبعثت أزفلة من الناس وعلت وسادتها وأرخت ستارتها فحمدت الله تعالى وصلت على نبيه ﷺ ثم قالت : «أبي وما أبي والله لا تعطوه الأيدي ذاك طود منيف وظل مديد هيهات كذبت الظنون أنجح والله إذا كذبتهم وسبق إذ ونيتهم سبق الجواد إذا استولى على الأمد فتى قريش ناشئاً وكهفاً كهلاً يفك عانيها ويريش مملقها ترأب شعبها ويلم شعها حتى حليته قلوبها ثم استشرى في دينه» .

٤٩٢ - وفي رواية استشرى في الله تعالى فما برحت شكيمته في ذات الله عز وجل حتى اتخذ بفنائها مسجداً يحيي فيه ما أمات المبطلون، وكان رحمه الله غزير الدمعة وقيد الجوانح شجي الشيخ فأنصفت عليه نسوان أهل مكة وولدانهم يسخرون منه

(١) إشرأب: المراد: كثر وزاد .

(٢) الحفش: البيت الصغير من بيوت الأعراب، أو البيت القريب السقف من الأرض .

ويهزؤون به ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^(١)، وأكبرت رجال ورجالات فحنت قسيها وفوقت سهامها وامتلوه غرضاً.

٤٩٣ - وفي رواية: فانتشلوه عرضاً فما فلّوا له صفاة ولا قصفوا له قناة ومضى على سيسائه حتى إذا ضرب الدين بجرانه ورست أوتاده ودخل الناس في دين الله أفواجاً ومن كل فرقة أرسالاً وأشتاتاً واختار الله لنبيه ﷺ ما عنده فلما قبض رسول الله ﷺ اضطرب جبل الدين ومرج أهله وبغى الغوائل وظنت رجال أن قد اكتسبت نهزها.

٤٩٤ - وفي رواية: فلما قبض رسول الله ﷺ نصب الشيطان رواقه ومد طنبه ونصب حباله وظن رجال أن قد تحققت أطماعهم ولات حين يظنون، وأبي أبو بكر الصديق بين أظهرهم فقام حاسراً مشمراً وأقام أوده بثقافته، زاد في رواية فجمع حاشيته ورفع قطريه فرد نشر الإسلام على عزه ولم شعته بطيه وأقام أوده بثقافته حتى امذقر النفاق بوطأته فلما انتاش الدين بنعشه.

٤٩٥ - وفي رواية: حتى امذقر النفاق بوطئته وانتاش الدين بنعشه فلما أراح الحق على أهله وقرت الرؤوس على كواهلها، وحقن الدماء في أهبها، حضرت منيته فسد ثلمته بنظره في الشدة والرحمة ذاك ابن الخطاب لله درّ أم حملته وردت عليه لقد أوحدت به فديخ الكفر وفنخها وشرك الشرك شذر مذر فأروني ماذا ترون؟ وأي يومي أبي تقمون؟ أيوم إقامته إذ عدل فيكم؟ أم يوم طعنه إذ نظر لكم؟ أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم، ثم التفت إلى الناس فقالت: سألتكم بالله هل أنكرتم مما قلت شيئاً؟ قالوا: اللهم لا - خرج صاحب «الصفوة» في فضل عائشة في فصاحتها وصاحب فضائله وقال حسن صحيح.

وخرجه الحافظ أبو القاسم السمرقندي بالروايات المزیدة.

شرح:

الإزفلة: جماعة وجمعه أزافل.

تعطوه الأيدي: تناوله يقال عطا يعطو وظبي عاط يتناول الشجر.

طود: هو الجبل العظيم فاستعارته له مشرف عال.

أنجح إذا كديتم: أي انقطعتم وآيستم يقال: أكدي بكدي فهو مكد مأخوذ من كدية الركبة وهو

أن يحفر الحافر فيبلغ إلى الكدية وهي الصلابة من حجر أو غيره فلا يعمل معوله شيئاً فيئأس ويقطع الحفر .

ونيتم : ضعفهم تقول ونى يني وناء وونيا إذا ضعف .

يريش مملقها أي : يقوي فقيرها وأصله من رشت السهم تقول رشت الرجل أي قويته فارتاش أي قوي والمملق الفقير تقول منه أملق إملقاً .

يرأب شعبها أي : يلائمه ويجمعه والشعب الصدع وهو الشق في الشيء .

ويلم شعنها : والمراد بالشعث هنا انتشار الأمر والتفرق بعد الاجتماع كما يتشعث الرأس واللم : الجمع .

حليته قلوبها أي : أسلحته وأعجبها تقول حلا يحلو حلاوة وحلا بالكسر بعيني وفي عيني وبصدري وفي صدري يحلى حلاوة إذا أعجبك وقال الأصمعي : حلى في عيني بالكسر وحلا في عيني بالفتح .

استشرى في دينه : أي ألح فيه .

فما برحت شكيته ذات الله : يقال فلان شديد الشكيمة إذا كان شديد النفس ثابتاً على أمره وفلان ذو شكيمة إذا كان لا ينقاد .

وقيذ الجوانح : فعليل بمعنى مفعول ، أي أنه كان محزون القلب حتى كأن الحزن صيره لا حراك به من الوقذ وهو الضرب حتى يصير المضروب لا حراك به تقول منه وقذه يقذه وقذاً ومنه الموقوذة .

شجى الشجج أي : في صوت بكائه رقة وحنان تقول نشج ينشج نشيجاً إذا غص ببكائه وظهر منه صوت وشجا شجاً إذا حزن - وأكبرت رجال : أي عظمت .

ورجالات : جمع رجل ويجمع عن رجال .

حنت قسيها أي : عوجت .

وفوقت سهامها أي : جعلت لها فوقاً وهو موضع الوتر من السهم وذلك إشارة منها إلى إرسال الكلام نحوه لقولها : وامتلوه غرضاً أي : صبروه مثل الغرض ومن رواه انتثلوه غرضاً أي صبروه مثل الغرض ومن رواه انتثلوه غرضاً أي تركوه من النثل وهو أن يترك الشيء مرة واحدة يقال نثل ما في كنانته إذا صبه مرة واحدة وكذا نثره .

فلوا صفاته أي : كسروها والصفة صخرة ملساء يقال في المثل ما تبدأ صفاته وجمعها صفا مقصور وفله فانفل أي كسره فانكسر وأنها تشير إلى أنهم لم يغيروا من أمره المستجمع المتحكم شيئاً .

ولو قصفوا له قناة : تقول قصفت الشيء أي كسرتة والإشارة إلى ذلك المعنى أي لم يزل أمره قائماً وكعبه عالياً على سيسانته أي على ما ركب من أمره وسيساء الحمار ظهره قال أبو عمرو السيساء من الفرس الحارك ومن الحمار الظهر .

ضرب الدين بجرائه : جران البعير عنقه من مذبحة إلى منخره وكذلك هو من الفرس والمعنى أنه

ألقى بجرانه على الأرض كما يفعل البعير إذا برك - ورست أوتاده: ثبتت.

أفواجاً: جماعات جمع فوج ويجمع أيضاً فوج وجمع الجمع أفواج وأفواج.

أرسالاً: جمع رسل بالتحريك وهو في الأصل القطيع من الإبل والغنم فاستعير للجماعة من الناس.

أشتاتاً أي: متفرقين واحدهم شت، مرج أهله. يقال مرج الأمر مرجاً إذا التبس هذا أصله والمراد والله أعلم بمرجهم: اضطرابهم من قولهم مرج الدين والأمر اختلط واضطرب.

أكثبت نهزها: يقال كثبت الشيء كثباً جمعه وانكثب الرمل أي اجتمع ومنه سمي الكثيب من الرمل والنهز جمع نهزة وهي الفرصة والكثب بالتحريك القرب يقال رماه من كثب أي من قرب ويقال أكثبت الصيد إذا أمكنك والتقدير اقتربت فرصها.

ومنه حديث يوم بدر «إن أكثبكم القوم فأنبلوهم» أي قاربوكم وأمكنوكم من أنفسهم فارموهم بالنبل.

ولات حين يظنون وأبي بين أظهرهم: أي ليس الحين حين ظنهم ما دام أبي بين أظهرهم ومنه ولات حين مناص أي ليس الحين حين خلاص.

أوده: اعوجاجه.

بنشافته: أي حذاقته وفطنته يقال ثقف ثقافته وقطر الشيء جانباه ونشر الإسلام على عزه أي ما انتشر منه على حاله الذي كان عليه من قولهم اطو هذا الثوب على عزة أي طيه الأول وكسره.

امذقر النفاق: تقطع يقال امذقر الرائب إذا انقطع فصار اللبن ناحية والماء ناحية قاله الجوهري.

- انتاش الدين: يقال انتشته أي خلصته من ضراء ومنه التناوش التناول.

بنعشه: أي رفعه، يقال نعشه الله فانتعش أي رفعه فارتفع فأرادت والله أعلم بهذا وبما بعده أنه رفع منار الدين وأشاد قواعده وأقر الحق وأزاح الباطل فقرت أمور الدين على ما كانت عليه والكاهل الحارك وهو ما بين الكتفين.

أوحدت به أي: جاءت به وحيداً لا ثاني له ولا مثل له.

ديخ ودوخ: بمعنى الأصل بالواو ومن قولهم داخ البلاد يدوخها إذا قهرها واستولى عليها، وكذلك دوخ البلاد.

الثلمة: الخلل.

المرحمة: الرحمة.

- فنخها: قهرها، يقال فنخه الأمر قهره.

شرك الشرك شذر مذر: يقال شركت النعل وأشركتها أي رمتها بالشراك فكأنه رم الكفر وشذر

مذر أي في كل جهة يقال تفرقوا شذر مذر بكسر الشين والميم وفتحهما وفتح الذال في اللغتين إذا ذهبوا في كل وجهة.

تَنَقِّمُونَ: أي تَعْتَبُونَ، يقال: نَقِمَ يَنْقِمُ بِكَسْرٍ مُضَارَعَةٍ فَهُوَ ظَعْنُهُ أَيْ سِيرُهُ وَارْتِحَالُهُ، يقال: ظَعَنَ ظَعْنًا وَظَعْنًا.

الفصل الثالث عشر: في ذكر خلافته وما يتعلق بها

ذكر ما جاء ليلاً على خلافته تنبيهاً سابقاً منه ﷺ وتقريراً لاحقاً من الصحابة وشهادة منهم بصحتها وأنها لم تكن إلا بحق.

وقد تقدم جملة من أحاديث هذا الذكر فشيء منها تقدم في باب الأربعة في ذكر ما جاء في خلافة الأربعة وفي باب الثلاثة كذلك وفي باب أبي بكر وعمر كذلك وبعضها مصرح بخلافتهم على الترتيب الواقع منه ﷺ تارة ومن فهم الصحابة أخرى خصوصاً أحاديث مرآئيه ﷺ فإن أحاديثها متفق على صحتها.

وكذلك حديث الأمر بالاعتداء بأبي بكر وعمر وبعده باقيها، تقدم في الخصائص ونحن ننبه عليه لنفرع إليه عند الحاجة إلى الاستدلال به.

فمنها حديث ابن عباس ليس أحداً من علي إلى قوله سدوا عني كل خوخة وفهم الصحابة رضوان الله عليهم من ذلك التنبيه على الخلافة.

وقد تقدم بيان وجه الدلالة منه وهو في الذكر الرابع في فصل الخصائص وأحاديث أفضليته كلها دليل على تعيينه على قولنا لا تنعقد ولاية المفضول عند وجود الأفضل وعلى القول الآخر دليل على أولويته لا نزاع في ذلك وقد تقدمت في الذكر الثالث عشر من الخصائص.

وتقدم ضرب منها في باب الأربعة وفي باب الثلاثة، وفي باب أبي بكر وعمر، وحديث استخلافه على الصلاة لما ذهب يصلح بين بني عوف في الذكر الثالث والأربعين من الخصائص.

وحديث استخلافه عليها في مرض وفاته في الخامس والأربعين وهو من أوضح الأدلة وعليه اعتمد عمر وعلي وغيرهما من الصحابة في الاستدلال على خلافته وعلى أحقيته بها على ما سيأتي في آخر هذا الذكر، ووجهه: أنه كان وهو ﷺ قد تأهب للنقلة إلى ربه فعينه للإمامة ثم عورض بعرض غيره عليه لذلك فمنع منه ثم لما أن تقدم غيره

كره ذلك وصرح بالمنع منه ثم أكد بتكرار المنع فقال: لا لا لا ثم أردف ذلك بما فيه تعريض بالخلافة بل تصريح بقوله: «يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر»، ثم أكد ذلك بتكرار كل ذلك، مع علمه ﷺ بأن ذلك مظنة الخلافة فإنه كان ﷺ إمامهم في الصلاة والحاكم عليهم، فلما أقام أبا بكر ذلك المقام مع توفر هذه القرائن الحالية والمقالية علم أنه أراد ذلك وفي قوله: «يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر» أكبر إشارة، بل أفصح عبارة، ولولا اعتماده ﷺ على تلك الإشارة المصرحة بإرادة الخلافة لما أهمل أمرها فإنها من الوقائع العظيمة في الدين، ويؤيد أنه أراد كتب العهد على ما سنذكره ثم تركه وقال: «يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر» إنما كان والله أعلم اكتفاء بنصبه إماماً عند إرادة الانتقال عنهم وإحالة على فهم ذلك عنه، ولم يصرح بالتنصيب عليها، لأنه مرتبط بما يوحي إليه لا يفعل شيئاً إلا بأمر ربه ولم يأمره بالتنصيب لينفذ قضاؤه وقدره في ابتداء قوم عميت أبصارهم بما ابتلاهم به وليبين فضل من انقاد إلى الحق بزمام الإشارة ودله نور بصيرته عليه، فإن من لم يعتقد ذلك بعد بلوغ هذه الأحاديث والعلم بتلك القرائن الحالية والمقالية فالظاهر عناده ورده للحق بعد تبينه.

ومنها حديث عائشة لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره، وهو صريح في الباب لعموم الإمامة تقدم في الرابع والأربعين وحديث الحوالة عليه في السابع والأربعين وهو من أدل الأدلة وأوضحها، وحديثها من أصح الأحاديث، وإن صحت الزيادة على ما رواه مسلم وهي قوله ﷺ: «فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى».

وفي رواية: «لكيلا يطمع في الأمر طامع أو يتمنى متمن» ثم قال: «ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر ويأبى الله» ويدفع المؤمنون أبي الله والمؤمنون أن يختلف عليه، وهذا صريح في الباب ولا يقال إنه نص على إمامته بتوليته من جهته ﷺ، فإنه لم يكتب بل عرف بأنه يكون الخليفة بعده فجعل الله سبحانه وتعالى ذلك وإجماع المسلمين عليه.

ذكر سؤال النبي ﷺ تقدمه علي فأبى الله إلا تقدمه أبي بكر

٤٩٦ - عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «سألت الله عز وجل أن يقدمك ثلاثاً فأبى علي إلا تقديم أبي بكر» خرجه الحافظ السلفي في المشيخة البغدادية وخرجه صاحب الفضائل ولفظه: «يا علي نازلت الله فيك ثلاثاً فأبى أن يقدم إلا أبا بكر»، وقال غريب وهذا الحديث مع غرابته يعتضد بما تقدم من الأحاديث الصحيحة فيستدل بها على صحته لشهادة الصحيح لمعناه.

ذكر ما روي عن عمر في هذا الباب

٤٩٧ - عن عبد الله بن مسعود قال: «كان رجوع الأنصار يوم سقيفة بني ساعدة بكلام قاله عمر بن الخطاب: نشدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ أمر أبا بكر يصلي بالناس؟ قالوا: اللّهم نعم قال: فأيكم تطيب نفسه أن يزيله عن مقام أقامه فيه رسول الله ﷺ؟ فقالوا: كلنا لا تطيب نفسه ونستغفر الله»، خرجه أبو عمر وخرج أحمد معناه وفي آخره: «فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر؟ قالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر»، وهذا مما يؤكد الاستدلال بإمامة الصلاة على الخلافة كما قرنا والله أعلم.

ذكر ما روي عن علي رضي الله عنه متضمناً القول بصحة

خلافة أبي بكر متعلقاً في ذلك بسبب من النبي ﷺ

٤٩٨ - عن الحسن قال: قال لي علي بن أبي طالب: «لما قبض رسول الله ﷺ نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي ﷺ قد قدم أبا بكر في الصلاة فرضينا لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لدينا».

٤٩٩ - وعنه قال: قال علي: «قدّم رسول الله ﷺ أبا بكر يصلي بالناس وقد رأى مكاني وما كنت غائباً ولا مريضاً ولو أراد أن يقدمني لقدمني فرضينا لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لدينا».

٥٠٠ - وعن قيس بن عباد قال: قال لي علي بن أبي طالب: «إن رسول الله ﷺ مرض ليالي وأياماً ينادي بالصلاة فيقول: «مروا أبا بكر فليصل بالناس»، فلما قبض رسول الله ﷺ نظرت فإذا الصلاة علم الإسلام وقوام الدين فرضينا لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لدينا فبايعنا أبا بكر» خرجه أبو عمر وخرج معنى الثلاثة ابن السمان في الموافقة وابن خيرون في حديث طويل تقدم في باب الثلاثة عن الحسن البصري.

وهذا مما يؤدي ما ذكرناه من الاستدلال بتقديمه إماماً في الصلاة على الإشارة إلى الخلافة وإن رضاهم به خليفة إنما كان لكونه ﷺ رضيه لإمامة الصلاة.

وقد تقدم في الخصائص في ذكر أفضليته قوله رضي الله عنه: «إن أترككم فإن يرد

أيضاً دعاؤه أبو بكر: «يا خليفة رسول الله» في مواضع شتى.

٥٠١ - وعن سويد قال: دخل أبو سفيان على علي والعباس، فقال لهما: ما بال هذا الأمر في أذل قبيلة من قريش وأقلها؟ والله إن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجلاً ولأورثنها عليه من أقطارها - أي لأصر منها، فقال علي: ما أريد أن نملأها عليه خيلاً ورجلاً ولولا أننا رأيناه أهلاً ما خليناه وإياها يا أبا سفيان المؤمنون قوم نصحة بعضهم لبعض متوادون وإن بعدت ديارهم، والمنافقون غششة بعضهم لبعض وإن قربت ديارهم» خرج ابن السمان في الموافقة بهذا السياق، وهو عند غيره إلى قوله املأها عليه خيلاً ورجلاً.

ذكر ما روي عن أبي عبيدة بن الجراح في هذا الباب

٥٠٢ - عن أبي البخري قال: «قال عمر لأبي عبيدة بن الجراح: ابسط يدك حتى أبايعك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنت أمين هذه الأمة». فقال أبو عبيدة: ما كنت لأتقدم بين يدي رجل أمره رسول الله ﷺ أن يؤمننا فأمننا حتى مات» خرج أحمد وخرجه صاحب «الصفوة».

٥٠٣ - وعن إبراهيم التيمي قال: «لما قبض رسول الله ﷺ أتى عمر أبا عبيدة فقال: ابسط يدك فلا أبايعك، فإنك أمين هذه الأمة على لسان رسول الله ﷺ، قال أبو عبيدة لعمر: ما رأيت لك فهة قبلها منذ أسلمت، تابيعني وفيكم الصديق ثاني اثنين؟».

شرح:

الفهة: السقطة والجهلة ونحو ذلك قال أبو عبيدة: والفهة والفهاهة العي يقال رجل فه وامرأة فهة.

ذكر ما روي عن عبد الله بن مسعود في ذلك

٥٠٤ - عن زر بن حبیش عن ابن مسعود قال: «إن الله تبارك وتعالى نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه، وابتعته برسالته، ثم نظر في قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه ﷺ، يقاتلون عن دينه، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيء، وقد رأى أصحاب رسول الله ﷺ جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر رضي الله عنه»

خرجه ابن السري وهذا من أقوى الأدلة على صحة خلافته رضي الله عنه فإن الإجماع قطعي .

ذكر ما روي عن أبي سعيد في معنى ذلك

٥٠٥ - عن أبي سعيد قال: «قال رسول الله ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخي في الدين وصاحبي في الغار». وإن أبا بكر كان ينزله بمنزلة الوالد وإن أحق ما اقتدينا به بعد رسول الله ﷺ أبو بكر»، وروي عن ابن الزبير نحو ذلك - خرجهما إبراهيم التيمي .

ذكر ما أخبر به النصارى مما يتضمن خلافة أبي بكر

٥٠٦ - عن جبير بن مطعم قال: «لما بعث الله نبيه ﷺ وظهر أمره بمكة خرجت إلى الشام، فلما كنت ببصرى^(١) أتتني جماعة من النصارى فقالوا لي: من الحرم أنت؟ قلت: نعم، قالوا: تعرف هذا الذي تنبأ فيكم؟ قلت: نعم، قال: فأخذوا بيدي فأدخلوني ديراً لهم فيه تماثيل وصور فقالوا لي: انظر هل ترى صورة هذا الذي بعث فيكم؟ فنظرت فلم أر صورته، فقلت: لا أرى صورته، فأدخلوني ديراً أكبر من ذلك فإذا فيه تماثيل وصور أكثر مما في ذلك الدير، فقالوا لي: انظر هل ترى صورته؟ فنظرت فإذا أنا بصفة رسول الله ﷺ وصورته وإذا أنا بصفة أبي بكر وصورته وهو أخذ بعقب النبي ﷺ، فقالوا: هل ترى صفته قلت: نعم فقلت: لا أخبرهم حتى أعرف ما يقولون؟ فقالوا: هو هذا قلت: نعم أشهد أنه هو قالوا أتعرف هذا الذي أخذ بعقبه؟ قلت: نعم قالوا: نشهد أن هذا صاحبكم وأن هذا الخليفة من بعده» خرجه ابن صاعد. فإن قيل: ما ذكرتموه مما أوردتموه في حق أبي بكر واستدلتم به على أنه الخليفة بعد رسول الله ﷺ معارض بما جاء في حق علي بن أبي طالب، وقد وردت أحاديث تدل على أنه الخليفة بعد رسول الله ﷺ.

٥٠٧ - فمنها حديث سعد بن أبي وقاص وابن عباس «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا إنه لا نبي بعدي» أخرجاه. وغيرهما أنه: «لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفة». قال له ذلك، وقد استخلفه لما ذهب ﷺ إلى غزوة تبوك - خرجه أحمد في مسنده والحافظ أبو القاسم الدمشقي في «الموافقات» .

(١) بصرى: مدينة من بلاد الشام. (معجم البلدان: ١/ ٤٤١).

وسياتي مستوفياً في خصائصه من باب مناقبه ووجه الدلالة أن موسى استخلف هارون عند ذهابه إلي ربه فمقتضى النظر بينهما أن يكون خليفته عند ذهابه إلى ربه كما كان هارون من موسى وأن يكون المراد بقوله «لا ينبغي أن أذهب» أي إلى ربي وذلك ظاهر جلي.

٥٠٨ - ومنها حديث «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره»، وفي بعض طرقه «الستم تعلمون أنني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «من كنت مولاه فإن هذا علي مولاه» خرجه أحمد وأبو حاتم والترمذي والبغوي.

وسنذكر الحديث بطرق كثيرة في خصائصه من باب مناقبه إن شاء الله تعالى، وجه الدلالة أن المولى في اللغة المعتق والعتيق وابن العم والعصبة ومنه ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾^(١) وسموا بذلك لأنهم يلونه في النسب من الولي القرب ومنه قول الشاعر:

هم الموالى وإن جنفوا عنا
ولئنا من لقائهم لزور
أي بنو الأعمام والحليف وهو العقيد والجار والناصر، ومنه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾^(٢) في قول ابن عرفة والولي ومنه الآية، قال بعضهم أي: وليهم والقائم بأمرهم وأما الكافر فقد خذله وعاداه.

ومنه أيضاً قوله ﷺ: «أيمنا امرأة نكحت بغير إذن مولاها فتكاحها باطل»، أي وليها ثمانية أوجه، ولا يصح الحمل على شيء من الأربعة الأول إذ لا معنى له في الحديث، وكذلك الخامس إلا على وجه بعيد فإنه يراد بالحليف الناصر والمتبادر إلى الذهن خلافه إذ الحليف من وجدت منه صورة المحالفة حقيقة والمجاز خلاف الظاهر.

وكذلك السادس وهو الجار إلا أن يراد به المجير بمعنى الناصر، ومنه وإني جار لكم أي مجير فيرجع إلى معنى الناصر، فتعين أحد معنيين أما الناصر أو الولي بمعنى المتولي وأياً ما كان أفاد المقصود، إذ معناه من كنت متولياً أمره والناصر في مصلحته والحاكم عليه فعلي في حقه كذلك، ويتأكد هذا المعنى بقوله: «الستم تعلمون أنني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟»، وما ذاك إلا فيما ذكرناه من النظر فيما يصلحهم وفي الاحتكام عليهم، أو يكون معناه من كنت ناصره ومنصفه من ظالمه والآخذ له بحقه وبأثره فعلي

(١) سورة مريم، الآية: ٥.

(٢) سورة محمد، الآية: ١١.

من حقه كذلك وقد تعذر وصفه بذلك في حال حياة المصطفى ﷺ فتعين أن يكون المراد به بعد وفاته .

٥٠٩ - ومنها وهو أقواها سنداً ومتناً حديث عمران بن حصين: «أن علياً مني وأنا منه وهو والي كل مؤمن بعدي» - خرج أحمد والترمذي وقال حسن غريب، وأبو حاتم وحديث بريدة «لا تقع في علي فإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي» - خرج أحمد، والحديث الآخر «من كنت وليه فعلي وليه» - خرج أبو حاتم .

وستأتي هذه الأحاديث مستوفاة في خصائصه إن شاء الله تعالى وجه الدلالة أن الولي في اللغة المولى قاله الفراء والمتولي ومنه ﴿أَنْتَ وَلِيَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾^(١) أي مُتَوَلٍّ أمرِي فيهما وضد العدو بمعنى المحب والمتوالي والناصر ومنه ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾^(٢) أي يخوفكم أنصاره فحذف المفعول الأول كما تقول كسوت ثوباً أعطيت درهماً .

وقيل: معناه نخوفكم بأوليائه فحدد الجار وأعمل الفعل، ولا يتجه حمله على المحب والمتوالي إذ لا يكون التقييد بالبعدية معنى في الحديثين الأولين؛ فإنه رضي الله عنه كان محباً متوالياً للمؤمنين في حياة المصطفى ﷺ وبعد وفاته، والحديث الثالث محمود على الأولين في إرادة البعدية حملاً للمطلق على المقيد، فتعين أحد المعاني الثلاثة وأياً ما كان أفاد المقصود إما بمعنى الناصر فقد تقدم توجيهه في الحديث قبله وإما بمعنى المولى فإن حمل المولى على معنى يتجه في الحديث كما تقدم تقريره بالكلام فيه ما سبق وإن حمل على ما لا يتجه فلا تصح إرادته، وأما بمعنى المتولي فظاهر في المقصود بل صريح والله أعلم .

قلنا الجواب في وجهين :

الأول: أن الأحاديث المعتمد عليها في خلافة أبي بكر متفق على صحتها وهذه الأحاديث غايتها أن تكون حسنة، وإن صح منها شيء عند بعضهم فلا يصح معارضاً لما اتفق عليه .

الثاني: تسليم صحتها مع بيان أنه لا دليل لكم فيها .

قوله في الحديث الأول أن موسى استخلف هارون عند ذهابه إلى ربه إلى آخر ما

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠١ .

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥ .

قرره، قلنا: الجواب عنه من وجهين:

الأول: يقول هذا عدول عن ظاهر ما تعلق به لسان الحال والمقال، فإنه قال لعلني تلك المقالة حين استخلفه لما توجه إلى غزوة تبوك على ما يتضح إن شاء الله تعالى في آخر هذا الكلام، وذلك استخلاف حال الحياة، فلما رأى تألمه بسبب التخلف إما أسفاً على الجهاد أو بسبب ما عرض من أذى المنافقين على ما سنيته إن شاء الله تعالى قال له تلك المقالة إيذاناً له بعلو مكانته منه وشرف منزلته التي أقامه فيها مقام نفسه، فالتنظير بينه وبين هارون إنما كان في استخلاف موسى له منضمّاً إلى الإخوة وشدة الأزر والعُضد به، وكان ذلك كله حال الحياة مع قيام موسى فيما استخلفه فيه، يشهد بذلك صورة الحال، فليكن الحكم في علي كذلك منضمّاً إلى ما يثبت له من إخوة النبي ﷺ وشدة أزره وعضده به، غير أنه لم يشاركه في أمر النبوة كما شارك هارون موسى، فلذلك قال ﷺ: «إلا أنه لا نبي بعدي».

هذا سبيل النظر ولا إشعار في ذلك بما بعد الوفاة لا بنفي ولا بإثبات بل يقول: لو حمل على ما بعد الوفاة لم يصح تنزيل علي من النبي ﷺ منزلة هارون من موسى لانتفاء ذلك في هارون فإنه لم يكن الخليفة من بعد وفاة موسى وإنما كان الخليفة بعد يوشع بن نون فعلم قطعاً أن المراد به الاستخلاف حال الحياة لمكان التشبيه ولم يوجد إلا في حال الحياة. لا يقال: عدم استخلاف موسى هارون بعد وفاته إنما كان لفقد هارون حيثذ ولو كان حياً ما استخلف والله أعلم غيره، بخلاف علي مع النبي ﷺ وإنما يتم دليلكم أن لو كان هارون حياً عند وفاته واستخلف غيره لأننا نقول الكلام معكم في ثنتين: أن المراد بهذا القول الاستخلاف في حال الحياة فكان التنزيل منزلة هارون من موسى ومنزلة هارون من موسى في الاستخلاف لم تحقق إلا في حال الحياة فثبت أن المراد به ما تحقق لا أمر آخر وراء ذلك وإنما يتم متعلقكم منه أن لو حصل استخلاف هارون بعد وفاة موسى، ثم نقول: هب أن المراد الاستخلاف عند الذهاب إلى الرب فلم قلت أن ذلك بالموت وإنما يكون كذلك أن لو لم يكن إلا به وهو ممنوع والذهاب إلى الرب سبحانه في الحياة أيضاً وهل كان ذهاب موسى إلى ربه إلا في حال حياته والصلاة مناجاة والدعاء كذلك، والحجاج والعمار وفد الله، فهل يكون الذهاب إلى شيء من ذلك إلا ذهاباً إلى الرب حقيقة ومطابقتها أوقع من مطابقة الذهاب بالموت.

فكل ذاهب إلى طاعة ربه ذاهب إلى ربه لا به متوجه إليه بها وإن كان في بعض التوجه أوقع منه في غيره هذا لا نزاع فيه، فيكون النبي ﷺ استخلف علياً وهو ذاهب إلى

ربه بالخروج إلى طاعته بالجهاد كما استخلف موسى هارون في حال حياته ذاهباً إلى ربه والله أعلم.

الوجه الثاني: أن سياق هذا القول خبر، ولو كان المراد به ما بعد الوفاة لوقع لا محالة كما وقع، كما أخبر عن وقوعه؛ فإن خبره ﷺ حق وصدق ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١) ولما لم يقع علم قطعاً أنه لم يرد ذلك.

وقوله: «أنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي». المراد به والله أعلم: خليفتي على أهلي فإنه ﷺ لم يستخلف إلا عليهم، والقربة مناسبة لذلك واستخلف ﷺ على المدينة محمد بن مسلم الأنصاري وقيل: سباع بن عرفطة ذكره ابن إسحاق وقال:

٥١٠ - خلف رسول الله ﷺ في غزوة تبوك علياً على أهله وأمره بالإقامة فيهم فأرجف^(٢) المنافقون على علي، وقالوا: ما خلفه إلا استتقلاً قال: فأخذ عليّ سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف فقال: يا نبي الله زعم المنافقون أنك إنما خلفتني لأنك استقلتني وتخففت مني فقال: «كذبوا ولكني خلفتك لما تركت ورائي فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»، أو يكون المعنى إلا وأنت خليفتي في أهلي في هذه القضية على تقديم عموم استخلافه في المدينة إن صح ذلك ويكون ذلك لمعنى اقتضاه في تلك المرة علمه رسول الله ﷺ وجهله غيره يدل عليه أنه ﷺ استخلف غيره في قضايا كثيرة ومرات عديدة أو يكون المعنى الذي تقتضيه: حالك وأمرك ألا أذهب في جهة إلا وأنت خليفتي لأنك مني بمنزلة هارون من موسى لمكان قربك مني وأخذك عني لكن قد يكون شخوصك معي في وقت أنفع لي من استخلافك أو يكون الحال يقتضي أن المصلحة في استخلاف غيرك فيتخلف حكم الاستخلاف عن مقتضيه لمعارض أقوى منه يقتضي خلافه وليس في شيء من ذلك كله ما يدل على أنه الخليفة من بعد موته ﷺ.

وأما الحديث الثاني: فقوله فيه فتعين أحد معنيين إما الناصر وإما الولي بمعنى المتولي فيقول بموجبه لا بالتقدير الذي قدره والمعنى الذي نزلوه عليه بل يكون التقدير على معنى الناصر من كنت ناصره فعلي ناصره لأن علياً جلاً من الكروب في الحروب ما لم يجلبها غيره وفتح الله على يديه في زمنه ﷺ ما لم يفتح على يد غيره وشهرة ذلك تغني عن الاستدلال عليه والتطويل فيه.

(١) سورة النجم، الآية: ٣-٤

(٢) أرجف: تحرك واضطرب اضطراباً شديداً.

وإذا كان بهذه المثابة كان ناصره من كان النبي ﷺ ناصره: لما أشاد الله تعالى به من دعائم الإسلام المثبتة له بها منه في عنق الخاص والعام بنصرة المسلمين وإشادته منار الدين أو يكون المعنى من كنت ناصره فعلى علي نصره وإن كان ذلك واجباً على كل أحد من الصحابة بل من الأمة. لكن أثبت بذلك لعلي نوع اختصاص لأنه أقربهم إليه وأولاهم بالانتصار لمن نصره وهذا أولى من حمل الناصر على المعنى الذي ذكره لما يستلزم ذلك من المفسدة العظيمة والوصمة الفظيعة والثلمة^(١) المتفاقمة في جلة أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار على ما سنقره في الجواب عن الحديث الثالث مما يدل على أنه لا يجوز حمله على معنى الاستخلاف بعده.

وأما على معنى المتولي فيكون التقدير، فعلي وليه ومتولي أمره بعدي، فلا يصح ذلك إذ الإجماع منعقد على أنه لم يرد ذلك في الحالة الراهنة فيكون كالحديث الثالث وسيأتي الكلام عنه مستوفياً إن شاء الله تعالى.

على أننا نقول لم لا يجوز أن يكون المراد بالولي المنعم استعارة من مولى العتق التفاتاً إلى المعنى المتقدم آنفاً في معنى الناصر ويكون التقدير من أنعم الله عليه بالهداية على يد نبيه إلى الإسلام والإيمان حتى اتصف النبي ﷺ بأنه مولاه، فقد أنعم الله عليه أيضاً باستقامة أمر دينه وأمانه من أعداء الدين وخذلانهم وقوة الإسلام وإشادة دعائمه على يد علي بن أبي طالب مما اختص به دون غيره مما تقدم بيانه ما يصحح بيانه له الاتصاف بأنه مولى له أيضاً.

وقد حكى الهروي عن أبي العباس أن معنى الحديث «من أحبني وتولاني فليحب علياً وليتوله» وفيه عندي بعد إذ كان قياسه على هذا التقدير أن يقول: من كان مولاي فهو مولى علي ويكون المولى بمعنى الولي ضد العدو، فلما كان الإسناد في اللفظ على العكس من ذلك بعد هذا المعنى ولو قال معناه من كنت أتولاه وأحبه فعلي يتولاه ويحبه، كان أنسب للفظ الحديث وهو ظاهر لمن تأمله، نعم يتجه ما ذكره من وجه آخر بتقدير حذف في الكلام على وجه الاختصار تقديره من كنت مولاه فسيبيل المولى وحقه أن يحب ويتولى فعلي أيضاً مولاه لقربه مني ومكانته من تأييد الإسلام فليحبه وليتوله كذلك.

وأما الحديث الثالث فقوله: فتعين حمل الولي ما على الناصر المتولي إلى آخر ما

(١) الثلمة: الفجوة، يقال: ثلم الجدار: أحدث فيه شقاً.

قرر، قلنا الجواب عنه من وجهين:

الأول: القول بالموجب على المعنيين من البيان بأنه لا دليل فيه لكم، أما على معنى الناصر فلما بيناه في الحديث قبله، وأما بمعنى المتولي فقد كان ذلك وإن كان بعد من كان بعده إذ يصدق عليه بعده حقيقة ومثل هذا وقد ورد.

وسياتي في مناقب عثمان أن النبي ﷺ رأى في منامه حورية فقال لها: «لمن أنت؟»، قالت للخليفة من بعدك عثمان، ويكون فائدة ذكر ذلك التنبيه على فضيلته والأمر بالتمرن على محبته فإنه سيلبي عليكم ويتولى أمركم، ومن تتوقع أمرته فالأولى أن يمرن القلب على مودته ومحبه ومجانبة بغضه ليكون أدعى إلى الانقياد وأسرع للطوعية وأبعد من الخلف.

ويشهد لذلك أن هذا القول صدر حين وقع فيه من وقع وأظهر بغضه من أظهر على ما تضمنه الحديث، وسياتي في خصائصه أيضاً، فأراد نفي ذلك عنهم والتمرن على خلافته لحاجتهم إليه وحاجته إليهم، ولا يجوز حمله على أنه المتولي عقيب وفاته ﷺ في الأحاديث كلها لوجوه:

الأول: أن لفظ الحديث لفظ الخبر لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، ولو كان المراد به ذلك لوقع لا محالة كما وقع كل ما أخبر عنه، ولما لم يقع ذلك دل على أن المراد به غيره، لا يقال لم لا يجوز أن يكون المراد بلفظ الخبر لأننا نجيب عليه من وجهين:

الأول: أنه صرف اللفظ عن ظاهره وذلك مرجوح^(١) والظاهر راجح فوجب العمل به.

الثاني: أن ذلك أمر عظيم مهم في الدين وحكم تتوفر عليه داعية المسلمين ومثل ذلك لا يكتفى فيه بالألفاظ المحتملة بل يجب فيه التصريح بنص أو ظاهر الوجه.

الثاني: أنه يشم من الحمل على ذلك مفسدة عظيمة، وهو نسبة الأمة إلى الاجتماع على الضلالة واعتقاد خطأ جميع الصحابة على تولية أبي بكر رضي الله عنه وعنهم، وأن علماً وافقهم على ذلك الخطأ، فإن بيعته قد اجتمع عليها ما سنقره في فصل خلافته وذلك منفي بقوله ﷺ: «لا تجتمع أمتي على ضلالة». وما ذكرناه في المصير إليه دفع

(١) الراجح: ما ترجح وجوده على عدمه أو صدقه على كذبه والمرجوح: عكس الراجح.

لهذا المحذور ونفي للظلم أو الخطأ عن الجرم الغفير المشهود لهم بأنهم كالنجوم وأن من اقتدى بهم اهتدى، خصوصاً من أمره ﷺ بالاقتداء به من بعده، وشهد بالرشد لمن أطاعه، وأن الدين يتم به على ما سبق مما تضمنه باب أبي بكر وعمر.

وما تدعيه الرافضية من أن علياً ومن تابعه من بني هاشم في ترك المبادرة إلى بيعة أبي بكر، إنما بايعوه تقيّة^(١) بلا إجماع في نفس الأمر، فذلك في غاية الفساد، وسنقرره ونجيب عنه على الوجه الأسدّ في ذكر بيعة علي إن شاء الله من هذا الفصل الثالث أن الأحاديث المتقدمة في أبي بكر دلت على أنه الخليفة عقيب وفاته ﷺ وقد بيّنا وجه دلالتها على ما تقدم، وأحاديث علي مترددة بين احتمالين في الحمل على أحدهما توفيق بين الأحاديث كلها ونفي للمحذور اللازم في حق الصحابة كما قررناه، وفي الحمل على الآخر إلغاء لبعضها وتقرير لذلك المحذور؛ فكان الحمل على ما يحصل به التوفيق ونفي المحذور أولى عملاً بالأحاديث كلها، وكيف يتطرق خلاف ذلك إلى الوهم؟

وقد روي عن علي وغيره من الصحابة رضوان الله عليهم ما يشهد بصحته على ما تقدم تقريره وتباعد الأفهام عند سماعه إلى أنه مانع من تطرق تلك الأوهام، أم كيف يحل اعتقاد خلاف ذلك والإجماع على خلافه وهو قطعي والله أعلم.

الوجه الثاني من الوجهين في الجواب: أنه لا يجوز أن يكون الولي هنا بمعنى المحب المتوالي ضد العدو، والتقدير: وهو متواليكم ومحبكم بعدي، ويكون المراد بالبعدي ههنا في الرتبة لا بعد وفاته ﷺ أي: أنا المتقدم في توالي المسلمين ومحبتهم بذلك الاعتبار المتقدم، ثم علي بعدي في الدرجة الثانية لمكانته مني وقربه ومناسبته، فهو أولى بمحبة من أحبه، ونصرة من أنصره وإجارة من أجيره والله أعلم.

ذكر أنه ﷺ لم يعهد في الخلافة بعهد ولم ينص فيها على أحد بعينه

وقد تقدم حديث حذيفة في باب الشيخين وأحاديث علي أيضاً في ذلك.

٥١١ - وعن طلحة بن مصرف قال: «قلت لعبد الله بن أبي أوفى أوصى رسول الله ﷺ قال: لا قلت: وكيف أمر المسلمين بالوصية؟ قال: أوصى بكتاب الله».

(١) التقيّة: الخشية والخوف، وعند الشيعة إخفاء الحق ومصانعة الناس في غير دولتهم.

٥١٢ - قال طلحة: قال الهزيل بن شرحبيل: أبو بكر يتأمر على وصي رسول الله ﷺ ود أبو بكر أنه وجد عهداً وخزم^(١) أنفه بخزام، وقول عمر: «وإن أترككم فقد ترككم من هو خير مني رسول الله ﷺ»، دليل أيضاً على عدم العهد في ذلك.

٥١٣ - وعن فطر عن شيخ من بني هاشم قال: قال رجل لعلي لما قبض رسول الله ﷺ: اخرج يا علي فأخبر الناس أن النبي ﷺ جعل الخلافة فينا فلا تخرج منا أبداً، فقال: «لا والله ما كذبت عليه حياً أفأكذب عليه ميتاً».

٥١٤ - وعن ابن عباس أن العباس أخذ بيد علي وقال له: «ألا ترى أنك بعد ثلاث عبد العصي والله لأرى رسول الله ﷺ سيتوفى في وجعه هذا، وإني لأعرف الموت في وجوه بني عبد المطلب، فاذهب إلى رسول الله ﷺ فاسأله فيمن يكون هذا الأمر؟ فإن كان فينا علمنا ذلك وإن كان في غيرنا أمرناه وأوصى بنا»، فقال علي: «والله إن سألتها رسول الله ﷺ فمنعناها لا يعطيناها الناس أبداً».

٥١٥ - وعن علي رضي الله عنه أنه قال: «إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا عهداً نأخذ به في الإمارة ولكنه شيء رأيناه من قبل أنفسنا فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأ فمن قبل أنفسنا ثم استخلف أبو بكر فأقام واستقام ثم استخلف عمر فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجراحه».

وقد تقدم هذا في باب الشخين وسيأتي في مقتل علي أنهم قالوا له: استخلف فقال: «لا ولكن أكلكم إلى من وكلكم رسول الله ﷺ» وإذا ثبت أنه لم يستخلف كان ما ذكرناه في حق أبي بكر من تقديمه للصلاة وما في معناه تنبيهاً لا عهداً.

ذكر بيعة أبي بكر وما يتعلق بها

٥١٦ - حكى الواقدي أن أبا بكر بويع بالخلافة يوم قبض رسول الله ﷺ يوم الاثنين لست عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة، وقال ابن قتيبة وأبو عمر: بويع بالخلافة يوم قبض رسول الله ﷺ في سقيفة بني ساعدة وبويع بيعة العامة على المنبر يوم الثالث من غد ذلك اليوم، قال أبو عمر: وتخلف عن بيعته سعد بن عبادة وطائفة من الخزرج وفرقة من قريش ثم بايعوه بعد غير سعد، وقيل: إنه لم يتخلف عنه

(١) خزم أنف فلان: أذله وسخره.

أحد من قریش يومئذ، وقيل: تخلف عنه علي والزبير وطلحة وخالد بن العاص ثم بايعوه بعد، ثم لم يزل علي سامعاً مطيعاً له يشني عليه ويفضله.

٥١٧ - قال ابن قتيبة: وارتدت العرب إلا القليل منهم بمنع الزكاة فجاهدهم حتى استقاموا وبعث عمر على الحج فحج بالناس سنة إحدى عشرة وفتح اليمامة وقتل ميلمة الكذاب والأسود العنسي بصنعاء^(١) وقاتل جموع أهل الردة إلى أن رجعوا إلى دين الله تعالى، وقد أفردنا لقتال أهل الردة تأليفاً مختصراً وحج بالناس أبو بكر سنة اثنتي عشرة ثم صدر إلى المدينة وبعث الجيوش إلى الشام والعراق.

٥١٨ - وذكر صاحب «الصفوة» أنه اعتمر في رجب سنة اثنتي عشرة فدخل مكة ضحوة وأتى منزله وأبو قحافة جالس على باب داره ومعه فتیان يحدثهم فقليل له: هذا ابنك فنهض قائماً وعجل أبو بكر أن ينيخ راحلته فتزل عنها وهي قائمة فجعل يقول: «يا أبت لا تقم»، ثم التزمه وقبل بين عيني أبي قحافة وجعل أبو قحافة يبكي فرحاً بقدومه، وجاءوا إلى مكة عتاب بن أسيد وسهيل بن عمرو وعقبة بن عكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام فسلموا عليه: سلام عليك يا خليفة رسول الله ﷺ، وصافحوه جميعاً فجعل أبو بكر يبكي حين يذكرون رسول الله ﷺ، ثم سلموا على أبي قحافة فقال أبو قحافة: يا عتيق هؤلاء الملاء فأحسن صحبتهم فقال أبو بكر: «يا أبت لا حول ولا قوة إلا بالله طوقت عظيماً من الأمر لا قوة لي به ولا يدان^(٢) إلا بالله»، وقال: «هل أحد يشتكي ظلامه؟» فما أتاه أحد وأثنى الناس على واليهم.

شرح:

الملاء: الجماعة ويطلق على أشراف القوم لأنهم يحملون القلب والعين وكان حاجبه سديفاً مولاه وكاتبه عثمان بن عفان وعبد الله بن الأرقم، وكان نقش خاتمه: «عبد ذليل لرب جليل»، قاله ابن عباس وأكثر المؤرخين على أن نقش خاتمه «نعم القادر الله»، وعليه قول الزبير بن بكار وغيره من المتقدمين، وهذا الخاتم لم يعد أبو بكر يطبع به إنما كان يطبع بخاتم رسول الله ﷺ.

٥١٩ - وعن ابن عمر: «قال اتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من ورق فكان في يده ثم كان في يد أبي بكر ثم كان في يد عمر ثم في يد عثمان حتى وقع في بئر أريس، نقشه: «محمد رسول الله». وفي رواية وقال: «لا ينقش أحد على نقش خاتمي» - أخرجاه وفي

(١) صنعاء: مدينة باليمن بينها وبين عدن ٦٨ ميل. (معجم البلدان: ٣/٤٢٥).

(٢) دان: خضع وذل.

بعض الطرق من حديث الأنصاري: محمد سطر ورسول سطر والله سطر.

٥٢٠ - وعن أنس قال: كان خاتم النبي ﷺ في يده ثم في يد أبي بكر ثم في يد عمر، فلما كان عثمان جلس على بئر أريس، وأخرج الخاتم فجعل يعبث به فسقط قال فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان ننزح البئر فلم نجده - أخرجه .

شرح:

الوَرَق: الدراهم المضروبة وكذا الرقة مخففاً والهاء بدل من الواو فقد اختلف في هذا الخاتم هل أمر النبي ﷺ باتخاذها واصطناعه وعليه دل ظاهر هذا الخبر وغيره أو اصطنعه أحد الصحابة لنفسه فرآه النبي ﷺ وأمر أن لا ينقش عليه واتخذ لنفسه، وعليه دل بعض الآثار والله أعلم.

ذكر بيعة السقيفة وما جرى فيها

٥٢١ - عن ابن عباس: أن عمر قام على المنبر فقال: «لا يغترون امرؤ أن يقول إن بيعة أبي بكر كانت فلتة ألا وإنها كانت كذلك ألا وإن الله وفي شرها وليس فيكم اليوم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر، وإنه كان من خيرنا حين توفي رسول الله ﷺ».

إن علياً والزبير ومن كان معهما تخلفوا في بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ وتخلفت عنا الأنصار بأجمعها، في سقيفة بني ساعدة فاجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت له: يا أبا بكر! انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار، فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا رجلاً صالحاً فذكرنا لنا الذي صنع القوم، فقال! أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلت: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار؟ فقالوا: لا عليكم ألا تقربوهم واقضوا أمركم يا معشر المهاجرين، فقلت: والله لنايتهم، فانطلقنا، حتى جئناهم في سقيفة بني ساعدة فإذا هم مجتمعون وإذا بين ظهرانيهم رجل مزمل فقلت: من هذا؟ قالوا: سعد بن عباد، فقلت: ما له؟ قالوا: وجيع، فلما جلسنا قام خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله، وقال: أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا، وقد دفت دافة منكم تريدون أن تختزلونا من أصلنا، وتحضنونا من الأمر، فلما سكت أردت أن أتكلم، وكنت قد زورت مقالة أعجبتني أريد أن أقولها بين يدي أبي بكر، وقد كنت أداري منه بعض الجمد وهو كان أحلم وأوقر، فقال أبو بكر: على رسلك، فكرهت أن أغضبه، وكان أعلم مني وأوقر، والله ما ترك كلمة أعجبتني في تزويري إلا قالها في يديته، وأفضل حتى سكت فقال: «أما بعد فما ذكرتم من خير فأنتم أهله ولن تعرف العرب هذا

الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضى لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم»، وأخذ بيدي ويد أبي عبيدة بن الجراح، فلم أكره مما قال غيرها، وكان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك إلى إثم أحب إليّ أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر إلى أن تغير نفسي عند الموت.

فقال قائل من الأنصار: أنا جديليها المحكك وعذيقها المرجب منا أمير ومنكم أمير قال: فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى خشنا الخلاف فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار، ونزونا على سعد بن عباد فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عباد، قال: فقلت: قتل الله سعد بن عباد قال مالك: فأخبرني ابن شهاب، عن عروة بن الزبير أن الرجلين اللذين لقياهما عويم بن ساعدة ومعن بن عدي قال ابن شهاب، وأخبرني سعيد بن المسيب: أن الذي قال: أنا جديليها المحكك وعذيقها المرجب الحباب بن المنذر - أخرجه.

٥٢٢ - وفي رواية لما كان يوم الجمعة عجلت بالرواح حتى زاغت الشمس حتى أجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالساً إلى ركن المنبر فجلست حذوه تمس ركبتي ركبتة فلم أنشب أن أخرج عمر فجلس على المنبر فلما سكت المؤذن قام فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: «أما بعد فإني قائل لكم مقالة قد قدر لي أن أقولها لا أدري لعلها بين يدي أجلي، فمن عقلها ووعاها فليحدث بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشي أن لا يعقلها فلا أحل لأحد أن يكذب علي» ثم ذكر ما تقدم بتقديم بعض اللفظ وتأخير بعض. أخرجه.

٥٢٣ - وفي رواية لما قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير قال عمر بن الخطاب: «من له مثل هذه الثلاث: ﴿ثَانِيَا اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخَزنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(١) قال ثم بسط يده فبايعه الناس بيعة حسنة جميلة - خرج الترمذي في «الشمال» في وفاة النبي ﷺ، وخرج أبو حاتم معنى المتفق عليه وقال بعد قوله: منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: «لا ولكننا الأمراء وأنتم الوزراء هم أوسط العرب داراً وأعزهم احتساباً فبايعوا عمر وأبا عبيدة»، فقال عمر: بل نبايعك أنت فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس.

٥٢٤ - وقال ابن إسحق لما قبض رسول الله ﷺ انحاز هذا الحي من الأنصار إلى سعد بن عباد في سقيفة بني ساعدة واعتزل علي بن أبي طالب والزبير بن العوام

وطلحة بن عبيد الله في بيت فاطمة؛ وانحاز بقية المهاجرين إلى أبي بكر وانحاز معهم أسيد بن حضير في بني عبد الأشهل، فأتى آت إلى أبي بكر وعمر فقال: إن هذا الحي من الأنصار مع سعد بن عباد في سقيفة بني ساعدة قد انحازوا إليه، فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا الناس قبل أن يتفاهم أمرهم ورسول الله ﷺ في بيته لم يفرغ من أمره قد أغلق دونه الباب أهله.

قال عمر: فقلت لأبي بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار حتى ننظر ما هم عليه ثم ذكر معنى حديث ابن عباس، وقال موسى بن عقبة قال ابن شهاب: فبينما هم يحتفرون والله أعلم قبر رسول الله ﷺ أقبل رجل ففرع الباب ونادى عمر بن الخطاب، فقال عمر: إنا مشاغل فما حاجتك؟ قال الرجل: إنه لا بد لك من القيام وسترجع إن شاء الله تعالى، فقام إليه عمر، فقال له: إن هذا الحي من الأنصار هم قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ومعهم سعد بن عباد وناس من أشrafهم يقولون: منا أمير ومن المهاجرين أمير وقد خشيت أن تهيج فتنة فانظر يا عمر واذكر لإخوانك واحتالوا حيلتكم فإني أنظر إلى باب فتنة إن لم يغلقه الله عز وجل. ففزع عمر وراعه ذلك، ثم خرج هو وأبو بكر مسرعين إلي بني ساعدة وتركوا نفرًا من المهاجرين فيهم علي بن أبي طالب والفضل بن العباس وهم أقاربه وهم ولوا شأنه وغسله وتكفينه، وانطلق أبو بكر وعمر فلحقا أبا عبيدة فانطلقوا جميعاً حتى دخلوا سقيفة بني ساعدة وفيها رجال من أشraf الأنصار وسعد بن عباد مضطجع بين أظهرهم يوعك ثم ذكر بمعنى حديث ابن عباس.

٥٢٥ - وذكر موسى بن عقبة، عن ابن شهاب أن أبا بكر يوم السقيفة تشهد وأنصت القوم فقال: «بعث الله نبيه بالهدى ودين الحق فدعا رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأخذ الله بقلوبنا ونواصينا إلى ما دعا إليه فكنا معشر المهاجرين أول الناس إسلاماً ونحن عشيرته وأقاربه وذوو رحمه، ونحن أهل الخلافة وأوسط الناس أنساباً في العرب، ولدتنا العرب كلها، فليس منهم قبيلة إلا لقريش فيها ولادة ولن تصلح إلا لرجل من قريش هم أصبح الناس وجوهاً، وأسلطهم ألسنة، وأفضلهم قولاً، فالناس لقريش تبع فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، وأنتم يا معشر الأنصار إخواننا في كتاب الله، وشركاؤنا في دين الله تعالى، وأحب الناس إلينا وأنتم الذين آووا ونصروا، وأنتم أحق الناس بالرضا بقضاء الله تعالى والتسليم لفضيلة إخوانكم من المهاجرين وأحق الناس أن لا تحسدوهم على خير آتاهم الله إياه وأنا أدعوكم إلى أحد رجلين»، ثم ذكر معنى ما قبله من حديث ابن عباس ثم قال: فقالت الأنصار: والله ما نحسدكم على خير ساقه الله إليكم وما أحد من خلق الله تعالى أحب إلينا ولا أعز علينا ولا أرضى عندنا منكم ونحن نشفق مما بعد اليوم فلو

جعلتم اليوم رجلاً منكم فإذا هلك اخترنا رجلاً من الأنصار فجعلناه مكانه كذلك أبداً وكان ذلك أجدر أن يشفق القرشي إن زاغ^(١) أن ينقض عليه الأنصاري وأن يشفق الأنصاري إن زاغ أن ينقض عليه القرشي فقال عمر: «لا ينبغي هذا الأمر ولا يصح إلا لرجل من قريش ولن ترضى العرب إلا به ولن تعرف الإمارة إلا له والله ما يخالفنا أحد إلا قتلناه».

فقام حباب بن المنذر الصلمي: فقال منا أمير ومنكم أمير أنا جديليها المحكك وعذيقها المرجب وقد دفت علينا دافة أرادوا أن يختزلونا من أصلنا ويحضنونا من الأمر وإن شئتم كررناها جذعة.

قال: فكثر القول حتى كاد أن يكون بينهم في السقيفة حرب وتوعد بعضهم بعضاً ثم تراد المسلمون وعصم الله لهم دينهم فرجعوا بقول حسن فسلموا الأمر وأغضبوا الشيطان فوثب عمر وأخذ بيد أبي بكر وقام أسيد بن الحضير أخو بني عبد الأشهل وبشير بن سعد يسبقان لبياعا فسبقهما عمر وبإيعاه معاً ووثب أهل السقيفة يبتدرون البيعة وسعد بن عباد مضطجع يوعك فازدحم الناس على بيعة أبي بكر فقال قائل من الأنصار: اتقوا سعد بن عباد ولا تطؤوه فقال عمر: «اقتلوه قتله الله» وقال عمر ذلك بغضب.

فلما فرغ أبو بكر من البيعة رجع إلى المسجد فقعده على المنبر فبايعه الناس حتى أمسى وشغلوا عن دفن رسول الله ﷺ حتى كان آخر الليل من ليلة الثلاثاء ثم ذكر حديث دفنه والصلاة عليه ﷺ.

شرح:

الفتنة: ما وقع عاجلاً من غير تروٍ ولا تدبير في الأمر ولا احتيال فيه وكذلك كانت بيعة أبي بكر رضي الله عنه كأنهم استعجلوا خوف الفتنة، وإنما قال عمر ذلك لأن مثلها من الوقائع العظيمة التي لا ينبغي للمقلد التروي في عقدها لعظم المتعلق بها فلا تبرم فتنة من غير اجتماع أهل العقد والحل من كل قاصٍ ودان لتطيب الأنفس ولا تحمل من لم يدع إليها نفسه على المخالفة والمنازعة وإرادة الفتنة لا سيما أشرف الناس وسادات العرب فلما وقعت بيعة أبي بكر على خلاف ذلك قال عمر ما قال، ثم إن الله وقى شرها فإن المعهود في وقوع مثلها في الوجود كثرة الفتن ووقوع العداوة والإحن فلذلك قال عمر «وقى الله شرها».

متزمل: ملثف بثوب أو كساء ومنه ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمِلُ﴾^(٢).

(١) زاغ: مال عن القصد.

(٢) سورة المزمل، الآية: ١.

والكتيبة: الجيش تقول منه كتب فلان الكتاب تكتيباً أي عبارة كتيبة كتيبة.

رھط منا: أراد أنكم جماعة منا، ورھط الرجل قومه وقبيلته، والرھط ما دون العشرة من الرجال لا يكون معهم امرأة، وليس مراداً هنا قال تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾^(١)، وليس لهم واحد من لفظهم مثل ذود، والجمع رھط وأرهاط وأراھط وأراھيط.

دفت دافة: هو من الدفيف يعني الدبيب، تقول دفت علينا من بني فلان دافة أي جماعة ودون الجيش إذا زحف - يختزلونا: أي يقطعوننا والاختزال الاقتطاع.

ويحضنونا من الأمر: أي يضموننا عنه كأنهم أخذونا إلى حضنهم وهو ما دون الإبط إلى الكشح - وزورت في نفسي مقالة: أي حنتها وقومتها، وتزوير الشيء تحينه - أداري: أدافع والحد والحدة بمعنى بديته أي إتيانه بالكلام فجأة من غير فكرة ولا روية والبدهاة بمعناه.

أوسط العرب نسباً: أعدلهم وأشرفهم - والجديل: تصغير الجذل وهو عود ينصب للإبل الجرباء. لتحك به فأراد أن يستفي برأي.

والعذيق: تصغير عذق وهو النخلة.

والترجيب: أن تدعم النخلة إذا كثر حملها، ومبادرة أبي بكر وعمر إلى البيعة على ما تضمنه حديث ابن إسحاق وموسى بن عقبة إنما كان مراعاة لمصلحة المسلمين وخشية اضطراب أمر الأمة وافتراق كلمتهم لا حرصاً على الإمامة.

وقد صرح بذلك أبو بكر في خطبه على ما سيأتي في الذكر بعده ولذلك دل في البيعة على غيره وخشي أن يخرج الأمر عن قريش فلا تدين العرب لمن يقوم به من غير قريش فيتطرق الفساد إلى أمر الأمة ولم يحضر معه في السقيفة من قريش غير عمر وأبي عبيدة فلذلك دل عليهما ولم يمكنه ذكر غيرهما ممن كان غائباً خشية أن يفرقوا عن ذلك المجلس من غير إبرام أمر ولا إحكامه فيفوت المقصود، ولو وعدوا بالطاعة لمن غاب منهم حيثئذ ما أمنهم على تسويل أنفسهم إلى الرجوع عن ذلك فكان من النظر المسديد والأمر الرشيد مبادرته وعقد البيعة والتوثق منهم فيها في حالته الراهنة.

وذلك مما يرضي رسول الله ﷺ ويراها من أهم المطالب ويصوب المبادرة إليه ويقدمه على تجهيزه فإنه ﷺ ما زال شقيقاً على أمته رحيماً بهم، مؤثراً لهم على نفسه حال حياته فناسب أن يكون كذلك بعد وفاته مع أنهم لم يبادروا إلى ذلك حتى علموا أن من قد تركوه عنده ﷺ من أهله كافياً في ذلك فأروا الجمع بين الأمرين وباشروا منهما ما كان ﷺ كلفاً مهتماً به، مراعاة لمحابه وإيثاراً لما كان مؤثره ﷺ.

٥٢٦ - وعن أبي سعيد الخدري قال: «لما توفي رسول الله ﷺ قامت خطباء الأنصار فجعل الرجل منهم يقول يا معشر المهاجرين إن رسول الله ﷺ كان إذا استعمل رجلاً منكم قرن معه رجلاً منا فنرى أن يلي هذا الأمر رجلان أحدهما منكم والآخر منا فتتابع خطباء الأنصار على ذلك فقام زيد بن ثابت فقال: إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين وإن الإمام إنما هو من المهاجرين ونحن أنصاره كما كنا أنصار النبي ﷺ قال فقام أبو بكر فقال: جزاكم الله من حي خيراً يا معشر الأنصار ثبت الله مقاتلكم أما والله لو نعلم غير ذلك لما صالحناكم» خرجه في فضائل أبي بكر وقال حديث حسن.

ذكر بيعة العامة

٥٢٧ - عن أنس بن مالك قال: «لما كان يوم الاثنين كشف رسول الله ﷺ ستر الحجرة فرأى أبا بكر يصلي بالناس قال: فنظرت إلى وجهه كأنه ورقة مصحف وهو يتسم فكنا أن نفتن في صلاتنا فرحاً برؤية رسول الله ﷺ ثم أرخى الستر وتوفي من يومه ذلك، فقام عمر الغد من يوم توفي رسول الله ﷺ على المنبر فتشهد وأبو بكر صامت لا يتكلم ثم قال: «إن يكن محمد قد مات فإن الله عز وجل قد جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به فاعتصموا به تهتدوا لما هدى الله محمداً ﷺ ثم إن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ وثاني اثنين وإنه أولى الناس بأمركم فقوموا فبايعوه»، وكانت طائفة منهم قد بايعوا قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة وكانت بيعة العامة على المنبر» خرجه أبو حاتم.

٥٢٨ - وخرجه ابن إسحاق عن أنس ولفظه: «لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان من الغد جلس أبو بكر على المنبر فقام عمر فتكلم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أيها الناس إني قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت ولا وجدتها في كتاب الله عز وجل ولا كانت عهداً عهدته إلي رسول الله ﷺ ولكني قد كنت أرى رسول الله ﷺ سيدبرنا أي يكون آخرنا وإن الله قد أبقي فيكم كتابه الذي به هدى رسول الله ﷺ فإن اعتصمتم به هداكم لما كان هداه له، وأن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ وثاني اثنين إذ هما في الغار وأولى الناس بأمركم فبايعوه، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة، ثم تكلم أبو بكر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: أما بعد - أيها الناس فإني وليت عليكم ولست بخيركم فإذا أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف منكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه

إن شاء الله تعالى، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله تعالى، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله».

وهذا الذي خرج به ابن إسحاق بهذا السياق هو عند البخاري منقطع ومعناه مستوفٍ وهذا مغاير لما تقدم عن موسى بن عقبة أن البيعة في المسجد كانت في يوم الوفاة قبل الدفن ولعل البيعة على المنبر في المسجد تكررت أو كان قد بقي من لا يبايع في يوم الوفاة فجلس لهم صبيحة اليوم الثاني فبايعوه من غير أن يكون بينهما تضاد.

٥٢٩ - قال ابن شهاب: وغضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر منهم علي بن أبي طالب والزبير فدخلوا بيت فاطمة معهما السلاح فجاءهما عمر بن الخطاب في عصابة من المسلمين منهم أسيد بن حضير وسلمة بن سلامة بن وقش وهما من بني عبد الأشهل ويقال منهم ثابت بن قيس بن شماس من بني الخزرج فأخذ أحدهم سيف الزبير فضرب به الحجر حتى كسره ويقال إنه كان فيهم عبد الرحمن بن عوف ومحمد بن مسلمة وإن محمد بن مسلمة هو الذي كسر سيف الزبير والله أعلم. خرج موسى بن عقبة، وهذا محمول على تقدير صحته على تسكين نار الفتنة وإغماذ سيفها لا على قصد إهانة الزبير، وتخلف عن بيعة أبي بكر يومئذ سعد بن عبادة في طائفة من الخزرج وعلي بن أبي طالب وابناه والعباس عم رسول الله ﷺ وبنوه في بني هاشم والزبير وطلحة وسلمان وعمار وأبو ذر والمقداد وغيرهم من المهاجرين وخالد بن سعيد بن العاص، ثم إنهم بايعوا كلهم فمنهم من أسرع ببيعته ومنهم من تأخر حيناً إلا ما روي عن سعد بن عبادة فإنهم قالوا أدركته المنية قبل البيعة، ويقال قتلته الجن، وقصته مشهورة عند أهل التاريخ، وعلى الجملة لا خلاف بين طوائف المسلمين إلا أن أبا بكر توفي يوم توفي ولا مخالف عليه من أهل الإسلام طوعاً أو كرهاً، كما أن رسول الله ﷺ توفي يوم توفي وقد قامت حجة التبليغ وبلغ ذلك القاضي والداني وقامت كلمة الشهادتين طوعاً وكرهاً.

٥٣٠ - وقال أبو عبيد في كتاب «الأحاديث» بايع أبا بكر جميع الأنصار غير سعد بن عبادة وقد كانت الأنصار أرادت أن تجعل البيعة له فقال عمر: لا ندعه حتى يبايع له بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير وكان أول من صفق بيد أبي بكر ولعله أراد من الأنصار توفيقاً بينه وبين حديث ابن عباس في أن أول من بايع عمر ثم المهاجرون ثم الأنصار فقال بشير: إنه ليس بمبايعكم حتى يقتل وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده

وأهل بيته وطائفة من عشيرته فإن تركتموه فليس تركه بضائركم إنما هو واحد فقبل أبو بكر نصيحة بشير ومشورته فكف عن سعد قال: وكان سعد لا يصلي بصلاتهم ولا يصوم بصيامهم وإذا حج لم يفض بإفاضتهم فلم يزل كذلك حتى توفي أبو بكر وولي عمر فلم يلبث إلا يسيراً حتى خرج مجاهداً إلى الشام فمات بحوران^(١) في أول خلافة عمر ولم يبايع أحداً وهذا لا يقدح فيما تقدم ذكره من دعوى الاجتماع بل نقول خلاف الواحد مع ظهور العناد والحمية^(٢) الجاهلية لا يعد خلافاً بنتقض به الإجماع والله أعلم.

٥٣١ - قال ابن شهاب ولما بويح لأبي بكر قام فخطب الناس واعتذر إليهم وقال: «والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة قط ولا كنت فيها راغباً ولا سألتها الله في سر ولا علانية ولكنني أشفقت من الفتنة وما لي في الإمارة من راحة ولقد قلت أمراً عظيماً ما لي به طاقة ولا يدان إلا بتقوية الله عز وجل ولوددت أن أقوى الناس عليها مكاني اليوم» فقبل المهاجرون منه ما قال وما اعتذر به وقال علي والزبير: «ما غضبنا إلا أن أخرنا عن المشورة وإن أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله ﷺ وإنه لصاحب الغار وثاني اثنين وإنا لنعرف شرفه ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة وهي حي» - خروجه موسى بن عقبة صاحب المغازي.

ذكربيعة علي رضي الله عنه

٥٣٢ - عن محمد بن سيرين قال: لما بويح أبو بكر أبطأ علي في بيعته وجلس في بيته قال: فبعث إليه أبو بكر ما أبطأ بك عني أكرهت إمارتي؟ قال علي: ما كرهت إمارتك ولكنني آليت أن لا أرتدي ردائي إلا إلى صلاة حتى أجمع القرآن.

قال ابن سيرين: فبلغني أنه كتبه على علي تنزيله، ولو أصيب ذلك الكتاب لوجد فيه علم كثير.

وفي رواية أنه لقيه عمر فقال: تخلفت عنبيعة أبي بكر فقال وذكر الحديث، وزاد بعد قوله: حتى أجمع القرآن فإني خشيت أن يفلت ثم خرج فبايعه أخرجه أبو عمر وغيره.

(١) حوران: منطقة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ذات قرى كثيرة ومزارع. (معجم البلدان: ٣١٧/٢).

(٢) الحمية: الأنفة.

٥٣٣ - وعن عائشة: «أن علي بن أبي طالب مكث ستة أشهر حتى توفيت فاطمة رضي الله عنها لم يبايع أبا بكر ولا بايعه أحد من بني هاشم حتى بايعه علي فأرسل علي بعد وفاة فاطمة إلى أبي بكر: ائتنا ولا يأتنا معك أحد، وكره أن يأتيه عمر لما علم من شدته، فقال عمر: لا تأتهم وحدك، فقال أبو بكر والله: لآتينهم وحدي وما عسى أن يصنعوا بي، فانطلق أبو بكر حتى دخل على علي وقد جمع بني هاشم عنده، فقام علي: فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: «أما بعد - فإنه لم يمنعنا أن نبايعك يا أبا بكر إنكاراً لفضيلتك ولا نفاسة^(١) عليك بخير ساقه الله إليك، ولكننا كنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقاً فاستبددتم به علينا»، ثم ذكر قرابته من رسول الله ﷺ وحقه فلم يزل علي يذكر ذلك حتى بكى أبو بكر، فلما صمت علي تشهد أبو بكر فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد - فوالله لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليّ أن أصلهم من قرابتي وإني والله ما آلو بكم في هذه الأموال التي كانت بيني وبينكم على الخير، ولكنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا نورث ما تركناه صدقة». إنما يأكل آل محمد في هذا المال وإني والله لا أذكر صنعه فيه إلا صنعته إن شاء الله تعالى»، ثم قال علي: «موعدك للبيعة العثية» فلما صلى أبو بكر الظهر أقبل على الناس ثم عذر علياً ببعض ما اعتذر به، ثم قام علي فعظم من حق أبي بكر فذكر فضيلته وسابقته ثم مضى إلى أبي بكر فبايعه، وأقبل الناس إلى علي فقالوا: أصبت وأحسن. حديث صحيح متفق عليه وخرج أبو الحسن علي بن محمد القرشي في كتاب «الردة والفتوح» أن بيعته كانت بعد موت فاطمة بخمسة وسبعين يوماً.

شرح:

استبددتم علينا: أي انفردتم به دوننا يقال استبد فلان بكذا أي انفرد به.
آلو: أقصر وفلان لا يآلوك نصحاً فهو آل والمرأة آلية والجمع أوالي.
عذر علياً: أقام عذره.

وقوله رضي الله عنه: كنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقاً المراد بالأمر الخلافة.
ويدل عليه أن علياً بعث إلى أبي بكر لبايعه فقدم العذر في تخلفه أولاً فقال: لم نمتنع نفاسة عليك ولا كذا ولا كذا ولكننا كنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقاً، فعلم

(١) نافس فلاناً في كذا: سابقه وباراه فيه من غير أن يلحق الضرر به.

بالضرورة أن الأمر المشار إليه المعروف بلام العهد هو ما تضمنه الكلام الأول وما ذاك إلا ما وقع التخلف عنه وهو بيعة الإمامة أما الحق فالمراد به حق في الخلافة، إما بمعنى الأحقية أي كنا نظن أنا أحق منكم بهذا الأمر لقربتنا من رسول الله ﷺ مضافاً إلى ما اجتمع فينا من أهلية الإمامة مما ساوينا فيه غيرنا، وإما بمعنى أنني أستحق استحقاقاً مساوياً لاستحقاقكم على تقدير انضمام القرابة إليه، إذ القرابة أعظم معنى يحصل به الراجحية، فإذا قدرنا التساوي دونها ترجح بها، وإما بمعنى استحقاق ما ولو كان مرجوحاً عند فرض انعقاده ولاية المرجوح، ويكون منه بالقرابة على هذين الاحتمالين الآخرين. تنبيهاً على ما كان ينبغي أن يعامل به ويراعى فيه من قرابة رسول الله ﷺ، والأول هو المختار، والاحتمالان بعده باطلان؛ لأنه رضي الله عنه إذا اعتقد أنه ليس بأحق وأن غيره مساوٍ له أو راجح عليه وقد عقد له فلا يسعه التخلف لما فيه من شق العصا وتفريق الكلمة وقد صح تخلفه فكان دليلاً على عدم اعتقاد ذلك وإلا لزم أن يكون تخلف عن الحق مع تمكنه منه ومنصبه أجل من ذلك ومرتبته في الدين أعظم ومنهاجه فيه أقوم ولا يقال إن التخلف إنما يكون تخلفاً عن الحق إذا انعقدت الإمامة وهي إنما تنعقد باجتماع أهل الحل والعقد ومن ذكر من المتخلفين عن البيعة من أجله أهل الحل والعقد لأننا نقول جمهور أهل الحل والعقد بايعوا أبا بكر وإذا اجتمع الجمهور على من تكاملت آلته واجتمع خصال الأهلية فيه ولم يكن مفضولاً وكان على رأي انعقدت الولاية ولزم الباقيين المتابعة على المبايعة إذ كانوا معترفين بتأهله لها وإلا جعل ذلك طريقاً إلى عدم انعقاد كل بيعة وتطرق الخلل وانتشرت المفاسد ولا يقوم للدين نظام أبداً.

وفي فتح هذا الباب من اعتراض الأهوية والأغراض ما لا خفاء به.

ولما بطل المعنيان تعين الأول وهو رؤيته أحقيته وأن المفضول لا تنعقد ولايته دفعاً لذلك المحذور ولا يلزم من تخلفه في تلك المدة على الإنكار التقرير على الباطل لأننا نقول إن رؤيته الأحقية كانت أول وهلة وغاب عنه إذ ذاك ما كان يعلمه من حق أبي بكر وفيه من قول رسول الله ﷺ فلما اجتمع الجرم الغفير على ولاية أبي بكر اتهم نظره في حق نفسه ولم ير المبادرة إلى إظهاره ولا المطالبة لمقتضاه حتى يبذل جهده في السير والنظر وإمحاض الفكر بأن ذلك من الوقائع العظيمة في الدين وفيه تفريق كلمة من اجتمع من المسلمين فلم يقنع فيه بمبادئ النظر خشية استمالة الهوى الحيلي وحب الرياسة الطبيعي ولا أرى الموافقة لما ارتسم في ذهنه من رؤية أحقيته فيما تستحق به الإمامة وتعين وجوب القيام بالأمر عليه لكونه أحق وكان ذلك في مبادئ النظر قبل الإمعان فيه فتخلف عن الأمرين سالكاً في ذلك سبيل الورع والاحتياط فيهما عنده باذلاً

جهده في الاجتهاد والنظر تلك المدة فكان في تخلفه فيها مجتهداً ذا أجر فلما تبين له أحقية أبي بكر: وأفضليته بذكر مقتضيات الأفضلية ولتقديمه نقلاً عن رسول الله ﷺ ما ذكرناه عنه في فضليهما ونتيجة نظر قويم واجتهاد من خبر عليم ووافى ذلك وفاة فاطمة أرسل إلى أبي بكر أن اتنا واعتذر إليه بأنه كان يرى أحقيته وسياق هذا اللفظ يشعر بأن تلك الرؤية قد زالت ولم يكن ذكره للقرابة إقامة للحجة على أبي بكر فإنه معتذر ولا تليق المحاجة بالمعتذر وإنما كان إظهاراً لمستند تخلفه وتبياناً لمعتمد تمكه لكيلا يظن به أن تخلفه لهوى متبع بغير هدى من الله لا عن اجتهاد ونظر وإن لم يكن صحيحاً إذ المجتهد معذور ولو أخطأ ولذلك كان له أجر والله أعلم.

وهذا التأويل مما يجب اعتقاده. ويتعين المصير إليه لأنه رضي الله عنه إما أن يعتقد صحة خلافة أبي بكر مع أحقيته، فيكون تخلفه عن البيعة ومفارقة الجماعة ونزع ربة^(١) الطاعة عدولاً عن الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال وهو مبرأ عن ذلك ومنزه عنه، أو لا يعتقد صحتها فيكون قد أقر على الباطل لأنه رضي الله عنه أقر الطير على وكناتها^(٢) ولم يظهر منه نكير على فعلهم لا بقول ولا بفعل مع قوة إيمانه وشدة بأسه وكثرة ناصره، وكفى بفاطمة بنت رسول الله ﷺ والعباس عم رسول الله ﷺ وبني هاشم بأجمعهم ظهيراً ونصيراً مع ما أسس له رسول الله ﷺ من القواعد في العقائد وأن موالاته مع موالاته ومحبة مع محبته والدعاء لمن والاه وعلى من عاداه، ومع ذلك كله لم يظهر منه ما يقتضيه حال مثله من إنكار الباطل بحسب طاقته فلو كان باطلاً للزم تقريره الباطل والالزام باطل إجماعاً، فالملزوم كذلك والقول بأن سكوته كان تقية كما يزعم الروافض باطل عريق في البطلان، فإن مقتضى ذلك ضعف، إما في الدين أو في الحال والأول باطل إجماعاً والثاني أيضاً باطل لما قررناه آنفاً.

ويتأيد ذلك بما تضمنه حديث الحسن البصري عنه المتضمن نفي العهد إليه بالخلافة، وتقدم في الذكر الأول من هذا الفصل وفيه: «لو كان عندي عهد من النبي ﷺ في ذلك ما تركت أخا بني تيم بن مرة وعمر بن الخطاب، يقومان على منبره ولقاتلتها بيدي، ولو لم أجد إلا بردتي هذه» الحديث، وهذا أدل دليل على أنه لم يسكت تقية إذ لو علم بطلان ذلك، وأنه المستحق لها دونه لتعين عليه القيام وكان كالعهد إليه، وقد أخبر رضي الله عنه أنه لو تعين عليه بالعهد إليه لقاتل.

(١) الربة: الحبل، والمقصود خرج عن الطاعة.

(٢) الوكئة للطائر: عُشّه حيث كان.

فكذلك إذا تعين عليه بغير العهد إلحاقاً به والجامع اشتراكهما في التعيين عليه، ولقد أحسن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب حيث قال لبعض الرافضة: «لو كان الأمر كما تقولون أن النبي ﷺ اختار علياً لهذا الأمر والقيام على الناس بعده فإن علياً أعظم الناس خطية وجرمًا إذا ترك أمر رسول الله ﷺ أن يقوم به ويعذر إلى الناس».

فقال له الرافضي: ألم يقل النبي ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه». فقال: «أما والله لو يعني بها رسول الله ﷺ الأمر والسلطان لأفصح به كما أفصح بالصلاة والزكاة والحج والصيام، وقال: أيها الناس إنه الوالي بعدي فاسمعوا له وأطيعوا» - خرج ابن السمان في الموافقة.

فإن قيل: قوله: فاستبددتم به علينا يشعر بأن المراد بالحق المشاورة والمراجعة والاشتراك في الرأي، وأنه إنما نقم انفرادهم دونه، وأنهم لو أشركوه معهم في الرأي لتابعهم عليه: هذا هو المتبادر إلى الفهم عند سماع هذا السياق، وما ذكرتموه فيه صرف للفظ عن ظاهره، ولا يبقى لذكر الاستبداد معنى، قلنا: هذا الصرف واجب متعين لأننا لو حملنا الحق على الاشتراك في الرأي للزم في حقه ما ذكرناه من المحذور لأنه إما أن يعتقد صحة الخلافة مع عدم مشاورته فيلزم التخلف عن الحق، وإما أن لا يعتقد ذلك فيلزم التقرير على الباطل على ما تقدم تقريره، ثم إن نفس المتخلف عن البيعة بعد إجماع الجم الغفير لا يجوز إلا لمقتضى، وما ذاك إلا رؤية أحقية غيره عند من لا يرى صحتها للمفضول، أو أن المتولي لم يستكمل شروط الإمامة وكلاهما باطلان.

أما الأول فلما تقدم، وأما الثاني فلأن المبطل إما فوات شرط إجماعاً وهو منتفٍ هنا إجماعاً، وإما وجود الأفضل على رأي وهو المطلوب وقد تكلمنا عليه، وليس لقائل أن يقول إن سكوت علي لا يعد به مخالفاً، إذ لم يشق عصا فيعد بذلك ممن أجمع.

ويصح حمل الحق على المشاورة، ويستأنس بما صرح به موسى بن عقبة عن علي أنه إنما نقم عليهم أمر المشورة كما تقدم في آخر بيعة العامة لأن علياً رضي الله عنه من كبار أهل الحل والعقد ومثله لا يقنع منه بالسكوت، والظاهر من حاله أن يخلفه ابتداءً إنما كان لما ذكرناه، وأما كونه نقم عدم مشاورته نفي من هنا شيء، وأما لفظ الاستبداد فيستعمل في العرف على ما يصح فيه الاشتراك فيتجه فيه ما تقدم ذكره من الاعتراض، وعلى ما لا يصح فيكون بمعنى غلب وحاز الشيء قهراً عن الغير، والناقم عليه ذلك ناقم أصل الحياة لتعذر الاشتراك.

وقد دللنا على تعيين إرادة الإمامة بالأمر وهي مما لا يقبل الاشتراك، فيكون الذي نقيم عليهم أصل الحياة فيكون المراد بالحق حقاً في الخلافة على ما قرره. فإن قيل: لم لا يجوز أن يراد بالأمر الميراث والحق حق الإرث ويكون تقدير الكلام: كنا نظن أن لنا مما خلفه رسول الله ﷺ حقاً وأنتك منعنا إياه وأصررت على المنع فلم تصح لذلك خلافتك فلذلك تخلفنا عن البيعة.

ويدل على ذلك جواب أبي بكر بنفي الميراث وحب صلتهم وإلا لما صلح جواباً فوجب المصير إلى هذا المعنى صوناً لكلام هذا الفصيح عن الزلل وهو من أفصح العرب وأعرفهم بما يقول، ومن سئل عن شيء فأجاب عن غيره لم يعد كلامه متظماً إلا أن يكون بينهما ارتباط كما إذا قيل: كيف أصبح حال زيد؟ فقال: أصبح حال عمرو جميلاً وحال عمرو إنما يتحمل حال زيد فقد يسوغ ذلك، أما إذا لم يكن كما في الصورة فلا، قلنا: صورة الحال وسياق المقال يشهدان بخلافه وينبوان عنه، فإن اعتذاره إنما كان من تخلفه عن البيعة، فقال: لم يمنعنا أن نبايعك يا أبا بكر إنكاراً لفضيلتك ولا نفاسة لخير ساقه الله إليك ولكننا كنا نرى أن لنا في هذا الأمر الحديث، ولم يجز في حديثه ذكر الميراث، والمتبادر إلى الفهم عند سماع هذا اللفظ ليس إلا الخلافة، وجواب أبي بكر محمول على تقديم كلام آخر تركه الراوي، ويقول علي لما فرغ من قوله: كنا نظن أن لنا في هذا الأمر حقاً تعرض لذكر الميراث ثم اعتذر عن المبايعه فأغنى أبا بكر عن الجواب، لأن قوله كنا نرى يقتضي أن تكون تلك الرؤية سابقة ثم انقطعت وإن روايته الآن غير تلك، هذا هو المفهوم من سياق لفظه، فما عسى أن يقول له أبو بكر وقد دل كلامه على تغير نظره والإجابة إلى مبايعته ورؤية الحق في ذلك، فاستغنى أبو بكر عن الجواب في فصل البيعة وعدل إلى جواب فصل الميراث ويقول لم يجز للميراث في هذا المجلس ذكر، إلا أنه قد كان ذكر قبل ذلك على ما دل عليه أحاديث كثيرة، أن فاطمة جاءت تطلب ميراثها فلما كان هذا المجلس المعقود لإزالة صورة الوحشة الظاهرة والدخول فيما دخل فيه الجماعة واعتذر علي بما اعتذر به وقبل أبو بكر عذره، ثم أنشأ ذكر الميراث معتذراً عما توهم فيه أولاً نافياً له حالفاً على الإنصاف بخلافه محتجاً على قضية الميراث بالحديث المذكور وقصد بذلك إزالة بقايا وحشة إن كانت حتى لا يبقى لها أثر أصلاً، على أنا نقول على أي معنى حمل الحديث عليه، فحاصله يرجع إلى أن علياً رجع عما كان عليه، وأنه كان يظن أن له حقاً إما في الخلافة وإما بمعنى مطلق الحق أو بمعنى الأحقية - وإما في الميراث وإما في المشاورة: ترتب على عدم اتصاله به تخلفه عن البيعة. ثم بان له خلاف ذلك، وأنه جاء معتذراً مراجعاً للحق داخل فيما دخل فيه

الجماعة على ما قررناه، وذلك كله يفسد المطلوب وإنما طال البحث في تمهيد ما هو الأولى به واللائق بمنصبه. وحمل الحديث على وجه لا يتطرق معه خلل في حقه ولا في حقهم والحمد لله أن وفق لذلك وأن لم يشقنا بالخوض فيهم بما نستوجب به مقتته والوحشة من أحد منهم وأن أسعدنا بمحبتهم والذب^(١) عنهم ونسأله تمام هذه النعمة بالحرر معهم والكون في زمريهم فقد قال نبيه ﷺ: «المرء مع من أحب أمين أمين».

فإن قيل: لأي معنى أرسل علي إلى أبي بكر أن ائتنا وهلا سعى إليه، وقد اتضح له الحق؟ قلنا: لم يكن إرساله إليه ترفعاً ولا تعاضماً، لا والله ولا يحل اعتقاد ذلك، وكيف يعتقد ذلك وهو يريد مبايعته والانقياد له وإنما كان ذلك بمعنى اقتضاه الحال، وهو طلب اختلائه به خشية أن يقع عتاب على الصورة الظاهرة بين العامة، فربما وقع اعتراض من محق أو تعرض من ذي غرض فيكثر اللغط وترتفع الأصوات فلا يتوفر على إبداء العذر، ولذلك قال: ائتنا وحدك دفعاً للتشاجر المتوقع بحسب الإمكان، وكان على ثقة من الخلوة في بيته دون مكان آخر، فلذلك أرسل إليه ليأتيه فيه، ثم اعتذر إليه بما اعتذر، من اعتقد خلاف ذلك فقد حاد عن الحق وجنح إلى الباطل بل اقتحمه.

فإن قيل: الحديث الأول من هذا الذكر يدل على أن التخلف كان بسبب الألية^(٢) على أنه لا يرتدي رداء إلا إلى الصلاة حتى يجمع القرآن وظاهره تضاد ما تضمنه هذا الحديث من أن التخلف كان لما رآه من أن له حقاً فكيف يجمع بينهما، أم كيف يكون الحلف عذراً في التخلف عن الواجب المتعين والحنث لأجله واجب كنظيره من الحلف على الصلاة الواجبة.

قلنا: هذا الحديث متفق على صحته فلا يعارضه الحديث الأول، وإن صح الجميع فالجمع ممكن: بأن يكون سبب امتناعه وتخلفه أولاً عن البيعة ما ذكرناه ثم خطر له جمع القرآن وهو في مهلة النظر المتقدم ذكره فألى تلك الألية ثم أرسل إليه أبو بكر ثم لقيه عمر أو يكون الرسول عمر ووافاه ذلك ظهور أحقية أبي بكر عنده فأرسل إليه معتذراً في التخلف بتلك الألية مسلماً منقاداً طائعاً يدل عليه اعتذاره ونفيه كراهية إمامته، واقتضاء نظره إذ ذاك أن هذا القدر كافٍ في الطوعية والانقياد والدخول فيما دخل فيه الجماعة، فلم يرَ الحنث^(٣) مع السعة خشية أن يتفك عزمه وينقسم نظره عند ملاسته الناس

(١) الذَّبُّ: الدفع والمنع.

(٢) الإلُّ: العهد، والألية: الحلف.

(٣) حنث في يمينه: لم يبر فيها وأثم.

ومخالطتهم، فأقام إظهار عذره مقام حضوره لأنه رأى اليمين عذراً ولا أنه بقي على ما كان عليه من رؤية أحقيته، ثم لما تفرغ باله وانحل عقد يمينه وأمن ما يحذره من فوات ما تصدى له أرسل إلى أبي بكر أن ائتنا ليجمع بين الانقياد حالاً ومقالاً، ولينفي الظن الناشئ عن الصورة الظاهرة، ويقطع مقال أهل الأهوية وإلا فقد كان الأول عنده كافياً، فلما جاء أبو بكر أبدى له العذر في امتناعه أول وهلة لأنه لم يتقدم منه اعتذار عنه، وسكت عن العذر في استصحابه ذلك، لأنه كان قد اعتذر عنه بالألية فما احتاج إلى إعادته، وكان عذره عن الأول ما تقدم تقريره في منطوق بقوله: كنا نرى لنا حقاً. ومفهوم معناه: ثم اتضح لنا أحقيتك دوننا، وزال ما كان من تلك الرؤية. وإذا تقرر هذا فنقول: إذا دار الأمر بين أن تكون الرؤية الأولى دامت إلى حين الإرسال إليه أو انقطعت، وكان العذر في التخلف ما تقدم في الحديث المتقدم كان حمله على الثاني أولى جمعاً بين الحديثين بحسب الإمكان، ومتى أمكن الجمع كان أولى من إسقاط أحدهما.

ذكر بيعة الزبير

٥٣٤ - عن أبي سعيد الخدري قال: «قال أبو بكر لعلي بن أبي طالب: قد علمت أنني كنت في هذا الأمر قبلك، قال: صدقت يا خليفة رسول الله، فمد يده فبايعه فلما جاء الزبير قال: أما علمت أنني كنت في هذا الأمر قبلك؟ قال: فمد يده فبايعه»، خرجه في فضائله وقال حديث حسن.

ذكر استقالة أبي بكر من البيعة

٥٣٥ - عن زيد بن أسلم قال: «دخل عمر على أبي بكر وهو آخذ بطرف لسانه وهو يقول: إن هذا أوردني الموارد ثم قال: يا عمر لا حاجة لي في إمارتكم قال عمر: والله لا نقيلك ولا نستقيلك»، خرجه حمزة بن الحارث.

٥٣٦ - وعن أبي الحجاج قال: قام أبو بكر بعدما بويع له وبايع على أصحابه فأقام ثلاثاً يقول أيها الناس قد أقلتكم بيعتكم هل من كاره قال فيقوم علي في أوائل الناس يقول: لا والله لا نقيلك ولا نستقيلك قدّمك رسول الله ﷺ فمن ذا الذي يؤخرك». خرجه ابن السمان في «الموافقة»، وعنه قال: احتجب أبو بكر عن الناس ثلاثاً يشرف

عليهم كل يوم يقول قد أقلتكم بيعتي فبايعوا من شتم قال فيقوم علي بن أبي طالب فيقول لا والله لا نقيلك ولا نستقيلك قَدَّمَك رسول الله ﷺ فمن ذا الذي يؤخرك - خرجة الحافظ السلفي في «المشيخة البغدادية» وابن السمان في «الموافقة» وابن الحجاف هذا هو داود بن عوف البرجمي التميمي مولاهم كوفي ثقة، روى عن غير واحد من التابعين وهو حديث مرسل من الطريقتين.

٥٣٧ - وعن جعفر عن أبيه قال: «لما استخلف أبو بكر خير الناس سبعة أيام فلما كان في السابع أتاه علي بن أبي طالب فقال: لا نقيلك ولا نستقيلك ولولا أنا رأيناك أهلاً ما بايعناك» خرجة ابن السمان في «الموافقة».

٥٣٨ - وعن سويد بن غفلة قال: «لما بايع الناس أبا بكر قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس أذكر بالله أيما رجل ندم على بيعتي لما قام على رجله قال فقام إليه علي بن أبي طالب ومعه السيف فدنا منه حتى وضع رجلاً على عتبة المنبر والأخرى على الحصى وقال: والله لا نقيلك ولا نستقيلك قَدَّمَك رسول الله ﷺ فمن ذا يؤخرك» خرجة في فضائله وقال: هو أسند حديث روي في هذا المعنى وسويد بن غفلة أدرك الجاهلية وأسلم في حياة النبي.

٥٣٩ - وعن الحسن قال: «لما بويع أبو بكر قام دون مقام رسول الله ﷺ وقال: أيها الناس إني شيخ كبير فاستعملوا عليكم من هو أقوى مني على هذا الأمر وأضبط له، فضحكوا وقالوا: لا نفعل أنت صاحب رسول الله ﷺ في المواطن وأحق بهذا الأمر، فقال: أما إذا أبيتم فأحسنوا طاعتي ومؤازرتي واعلموا... إنما أنا بشر ومعني شيطان يعتريني فإذا رأيتموني غضبت فقوموا عني لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم واتبعوني ما استقمتم فإن زغت فقوموني». خرجة حمزة بن الحارث وابن السمان في «الموافقة».

٥٤٠ - وعنه قال: خطب أبو بكر على منبر رسول الله ﷺ فخنقته العبرة^(١) فحمد الله وأثنى عليه فقال: «يا أيها الناس إني ما جعلت بهذا المكان أن أكون خيركم - قال الحسن: وهو والله خيرهم غير مدافع ولكن المسلم يهضم نفسه أبداً - ولوددت أني كفاني هذا الأمر بعضكم - قال الحسن والله صادق - وإن أخذتموني بما كان الله عز وجل يقول به لرسوله ﷺ من الوحي فما ذاك عندي ما أنا إلا كأحدكم فإن رأيتموني استقمتم فاتبعوني وإذا أنا زغت فقوموني» خرجة أبو القاسم بن بشران.

وفي رواية إنما أنا بشر ولست بخير من واحد منكم فراعوني فإن رأيتموني استقمت ثم ذكر ما بعده - خرجها في فضائله .

ذكر ما يدل على أنه كان كارهاً للولاية وإنما تحملها رعاية لمصلحة المسلمين

٥٤١ - عن رافع الطائي قال: «صحت أبا بكر في غزاة قلت يا أبا بكر أوصني ولا تطول عليّ فأنشئ فقال: يرحمك الله يرحمك الله بارك الله عليك بارك الله عليك أقم الصلاة المكتوبة لوقتها وأدر زكاة مالك طيبة بها نفسك وصم رمضان وحج البيت ولا تكونن أميراً، قال: قلت: إنه ليخيل إليّ أن أمراءكم اليوم خياركم فقال: إن هذه الإمارة اليوم يسيرة وقد أوشكت أن تفشو وتكثر حتى ينالها من ليس لها بأهل وإنه من يك أميراً فإنه من أطول الناس حساباً وأغلظهم عذاباً ومن لا يكن أميراً فإنه من أيسر الناس حساباً وأهونهم عذاباً، لأن الأمراء أقرب من ظلم المؤمنين، ومن يظلم المؤمنين فإنه يخفر الله، هم جيران، وهم عواذ الله، والله إن أحدكم لتصاب شاة جاره أو بعير جاره فيبيت وارم العضل فيقول شاة جاري وبعير جاري فإن الله أحق أن يغضب لجيرانه، وسألته بعد ذلك لم ولي عم قبل من بيعتهم؟ وقال هو يحدثه عما تكلمت به الأنصار وما كلمهم به وما كلم عمر بن الخطاب الأنصار وما ذكرهم به من إمامته إياهم بأمر رسول الله ﷺ في مرضه: فبايعوني لذلك وقبلنا منهم وتخوفنا أن تكون فتنة تكون بعدها ردة»، أخرجه أبو ذر الهروي في مستدركه على الصحيح وعن الحسن أن أبا بكر خطب فقال: أما بعد فإني وليت هذا الأمر وأنا كاره له والله لوددت أن بعضكم كفانيه - خرجها في فضائله .

ذكر خطبة أبي بكر لما ولي الخلافة

٥٤٢ - عن عروة، عن أبيه قال: خطب أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد فإني وليت أمركم ولست بخيركم ولكنه نزل القرآن وسرّ النبي ﷺ السنة وعلمنا فعلنا واعلموا أيها الناس أن أكيس الكيس التقى أو قال: الهدى وأعجز العجز الفجور وإن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه وإن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع فإن أنا أحسنت قولني فأعينوني وإن أنا زغت فقوموني أقول قولني هذا وأستغفر الله لي ولكم» خرجها في فضائله .

٥٤٣ - وعن قيس بن أبي حازم قال: «إني لجالس عند أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ بعد وفاة النبي ﷺ بشهر فذكر قصته فنودي في الناس أن الصلاة جامعة - وهي أول صلاة في المسلمين نودي بها أن الصلاة جامعة - فاجتمع الناس فصعد المنبر شيئاً صنع له كان يخطب عليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس لوددت أن هذا الأمر كفانيه غيري ولئن أخذتموني بسنة نبيكم لا أطيقها إن كان لمعصوماً من الشيطان وإن كان لينزل عليه الوحي من السماء» خرج أحمد وخرج معناه حمزة بن الحارث وقد تقدم في ذكر الاستقامة.

ذكر ما فرض له من بيت المال

٥٤٤ - عن حميد بن هلال قال: «لما ولي أبو بكر قال أصحاب رسول الله ﷺ: افرضوا لخليفة رسول الله ﷺ ما يغنيه قالوا: نعم بُرداه إذا أخلقهما وضعهما وأخذ مثلهما وظهره^(١) إذا سافر ونفقته على أهله كما كان ينفق قبل أن يستخلف» خرج في الصفوة.

٥٤٥ - وعن إبراهيم بن محمد بن معبد بن عباس قال: «كان رزق أبي بكر الصديق حين استخلف خمسين ومائتي دينار في السنة وشاة في كل يوم يؤخذ منه بطنها ورأسها وأكارعها فلم يكن يكفيه ذلك ولا عياله قالوا - وقد كان ألقى ماله في مال الله حين استخلف - قال: فخرج إلى البقيع فتصافق قال: فجاء عمر فإذا هو بنسوة جلوس فقال: ما شأنكن قلن نريد أمير المؤمنين وقال بعضهن: نريد خليفة رسول الله ﷺ يقضي بيننا فانطلق يطلبه فوجده في السوق قال: فأخذ بيده فقال: تعال ههنا فقال: «لا حاجة لي في إمارتكم رزقتموني ما لا يكفيني ولا عيالي»، قال: «فإنا نزيدك» قال أبو بكر «ثلاثمائة دينار والشاة كلها»، قال: «أما هذا فلا»، فجاء علي وهما على حالهما تلك فلما سمع ما سأله قال: «أكملها له»، قال: «تري ذلك»، قال: «نعم»، قال: «فقد فعلنا»، فقال أبو بكر: «أنتم رجلا من المهاجرين لا أدري أيرضى بها بقية المهاجرين أم لا»، فانطلق أبو بكر فصعد المنبر واجتمع إليه الناس فقال: «أيها الناس إن رزقي كان خمسين ومائتي دينار وشاة يؤخذ مني بطنها ورأسها وأكارعها وإن عمر وعلياً كملا لي ثلاثمائة دينار والشاة أفرضيتم»، فقال المهاجرون: اللهم نعم قد رضينا فقال أعرابي من جانب المسجد: لا والله ما رضينا فأين حق أهل البادية فقال أبو بكر: «إذا رضي

(١) الظَّهر: الدابة التي تحمل الأثقال، أو يركب عليها.

المهاجرون شيئاً فإنما أنتم تبع»، خرج به أبو حذيفة إسحاق بن بشر في «فتوح الشام» وقد سبق طرف من ذلك في ذكر تواضعه في فصل فضائله وذكر ابن النجار في كتاب «أخبار المدينة» أنهم فرضوا له في كل سنة ستة آلاف درهم.

٥٤٦ - وقد جاء عن عائشة قالت: «لما استخلف أبو بكر قال: «لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مؤنة أهلي وشُغلتُ بأمر المسلمين فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال ويحترف للمسلمين فيه»، خرج به البخاري وظاهره أنه كان يتجر في ماله عوضاً عما يأكل إلا أنه لا يلائم قوله وشغلت بأمر المسلمين سواء كان بماله أو بمالهم ولا يقال إنه من أمر المسلمين فيدخل تحت عموم الشغل بأمر المسلمين فإن الشغل الذي أقيم له غيره هذا وأهم منه ولعله والله أعلم يريد بالاحتراف الاشتغال بحفظه وتأدية الحقوق فيه ومنه وتحصيله من وجوهه فأطلق عليه احترافاً توسعاً وإن كان المتعارف في الاحتراف غير هذا.

ذكر ما روي من قول أبيه أبي قحافة عند بلوغه خبر ولايته

٥٤٧ - عن سعيد بن المسيب قال: «لما قبض رسول الله ﷺ ارتجت مكة فسمع بذلك أبو قحافة فقال: ما هذا قالوا: قبض رسول الله ﷺ قال أمر جليل من ولي بعده قالوا: ابنك قال: فهل رضيت بذلك بنو عبد مناف وبنو المغيرة قالوا: نعم قال: لا مانع لما أعطى الله ولا معطي لما منع الله»، خرج به أبو عمر.

شرح:

ارتجت: اضطربت.

والجلل: الأمر العظيم قال الشاعر:

قَوْمِي هُمُو قَتَلُوا أُمِيمَ أَخِي فَإِذَا رَمِيَتْ يُصَيَّبِي سَهْمِي
فَلَيْسَ عَفْوُهُ لَأَعْفُونَ جَلَّالاً وَلَيْسَ سَطْوُ لَأَوْهَنَ عَظْمِي

والجلل أيضاً الهين الحقيق وهو من الأضداد هكذا ذكره الجوهري قال والجلل بالضم العظيم لا غير والجلالة الناقة العظيمة وقال الخليل يقال أمر جليل بالضم للعظيم وفتحها للحقيق.

الفصل الرابع عشر: في ذكر وفاته وما يتعلق بها

٥٤٨ - قال أهل السير: توفي أبو بكر رضي الله عنه ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ذكره في «الصفوة».

٥٤٩ - وقال ابن إسحاق توفي يوم الجمعة لتسع بقين من الشهر المذكور، ذكره أبو عمر والأول أصح لما روت عائشة قالت: «لما نقل أبو بكر قال: «أي يوم هذا»، قلنا: يوم الاثنين، قال: «فأي يوم قبض فيه رسول الله ﷺ»، قلنا: يوم الاثنين قال: «فإني أرجو فيما بيني وبين الليل» قال وكان عليه ثوب فيه ردغ من مشق فقال: «إذا أنا مت فاغسلوا لي ثوبي هذا وضموا إليه ثوبين جديدين وكفوني في ثلاثة أثواب»، فقلنا: أفلا نجعلها جداداً كلها قال: «لا إنما هو للمهلة»، قال: فمات ليلة الثلاثاء»، خرجه البخاري وأحمد.

٥٥٠ - وفي رواية أنها قالت: «قال أبي: «في كم كفنتم رسول الله ﷺ» قلت في ثلاثة أثواب سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة فنظر إلى ثوب كان تحته يمرض فيه وفيه ردغ من زعفران أو مشق فقال: «اغسلوا هذا ثم زيدوا عليه ثوبين» ثم ذكرت باقي الحديث».

٥٥١ - وفي رواية «في كم كفن رسول الله ﷺ»، قلنا: في ثلاثة أثواب قال: «فكفوني في ثلاثة أثواب ثوبي هذا مع ثوبين آخرين»، ثم ذكرت باقي الحديث وقالت فيه إنه قال: «الحي أولى بالجديد وإنما هو للمهلة» وعن القاسم بن محمد قال: كفن أبو بكر في ربطة^(١) بيضاء وريطة ممصرة^(٢) - خرجه ابن الضحاك.

شرح:

الردغ: اللطخ.

والمشق: بكسر الميم المغرة.

والمهلة: الصديد والقحج وهكذا جاء في هذه الرواية المهلة ورأيتها مضبوطة في بعض نسخ الهروي بالضم قال وبعضهم يكسرها ولم يذكر الجوهري هذه اللفظة. وحكى بعض المؤلفين فيها الفتح قال وبعضهم يكسرها.

(١) الربطة: الملاة كلها نَشَجٌ واحد وقطعة واحدة.

(٢) ممصرة: مصبوغة بالمِصْرِ أو بحمرة خفيفة. والمِصْر: مادة حمراء يصبغ بها.

وقد جاء في بعض الطرق وإنما هو للمُهَل وهو بالضم لا غير والمراد به هنا الصديد والقيح وهو اسم مشترك يطلق أيضاً على النحاس المذاب ودردي الزيت قاله الجوهري.

ولما مات رضي الله عنه غسلته أسماء بنت عميس زوجته بوصية منه وصب عليها الماء ابنه عبد الرحمن.

ولما كفن حمل على السرير الذي كان ينام عليه النبي ﷺ وهو سرير عائشة من خشبي صاج منسوج بالليف وبيع في ميراث عائشة فاشتراه رجل من موالي معاوية بأربعة آلاف درهم فجعله للناس.

٥٥٢ - قال أبو محمد: «وهو بالمدينة وصلى عليه عمر بن الخطاب في مسجد رسول الله ﷺ تجاه المنبر وكبر أربعاً وعن سعيد بن المسيب وقد سئل أين صلي على أبي بكر قال: بين القبر والمنبر قيل: من صلى عليه قال عمر بن الخطاب قيل: كم كبر عليه قال: أربعاً ودفن إلى جنب قبر رسول الله ﷺ وألصقوا لحده بلحده ونزل في قبره عمر وعثمان وطلحة وعبد الرحمن بن أبي بكر ودفن ليلاً في بيت عائشة مع النبي ﷺ»، ذكره أبو عمر وصاحب «الصفوة» وابن النجار وغيرهم وذكر ابن النجار أن آخر ما تكلم به أبو بكر «رب توفني مسلماً وألحقني بالصالحين».

ذكر سبب موته

٥٥٣ - عن ابن عمر قال: «كان سبب وفاة أبي بكر كمد ما زال يزيل حتى مات»، ذكره في الصفوة.

والكمد الحزن المكتوم تقول منه كمد يكمد فهو كمد وكميد، وعن الزبير بن بكار أنه كان به طرف من السل ذكره أبو عمر ويشبه أن يكون ذبول الكمد ظن سلاً أو تعلق به السل منه.

وعن عائشة قالت: «كان أول مرضه أن اغتسل في يوم بارد فحم خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى الصلاة وكان يأمر عمر بن الخطاب يصلي بالناس فدخل الناس عليه يعودونه وهو يثقل كل يوم يقول: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتُ مِنْهُ تَحِيدٌ﴾^(١)، خرجه الفضائلي وصاحب الفضائل وصاحب «الدرة الثمينة في أخبار المدينة».

٥٥٤ - وعن ابن شهاب قال: «كان أبو بكر والحارث بن كلدة يأكلان حريرة أهديت لأبي بكر فقال الحارث لأبي بكر: ارفع يدك يا خليفة رسول الله ﷺ إن فيها لسم سنة وأنا وأنت نموت في يوم واحد فرفع يده فلم يزالا عليّين حتى ماتا في يوم واحد عند انقضاء السنة». خرج في «الصفوة» و «الفضائل» وخرج صاحب «الدرة الثمينة في أخبار المدينة» وزاد فمرض خمسة عشر يوماً فقال: قد رأيته قالوا: فما قال لك قال: إني أفعل ما أشاء وقيل إن اليهود سمت له في إرزة.

ذكر تركه التطبب تسليماً لأمر الله تعالى

٥٥٥ - عن أبي السفر قال: مرض أبو بكر فعاده الناس فقالوا: ألا ندعو لك طبيباً ينظر إليك؟ قال: «قد نظر إليّ»، قالوا: وما قال لك؟ قال: «إني فعال لما أريد»، خرج الواقدي وأبو عمر وصاحب الصفوة والرازي.

ذكر عهده إلى عمر ووصيته له

٥٥٦ - عن عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط قال: لما حضر أبو بكر الوفاة دعا عمر فقال: «اتق الله يا عمر، واعلم أن الله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدي فريضة وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان لا يكون له إلا الحق أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم الباطل وحق لميزان لا يكون فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً.

وإن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم، فإن ذكرتهم قلت: إني لأخاف أن لا ألحق بهم، وأن الله ذكر أهل النار وذكرهم بأسوأ أعمالهم ورد عليهم أحسنها، فإذا ذكرتهم قلت: إني لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء ليكون العبد راغباً راهباً لا يتمنى على الله ولا يقنط من رحمته فإن أنت حفظت وصيتي فلا يك غائب أحب إليك من الموت ولست تعجزه» خرج في «الصفوة والفضائل» وخرج الرازي عن ابن أبي نجيج وزاد: «وإن لم تحفظ وصيتي فلا يك غائب أبغض إليك من الموت»، وقال بعد قوله أن يكون خفيفاً «وإنما جعلت آية الرخاء مع آية الشدة لكي يكون المؤمن راغباً راهباً وإذا ذكرت أهل الجنة قلت: لست منهم وإذا ذكرت أهل النار قلت: لست منهم

وذلك أن الله عز وجل ذكر أهل الجنة وذكرهم بأحسن أعمالهم وذكر أهل النار وذكرهم بأسوأ أعمالهم وقد كانت لهؤلاء سيئات ولكن الله تجاوز عنها وقد كان لهؤلاء حسنات ولكن الله عز وجل أحبها».

٥٥٧ - وعن محمد بن سعد بإسناده أن جماعة من الصحابة دخلوا على أبي بكر لما عزم على استخلاف عمر فقال له قائلون منهم: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا، وقد ترى غلظته فقال أبو بكر: «أجلسوني أبالله تخوفوني خاب من تزود من أمركم بظلم أقول اللهم إني استخاف عليهم خير أهلك أبلغ عني ما قلت لك من وراءك»، ثم اضطجع وجاء عثمان بن عفان وقال: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها وعند جوار عهده بالآخرة داخلاً فيها حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب إني استخلفت بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا وأطيعوا فأني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيراً فإن عدل فذاك الظن به وعلمي فيه وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب والخير أردت، ولا علم لي بالغيب ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾»^(١) والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

٥٥٨ - وعن عائشة قالت: «دخل ناس على أبي بكر فقالوا: تولي علينا عمر وأنت ذاهب إلى ربك فماذا تقول له؟ قال: «أجلسوني أجلسوني أقول وليت عليهم خيرهم» خرج أبو معاوية».

ذكر وصيته من يغسله وأين يدفن وبأن يسرع بدفنه

٥٥٩ - عن ابن أبي مليكة أن أبا بكر أوصى أن تغسله أسماء بنت عميس فغسلته خرج أبو عمر وصاحب «الصفوة» - وخرجه في «الفضائل» وزاد وهي صائمة ولا تصح هذه الزيادة على المشهور لأن الصوم إنما يكون نهاراً والأصح أنه مات ليلاً ودفن ليلاً وإن كان قد قيل إنه مات نهاراً ودفن في آخر نهاره، لكن الأول أشهر.

٥٦٠ - وعن عائشة أن أبا بكر لما حضرته الوفاة قال: «أي يوم هذا»، قالوا: يوم الاثنين قال: «فإن مت من ليلتي فلا تنتظروا بي الغد فإن أحب الأيام والليالي إليّ أقربها من رسول الله ﷺ» خرج أحمد وخرج في «الصفوة» أنه أوصى أن يدفن إلى جانب

رسول الله ﷺ بين القبر والمنبر.

٥٦١ - وعن أسماء بنت عميس قالت: إن أبا بكر عهد إليّ أن فلاناً منافق فلا ينزل في قبري خرج ابن الضحاك.

ذكر قدر سنه يوم مات رضي الله عنه

٥٦٢ - اختلف في ذلك وأشهر الأقوال وأكثرها أنه توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة وأنه استوفى بمدة خلافته بعد رسول الله ﷺ سن رسول الله ﷺ وقد تقدم في آخر ذكر هجرته ما يدل على خلاف ذلك وهذا أصح وكان مولده بعد عام الفيل بستين وأربعة أشهر إلا أياماً ذكره الطائي في «الأربعين» وكانت مدة خلافته من ذلك ستين وثلاثة أشهر إلا خمس ليال وقيل: وثلاثة أشهر وسبع ليال.

٥٦٣ - وقال ابن إسحاق توفي أبو بكر على رأس ستين وثلاثة أشهر واثنتي عشرة ليلة من متوفى رسول الله ﷺ وقال غيره وعشرة أيام وقيل وعشرين يوماً ذكره أبو عمر وغيره.

ذكر قول أبيه أبي قحافة لما بلغه خبر وفاته

٥٦٤ - حكى ابن النجار في «أخبار المدينة»: أن أبا قحافة حين توفي أبو بكر كان حياً بمكة نعى إليه قال: رزء^(١) جليل وعاش بعده ستة شهر وأياماً وتوفي في المحرم: أربعة عشر بمكة وهو بسبع وتسعين سنة.

ذكر ثناء علي رضي الله عنه عليه عند وفاته

٥٦٥ - عن أسيد بن صفوان وكان قد أدرك النبي ﷺ قال: «لما قبض أبو بكر سجي^(٢) عليه وارتجت المدينة بالبكاء عليه كيوم قبض رسول الله ﷺ فجاء علي مسترجعاً وهو يقول اليوم انقطعت خلافة النبوة حتى وقف على باب البيت الذي فيه أبو بكر وهو مسجى فقال: يرحمك الله يا أبا بكر كنت إلف رسول الله ﷺ وأنسه ومستراحه وثقتة

(١) الرزء: المصيبة.

(٢) سَجَى الميت: غَطَّاه.

وموضع سره ومشاورته كنت أول القوم إسلاماً وأخلصهم إيماناً وأشدّهم يقيناً وأخوفهم لله وأعظمهم غناء في دين وأحوطهم على رسول الله ﷺ وأحدهم^(١) على الإسلام وأيمنهم على أصحابه وأحسنهم صحبة وأكثرهم مناقب وأفضلهم سوابق وأرفعهم درجة وأقربهم وسيلة وأشبههم برسول الله ﷺ هدياً وسمتاً ورحمة وفضلاً وأشرفهم منزلة وأكرمهم عليه وأوثقهم عنده فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله خيراً كنت عنده بمنزلة السمع والبصر صدّقت رسول الله ﷺ حين كذبه الناس فسمك الله عز وجل في تنزيله صديقاً فقال ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾^(٢) - الذي جاء بالصدق محمد ﷺ وصدق به أبو بكر -: واسيته حين بخلوا وقمت به عند المكاره حين عنه قعدوا وصحبته في الشدة أكرم الصحبة، ثاني اثنين وصاحبه في الغار والمنزل عليه المكيّة ورفيقه في الهجرة وخلفته في دين الله وأمه أحسن الخلافة حين ارتد الناس وقمت بالأمر ما لم يقم به خليفة نبي فنهضت حين وهن أصحابك وبرزت حين استكانوا وقويت حين ضعفوا ولزمت منهج رسول الله ﷺ إذ هموا كنت خليفة حقاً لم تنازع ولم تصدع بزعم المنافقين وكبت الكافرين وكره الحاسدين وغيظ الباغين وقمت بالأمر حين فشلوا وثبت إذ تتعنوا^(٣) ومضيت بنور الله إذ وقفوا فاتبعوك فهدوا وكنت أخفضهم صوتاً وأعلاهم فوقاً وأمثلهم كلاماً وأصوبهم منطقاً وأطولهم صمتاً وأبلغهم قولاً وأشجعهم نفساً وأعرفهم بالأمور وأشرفهم عملاً كنت والله للدين يعسوباً ولا حين نفر عنه الناس وآخرأ حين أقبلوا كنت للمؤمنين أباً رحيماً حين صاروا عليك عيالاً فحملت أثقال ما ضعفوا ووعيت ما أهملوا وحفظت ما أضاعوا وعلمت ما جهلوا شمريت إذ خفضوا وصبرت إذ جزعوا فأدركت أوتار ما طلبوا وراجعوا رشدهم برأيك فظفروا ونالوا بك ما لم يحسبوا كنت على الكافرين عذاباً صلباً ولهباً وللمؤمنين رحمة وأنساً وحصناً فطرت والله بغنائها وفزت بحبائنها وذهبت بفضائلها وأدركت سوابقها لم تقلل حجتك ولم تضيف بصيرتك ولم تجبن نفسك ولم يرع قلبك ولم يخر كنت كالجبل الذي لا تحركه القواصف ولا تنزله العواصف وكنت كما قال رسول الله ﷺ أمن الناس علينا في صحبتك وذات يدك وكنت كما قال ضعيفاً في بدنك قوياً في أمر الله متواضعاً في نفسك عظيماً عند الله جليلاً في أعين الناس كبيراً في أنفسهم لم يكن لأحد فيك مغمز^(٤) ولا لقائل فيك

(١) أحذب: انحنى وعطف.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣٣.

(٣) تمنع فلان في كلامه: تردد في عي.

(٤) المغمز: العيب والمطعن.

مهمز^(١) ولا لأحد فيك مطمع ولا لمخلوق عندك هودة الضعيف الذليل عندك قوي عزيز حتى تأخذ بحقه والقوي عندك ضعيف ذليل حتى تأخذ منه الحق القريب والبعيد عندك في ذلك سواء أقرب الناس إليك أطوعهم الله وأتقاهم له شأنك الحق والصدق والرفق قولك حكم وحتم وأمرك حلم وحزم ورأيك علم وعزم فأقلعت وقد نهج السبيل وسهل العسير وأطفيت النيران واعتدل بك الدين وقوي بك الإيمان وثبت الإسلام والمسلمون وظهر أمر الله ولو كره الكافرون فسبقت والله سبقاً بعيداً وأتعبت مَنْ بَعْدَكَ إِتْعَاباً شديداً وفزت بالخير فوزاً مبيناً فجللت عن البكاء وعظمت رزيتك^(٢) في السماء وهدت مصيبتك الأنام فإنما لله وإنا إليه راجعون رضيانا عن الله قضاؤه وسلمنا له أمره فوالله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله ﷺ بمثلك أبداً كنت للدين عزاً وحرزاً وكهفاً فته وحصناً وغيثاً، وعلى المنافقين غلظة وغيطاً فألحقك بنبيك ﷺ ولا حرماً أجرك ولا أضلنا بعدك فإنما لله وإنا إليه راجعون قال: وسكت الناس حتى انقضى كلامه ثم بكوا حتى علت أصواتهم وقالوا: صدقت يا ختن رسول الله ﷺ خرج ابن السمان في كتاب الموافقة. وخرج الإمام أبو بكر محمد بن عبد الجوزي من أوله إلى ﴿والذي جاء بالصدق﴾^(٣) محمد ﷺ «وصدق به» أبو بكر.

شرح:

الغناء: بالفتح والمد النفع وبالكسر والمد من السماع وبالكسر مقصور اليسار.
الهدى: السيرة تقول هدى فلان أي سار سيرته وما أحسن هديه وهديته أي سيرته، الجمع هدى كتمر وتمر.
الامت: هيئة أهل الخير، تقول: ما أحسن سمته أي هديه والامت الطريق وسمت يمت بالضم أي قصد.
وهن: ضعف.
استكانوا: خضعوا.
يصدع يفل أمرك: من الصدع الشق.
برغم المنافقين: أي غضبهم وإهانتهم وأرغم الله أنفه أي ألصقه بالرغام وهو التراب.
وكبت الكافرين: إذلالهم.

(١) همز: اغتاب.

(٢) الرزية: المصيبة.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٣٣.

فشلوا: جبنوا - فوقاً قيد: في بعض النسخ بضم الفاء وهو موضع الوتر من السهم وهو القرص الذي يكون في رأسه هذا أصله ثم استعير هنا لعظم الشأن وفي بعضها بالفتح وهو أقرب إلى معنى العلو لأنه ضد التحت، ومنه قولهم فلان يفوق قومه في الخير أي يعلوهم.

اليعسوب: ملك النحل ومنه قيل للسيد: يعسوب قومه.

وقوله للدين: أي لأهل الدين.

خفضوا: أي وضعوا أي أنه شمر إذا وضع الناس وفي بعض النسخ خنعوا أي ضرعوا وذلوا.

صباً: مصدر صب صبا وهذا وصف بالمصدر نحو عدل ورضى.

وقوله فأدركت أوتار ما طلبوا.

وقوله ولم تحر: أي ترجع تقول حار يحور حوراً أي رجع.

والهواة: المحابة والرخصة.

ومن الحديث الآخر لا تأخذه في الله هواة أي لا يسكن عند وجوب حد الله تعالى ولا يرخص فيه ولا يحابي.

نهج السبيل: هكذا قيد ثلاثياً على إسناد الفعل إلى السبيل وقبده الجوهري رباعياً فقال أنهج الطريق إذا استبان وصار نهجاً واضحاً ونهجت الطريق بينته ونهجته أيضاً سلكته حكاه الجوهري.

الفئة: الطائفة فكان كالردة للمسلمين.

ذكر ثناء عائشة على أبيها وقد مرت على قبره

٥٦٦ - عن القاسم بن محمد عن عائشة أنها مرت على قبر أبيها فقالت: «نضر الله وجهك وشكر لك صالح سعيك فلقد كنت للدنيا مذلاً بإعراضك عنها وللآخرة معزاً بإقبالك عليها ولئن كان أجل بعد رسول الله ﷺ رزؤك وأعظمها فقدك إن كتاب الله ليعد بالعزاء عنك حسن العوض منك فأنا أنتج من الله موعده فيك بالصبر عليك وأستعيضه منك بالدعاء لك فإنا لله وإنا إليه راجعون وعليك السلام ورحمة الله وتوديع غير قالية^(١) لحياتك ولا زارية^(٢) على القضاء فيك» خرجه ابن المثنى في معجمه.

الفصل الخامس عشر: في ذكر ولده

وهذا الذكر وإن كان ليس من لوازم ذكر المناقب إلا أنه مما يتشوف إليه عند ذكر

(١) قالية: باغضة.

(٢) الزارية: العاتبة، يقال زرى عليه عمله: أي عابه وعتب عليه.

النسب وقد تقدم التنبيه عليه في الفصل الأول على أنه لا يخلو من إثبات الفضيلة فإن شرف الأبناء منقبة للآباء كعكسه ولم تزل العرب تتمدح بمفاخر آبائهم فلا يبعد في الأبناء مثله والله أعلم.

وكان له من الولد ستة، ثلاث بنين وثلاث بنات، أما البنون فعبد الله وهو أكبر ولده الذكور أمه قتيلة ويقال قتلة دون تصغير من بني عامر بن لؤي شهد فتح مكة وحيناً والطائف مع النبي ﷺ مسلماً وخرج بالطائف وبقي إلى خلافة أبيه ومات فيها فترك سبعة دنانير فاستكثرها أبو بكر ولا عقب له.

وعبد الرحمن ويكنى أبا عبد الله أسلم في هدنة الحديبية وهاجر إلى المدينة وكتب للنبي ﷺ وكان من الشجعان، له مواقف في الجاهلية والإسلام مشهورة وأبلى في فتوح الشام بلاء حسناً وقد كان ممن شهد بدرًا مع المشركين ثم مَنَّ الله تعالى عليه بما من به على أمه أم رومان بنت الحارث من بني فراش بن غنم بن كنانة أسلمت وهاجرت، مات فجأة سنة ثلاث وخمسين بجبل بقرب مكة فأدخلته أخته عائشة الحرم ودفنته وأعفت عنه وكان شهد الجمل معها وله عقب.

وقد تقدم في فصل الخصائص ما ثبت به لبيت أبي بكر من الشرف برؤية ولد عبد الرحمن بن عتيق محمد بن عبد الرحمن النبي ﷺ وأنه لم يوجد في بيت من بيوت أحد من الصحابة أربعة كلهم رأوا النبي ﷺ بعض ولد بعض إلا في بيت أبي بكر، وكذلك ثبت هذا في ولد أسماء وزاد بالرواية، وسيأتي بيانه والله أعلم.

ومحمد بن أبي بكر ويكنى أبا القاسم، وكان من نساك قريش، أمه أسماء بنت عيسى الخثعمية وكانت من المهاجرات الأول، وكانت تحت جعفر بن أبي طالب وهاجرت معه إلى الحبشة.

ولما استشهد جعفر بموته من أرض الشام تزوجها بعده أبو بكر فولدت له محمداً هذا بذى الحليفة^(١) لخمس ليالٍ بقين من ذي القعدة وهي شاخصة إلى الحج مع النبي ﷺ هي وأبو بكر فأمرها ﷺ أن تغتسل وترجل^(٢) ثم تهل بالحج وتصنع ما يصنع الحاج إلا أنها لا تطوف بالبيت، فكانت سبباً لحكم شرعي إلى قيام الساعة، وزكاها النبي ﷺ

(١) ذي الحليفة: قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة ومنها ميقات أهل المدينة. (معجم البلدان: ٢/٢٩٥).

(٢) ترجل: تمشي على قدميها.

وبرأها من الفحشاء على ما تقدم في ذكر غيرة أبي بكر من فضل فضائله، ولما توفي أبو بكر عنها تزوجها علي بن أبي طالب فنشأ محمد بن أبي بكر في حجر علي بن أبي طالب، وكان على رجالته يوم الجمل وشهد معه صفين، وولاه عثمان في أيامه مصر، وكتب له العهد ثم اتفق مقتله قبل وصوله إليها على ما سيأتي بيانه في عثمان، وولاه أيضاً على مصر بعد مرجعه من صفين فوقع بينه وبين عمرو بن العاص حرب فهُزِمَ محمد بن أبي بكر وقُتِلَ، وأكثر المؤرخين أنه أُحرق في جوف حمار ميت، يقال: كان ذلك قتله، وقيل: بل بعد القتل.

وأما البنات فعائشة أم المؤمنين شقيقة عبد الرحمن، تزوجها رسول الله ﷺ فثبت لأبي بكر بذلك أشرف الشرف فكانت إحدى أمهات المؤمنين وحظوتها عنده وشرف منزلتها وعظم مزيتها على سائر نسائه مشهور حتى بلغ ذلك منه أن قيل: من أحب الناس إليك يا رسول الله؟ قال: «عائشة»، فقيل: من الرجال، قال: «أبوها». فكان أحب الناس إليه مطلقاً بنت أحب الناس إليه من الرجال، وكيفية تزويجها سيأتي في مناقبها إن شاء الله تعالى.

وأسماء بنت أبي بكر شقيقة عبد الله وهي أكبر بناته وهي ذات النطاقين وقد تقدم سبب تسميتها بذلك في فصل هجرة أبي بكر، تزوجها الزبير بمكة وولدت له عدة أولاد، ثم طلقها فكانت مع ولدها عبد الله بمكة حتى قتل وعاشت بعده، وكانت من المعمرين بلغ عمرها مائة سنة وعميت وماتت بمكة، وقد تقدم في فصل الخصائص ما ثبت برؤية ولدها رسول الله ﷺ وروايته عنه لبيت أبي بكر من الشرف بوجود أربعة فيه بعضهم ولد بعض رأوا رسول الله ﷺ ورووا عنه.

وأم كلثوم وهي أصغر بناته وهي التي قال أبو بكر فيها: ذو بطن بنت خارجة، وقد تقدم ذلك في ذكر فراسته من فضل فضائله، أمها حبيبة بنت خارجة بن زيد، كان أبو بكر قد نزل عليه وتزوج ابنته وتوفي عنها وتركها حبلى فولدت بعده أم كلثوم هذه، ولما كبرت خطبها عمر بن الخطاب إلى عائشة فأنعمت له وكرهت أم كلثوم فاحتالت له حتى أمسك عنها وتزوجها طلحة بن عبيد الله. وذكره ابن قتيبة وغيره وجميع ما ذكرناه في هذا الفصل من كتاب «المعارف»، ومن كتاب «الصفوة» لأبي الفرج بن الجوزي، ومن «الاستيعاب» لأبي عمر بن عبد البر، ومن كتاب «فضائل أبي بكر»، كل منهم خرج طائفة والله أعلم.

تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني

في مناقب أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب

رضي الله عنه